

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 01034 3675



FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO

من مكتبة
الجامعة الأمريكية بالقاهرة

04-134890

✓
✓ start in it

9-13

Y

11

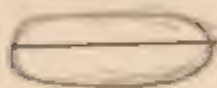
ل
ق
D
198.4
K5
55x
1933

مصادر الكتاب

مصادر الكتاب

تاريخ وفاته المؤلف			
٢٠٧	للو اقدى	المغازى	١
٢١٣	لا بن هشام	فتوح الشام	٢
٢٣٠	لا بن سعد	السيرة النبوية	٣
٢٧٠	لا بن قتيبة	الطبقات الكبرى	٤
٢٧٩	للبلاذرى	المعارف	٥
٢٨٢	لاحد بن يعقوب	فتوح البلدان	٦
٣١٠	للطبرى	أنساب الأشراف	٧
٣٢٨	للقرطبي	تاريخ يعقوبى	٨
٣٥٦	للاصفهاني	تاريخ الأمم والملوك	٩
٣٨٧	للقدسى	جامع البيان في تفسير القرآن	١٠
٤٦٣	لا بن عبد البر	العقد الفريد	١١
٥٧١	لا بن عساكر	الأغانى	١٢
٦٢٦	لياقوت الحموى	أنساب القرشيين	١٣
٦٣٠	لا بن الأثير	الاستيعاب	١٤
٧٣٢	لأبى الفدا	تاريخ مدينة دمشق	١٥
٧٧٤	لعماد الدين اسماعيل بن كثير	معجم البلدان	١٦
٨٥٢	لا بن حجر العسقلانى	الكامل	١٧
٨٥٥	للعمى	أسد الغابة	١٨
٩٦٦	للديار بكرى	المختصر في أخبار البشر	١٩
١٠٤٤	لا بن برهان الدين الحلبي	تفسير ابن كثير	٢٠
		الاصابة	٢١
		تهذيب التهذيب	٢٢
		شرح البخارى	٢٣
		الحنيس في أحوال أنفيس نفيس	٢٤
		السيرة الحلبية	٢٥

هذه هي أهم المصادر التي استقينّا منها، وهناك كثير من المراجع
استفدنا منها ولكن دون استفادتنا من المصادر التي ذكرناها، مثل:
خزانة الأدب، طبقات الشعراء، صبح الأعشى
على أنه لم يفتنا أن نطلع على ما كتبه المؤرخون المحدثون من عرب
ومستشرقين. وفي الحق إن كتاباتهم لقيمة وجديرة بالناية، لكن مردها
على كل حال هو تلك المصادر التي أخذنا عنها.



1840

My dear Mother
I have just received your letter
of the 10th inst. and am
glad to hear from you.
I am well and hope this
letter will find you the same.
I have not much news to write
at present.

Yours affectionately
John Smith

لقد اطلعنا بالكتاب هذا

بإذن من صاحبها

فهرس

تاريخ سيف الله

خالد بن الوليد

البطل الفائح

فهرس الأشكال والخرائط

ومواضعهم من الكتاب

- شكل رقم ١ يبين نسب خالد واتصاله بالعمود النبوي وبأبي بكر رضى الله تعالى عنه
ب . أنظر صفحة رقم ١١ .
- شكل رقم ٢ يبين نسب خالد من جهة أبيه وأمه وأنهما يجتمعان في مضر
ج . أنظر صفحة رقم ١١ .
- شكل رقم ٣ لبيان بعض رجال بني مخزوم
د . أنظر صفحة رقم ٢٠ .
- شكل رقم ٤ لبيان أعمام خالد وبعض من أبناء عمومته . أنظر صفحة ٢٤ .
هـ . تعريف بالاسماء الواردة بالشكل رقم ٤
- شكل رقم ٥ لبيان أخوة خالد
و . أنظر صفحة رقم ٢٦ .
- شكل رقم ٦ يبين خال خالد وخالاته الأشقاء . وخالاته لأم
ز . أنظر صفحة رقم ٢٩ .
- خريطة جزيرة العرب
ح . أنظر صفحة رقم ٩١ .
- خريطة أرض العراق والجزيرة
ط . أنظر صفحة رقم ١١٩ .
- خريطة بلاد الشام وبحر الروم
ي . أنظر صفحة رقم ١٥١ .
- خريطة منطقة اليرموك
ك . أنظر صفحة رقم ١٦٠ .
- خريطة دمشق والقوطة
ل . أنظر صفحة رقم ١٧٣ .
- م .

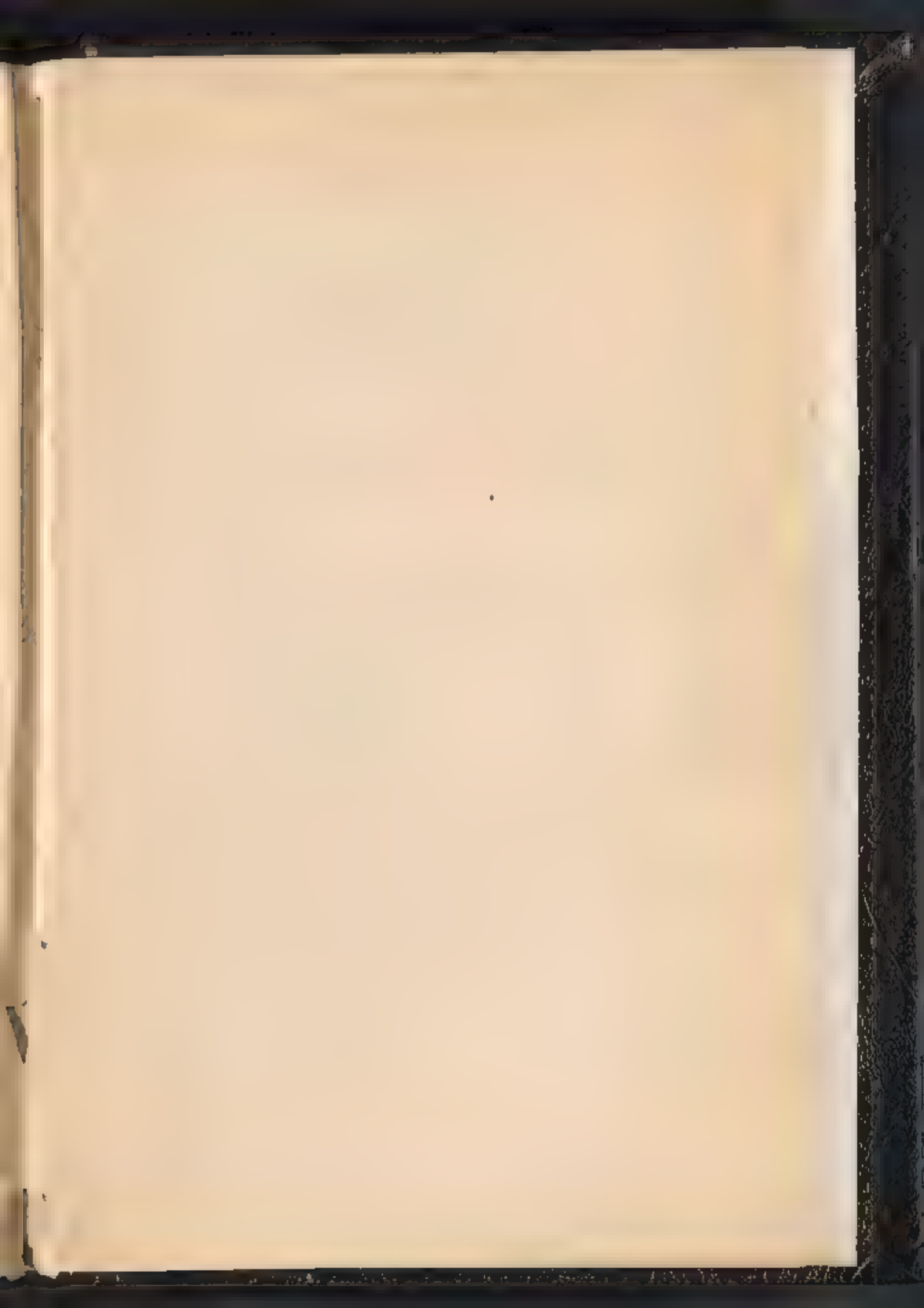
٣	مقدمة
٦	تصدير
	الباب الاول: خالد قبل الاسلام ، نسبه و النظر الشكل رقم ١ ورقم ٢
١١	صفحة ب، ج .
١٢	ولادته
١٣	بشته الطيبه
١٤	بشته لاجتماعية
١٤	مركز مكة الديني
١٥	الأثر الديني لمكة
١٥	مركز مكة التجاري
١٦	مركز مكة الادبي والاخلاقي
١٧	مركز مكة السياسي
٢٠	قبيلة خالد ، أنظر شكل رقم ٣ صفحة د .
٢٤	عمومة خالد ، أنظر شكل رقم ٤ صفحة هـ .
٢٦	أخوة خالد ، أنظر شكل رقم ٥ صفحة ز .
٢٩	والدة خالد ، أنظر شكل رقم ٦ صفحة ح .
٣١	والد خالد .
٣٦	خالد ومظاهر الشرف في قريش
٣٩	حساسة خالد
٤١	السري في أنه كان حرياً مطلقاً
٤٣	موقفه ازاء الاسلام .
٤٣	موقفه في أحد
٤٤	موقفه في الخندق
٤٥	موقفه بالحديبية
٤٦	موقفه في عمرة القضاء
٤٨	الباب الثاني: خالد منذ اسلامه إلى وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اسلامه
٥٧	لمدا انطأ خالد في اسلامه

٥٩	غزوة مؤتة
٦٥	فتح مكة
٧٠	هدم العزى
٧١	خالد في بني جذيمة
٧٦	الفصل في أمر بني جذيمة
٧٩	غزوة هوازن
٨١	خالد في غزوة الطائف
٨٣	إرسال خالد إلى بني المصطلق
٨٦	سرية خالد إلى دومة الجندل
٨٧	إرسال خالد إلى بجران

الباب الثالث أعمال خالد وفتوحه في زمن أبي بكر رضي الله تعالى عنه

٩١	أنره في حروب الردة . تمهيد
٩٥	أنظر خريطة رقم ١ صفحة ط
١٠٢	طلحة الأسدي
١٠٤	مالك ابن نويرة
١٠٤	الفصل في أمر مالك
١١١	مسيلة الكذاب
١١٩	فوح خالد في العراق : الآلة . انظر خريطة رقم ٢ صفحة ي
١٢٢	المدار
١٢٤	الولجة
١٢٥	أيس
١٢٦	أمفشيا
١٢٧	الحيرة
١٣٥	الأسار
١٣٧	عين التمر
١٣٩	دومة الجندل
١٤١	الحصيد
١٤٢	الحنافس

١٤٢	فتوح خالد في العراق : المصيح .
١٤٣	« : الثاني والزميل .
١٤٤	« : العراض .
١٤٦	حج خالد .
١٤٧	أثر خالد في فتوح العراق وفائدة ذلك للمسلمين .
١٥١	فتوح خالد في الشام ، انظر خريطة رقم ٣ صفحة ك .
١٦٠	موقعة اليرموك « انظر خريطة رقم ٤ صفحة ل .
١٧٣	الباب الرابع أعمال خالد وفتوحه ومن عمر رضى الله تعالى عنه — دمشق .
	« انظر خريطة رقم ٥ ، ٦ صفحة م .
١٧٦	غزوة نخل .
١٧٧	وقعة مرج الروم وأثر خالد فيها .
١٧٨	فتح حصص .
١٧٩	« الحاصر — فتح قنسرين .
١٨٠	« حمر عرش .
١٨١	ترتيب الوقائع وأزمان حدوثها .
١٨٧	أسباب المعور بين عمر وخالد وما آل إليه .
١٨٧	أوصاف عمر رضى الله تعالى عنه .
١٨٨	أوصاف خالد رضى الله تعالى عنه .
١٨٩	أصل العداوة بين عمر وخالد .
١٩١	متى كان عزل خالد .
١٩٥	أثر العزل في نفس عمر و(خالد) .
١٩٦	أثر العزل في نفوس الأمراء والجند .
١٩٧	أثر العزل في هوس كبار الصحابة رضى الله تعالى عنهم .
١٩٧	ما آل إليه العص بين عمر وخالد رضى الله تعالى عنهما .
٢٠٠	ناحية خالد الدينية .
٢٠٢	صفته وأخلاقه .
٢٠٤	سياسته في الحرب وخبرته بفنون القتال .
٢٠٥	سياسته لجنده ووجهه لهم .
٢٠٦	حبه للغزو والجهاد .
٢٠٧	بيت خالد .
٢٠٩	وفاة خالد رضى الله تعالى عنه .

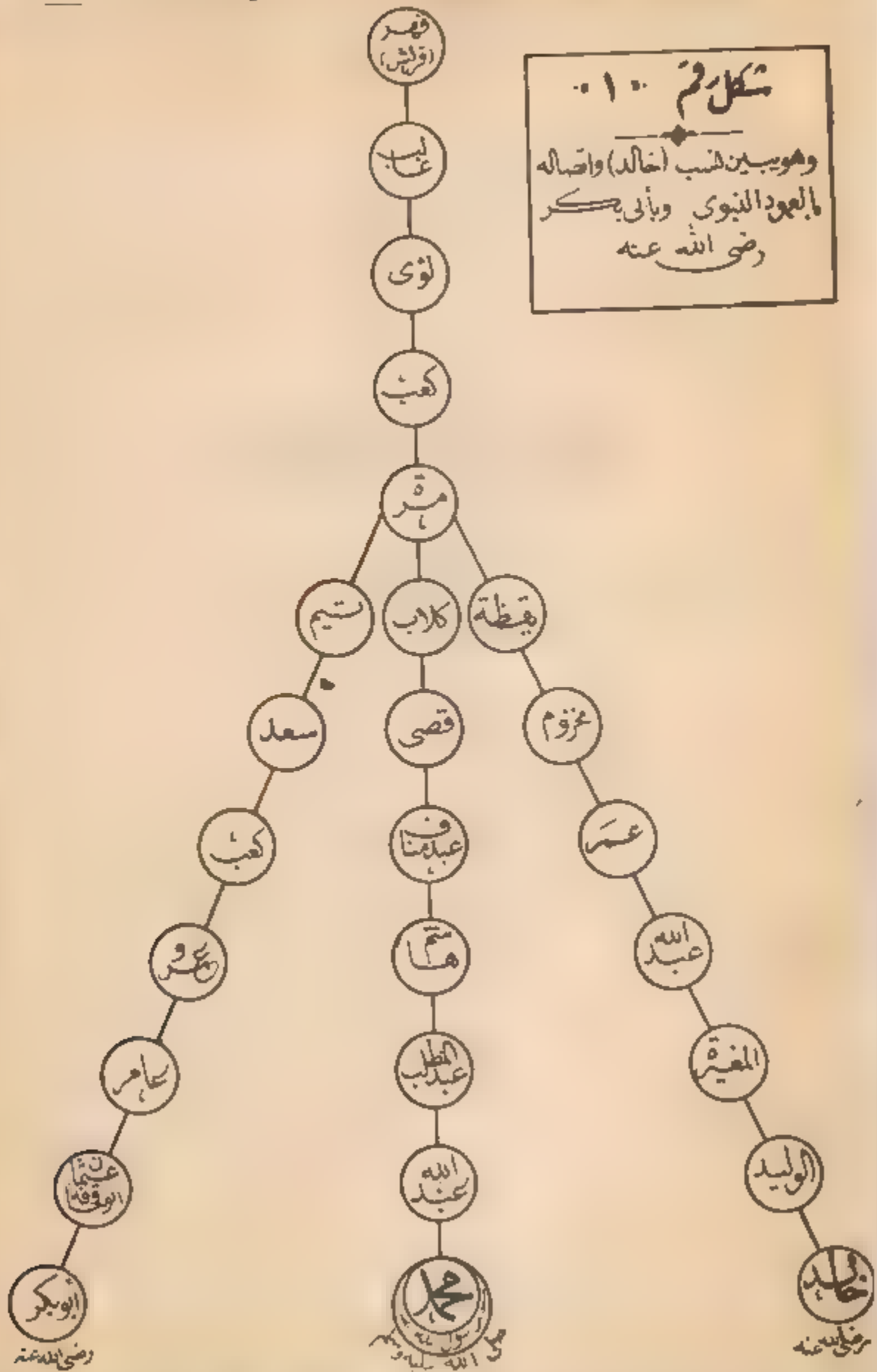


الاشكال والخرائط

(ب)

شكل رقم ١٠٠

وهو يبين نسب (خالد) وأصله
بالعهد النبوي وبأبي بكر
رضي الله عنه

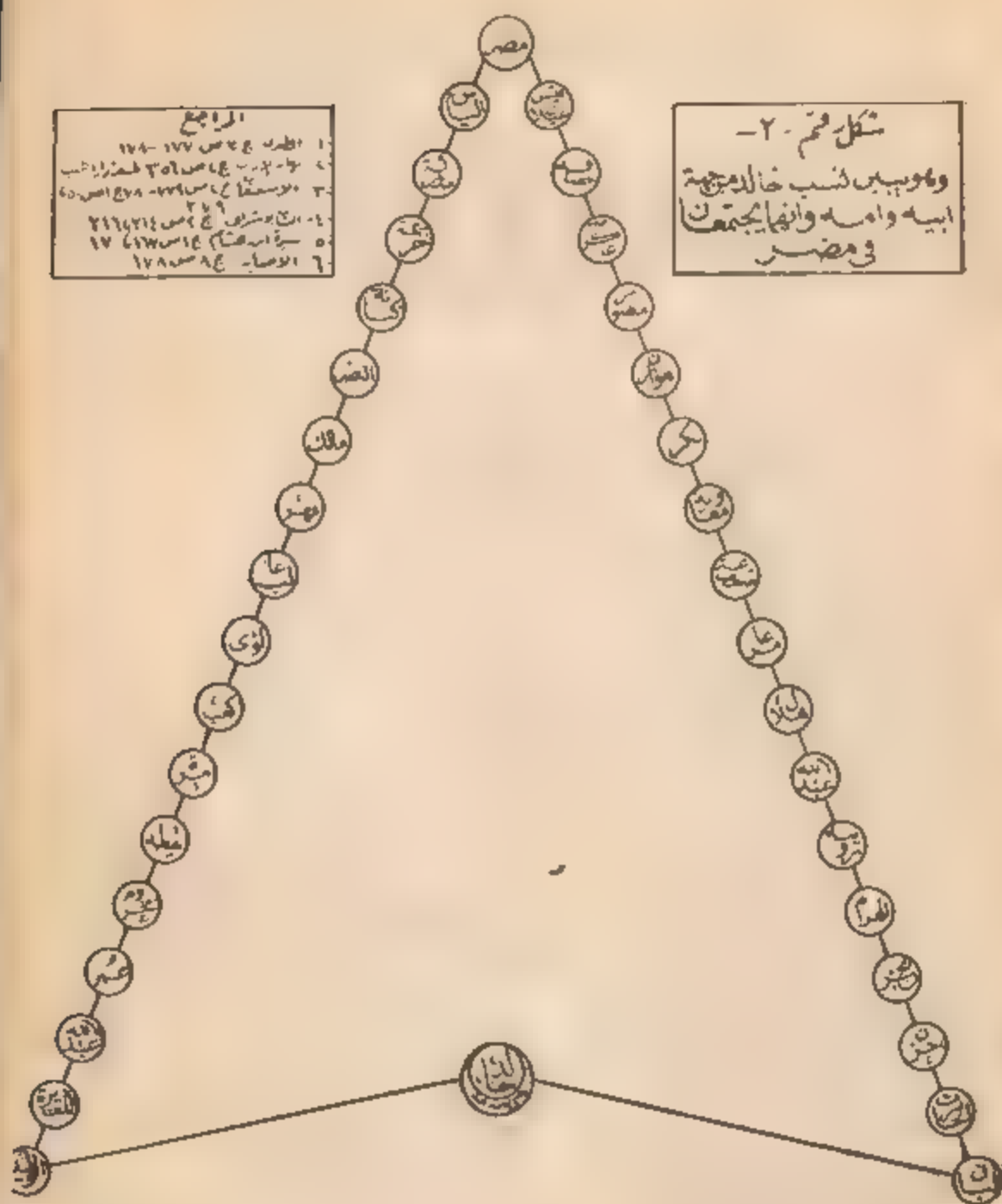


شكل رقم ٢-

وهو يبين نسب خالد الميموني
 ابيه وامه وانها يجتمعان
 في مضر

المراجع

- ١- الطبري ج ٤ ص ١٧٧-١٧٨
- ٢- ج ٤ ص ١٨٥-١٨٦
- ٣- التوسل ج ٤ ص ٢٧٩-٢٨٠
- ٤- التوسل ج ٤ ص ٢٨١-٢٨٢
- ٥- التوسل ج ٤ ص ٢٨٣-٢٨٤
- ٦- التوسل ج ٤ ص ٢٨٥-٢٨٦

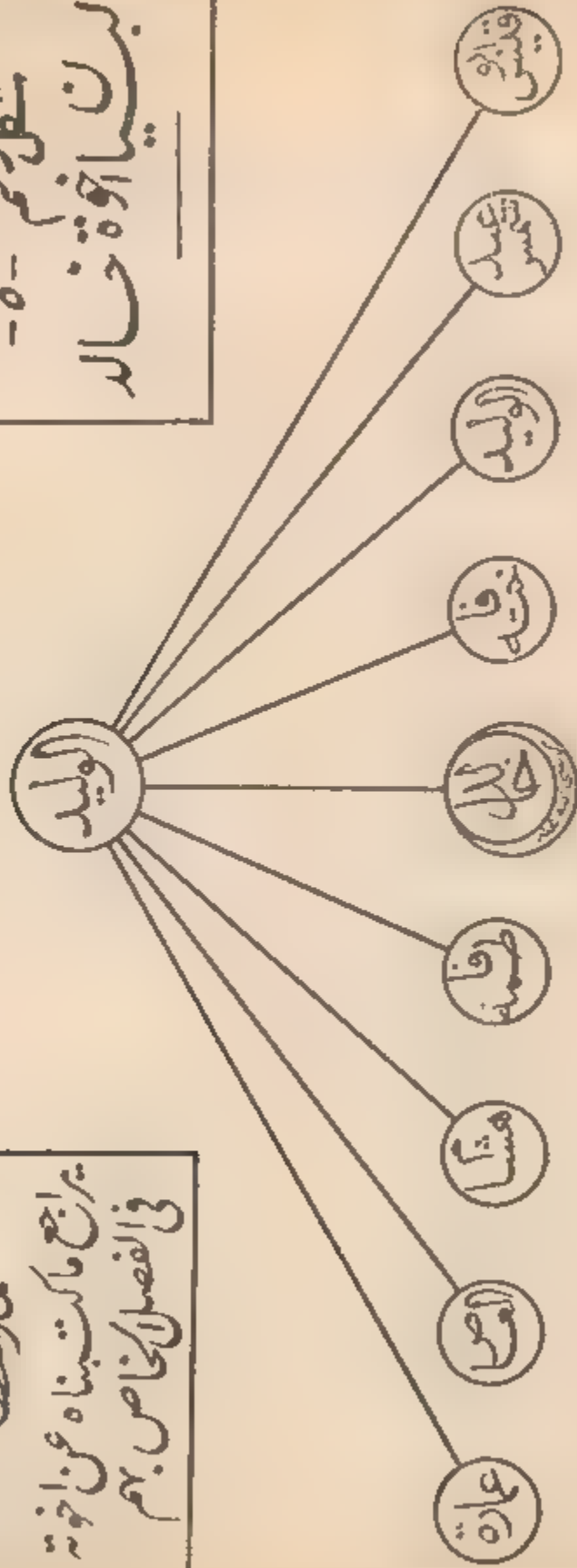


تعريف بالآسماء الواردة بالشكل رقم ٤

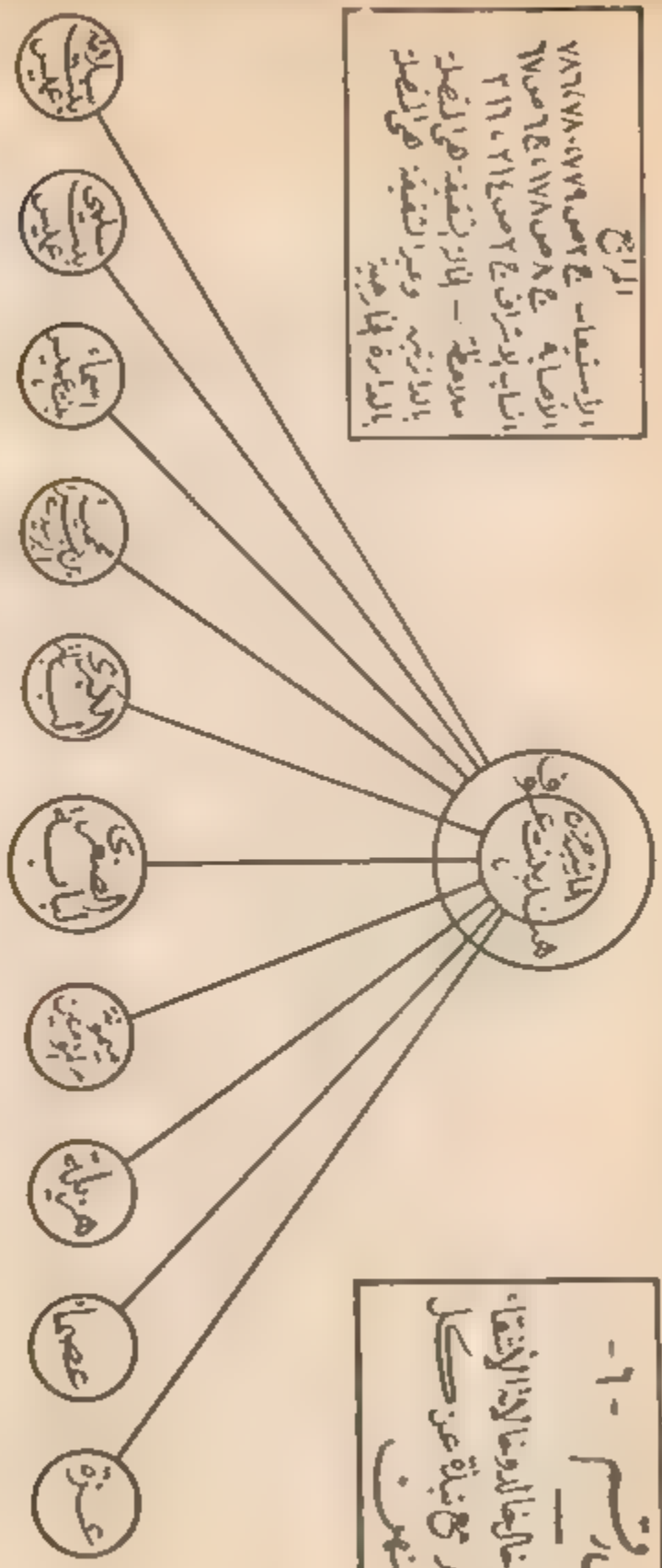
- (١) من أشرف قريش وكبار المعادين للنبي صلى الله عليه وسلم ووالد عكرمة الصحابي والقائد المعروف
- (٢) قديم الاسلام وهاجر إلى الحبشة واستشهد بمرج الصفر
- (٣) من المؤلفة قلوبهم وأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم من غنائم هوازن
- (٤) أسلم وحسن إسلامه وفيه يقول الشاعر :
أولى قريش بالمكارم والدي في الجاهلية كان والاسلام
- (٥) من أشرف قريش وقتله عمر بن الخطاب يوم بدر كافراً
- (٦) أول من بدأ قريشا الكلام في نقص الصحيفة
- (٧) صهر النبي صلى الله عليه وسلم
- (٨) أم سلة أم المؤمنين زوج النبي صلى الله عليه وسلم
- (٩) أرسله النبي صلى الله عليه وسلم أميراً على صنعاء وعقد له أبو بكر لواء في حروب الردة لمحاربة الأسود العنسي
- (١٠) قديم الاسلام قبل الاجتماع في دار الأرقم وهاجر إلى الحبشة في الهجرة الثانية
- (١١) صحابي واستشهد يوم الطائف
- (١٢) من أشرف قريش وقتل يوم بدر كافراً
- (١٣) قديم الاسلام وهاجر إلى الحبشة في الهجرة الثانية
- (١٤) والدة عمر بن الخطاب
- (١٥) استشهد باليمامة
- (١٦) من أشرف قريش وقتله سيدنا حمزة بدر كافراً وقد كان أسلم ثم فتن عن دينه
- (١٧) كان في غير ابن الحضرمي وأسرهم المسلمون
- (١٨) اقتحم الخندق فرماه المسلمون بالحجارة ويزل إليه على فقتله

بين أخوة خال
مطلحة - ٥ -

ملاحظة
يراجع ما كتبناه عن أخوة
في الفصل الخامس بهم

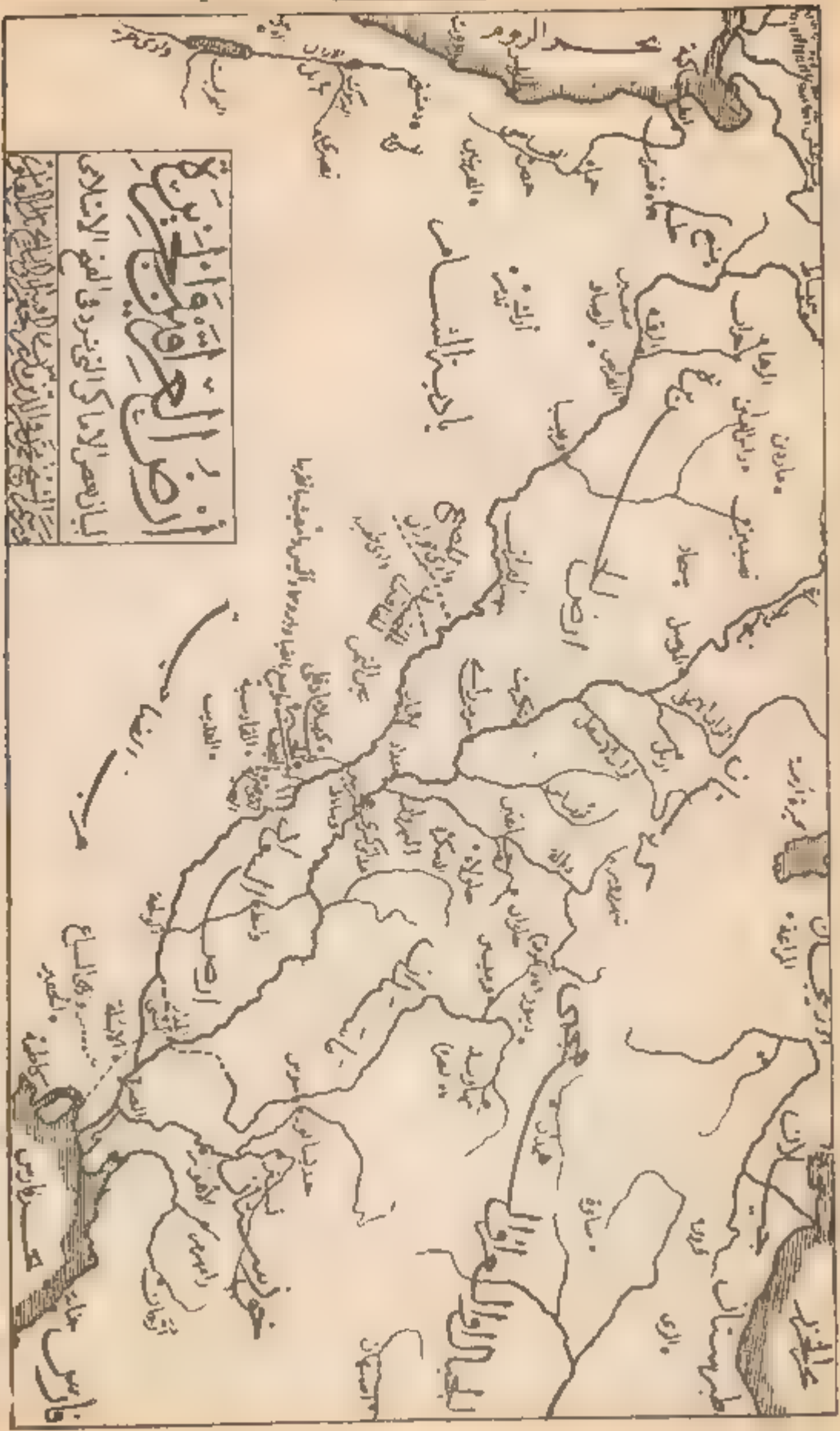


المراجع
الرسائل - ج ٢ ص ٧٨-٧٩
الأصابع - ج ٨ ص ١٧٨
النسب - ج ٢ ص ٢١١
مدونة - ج ٢ ص ٢١١
بالدائرة الخارجية
بالدائرة الداخلية

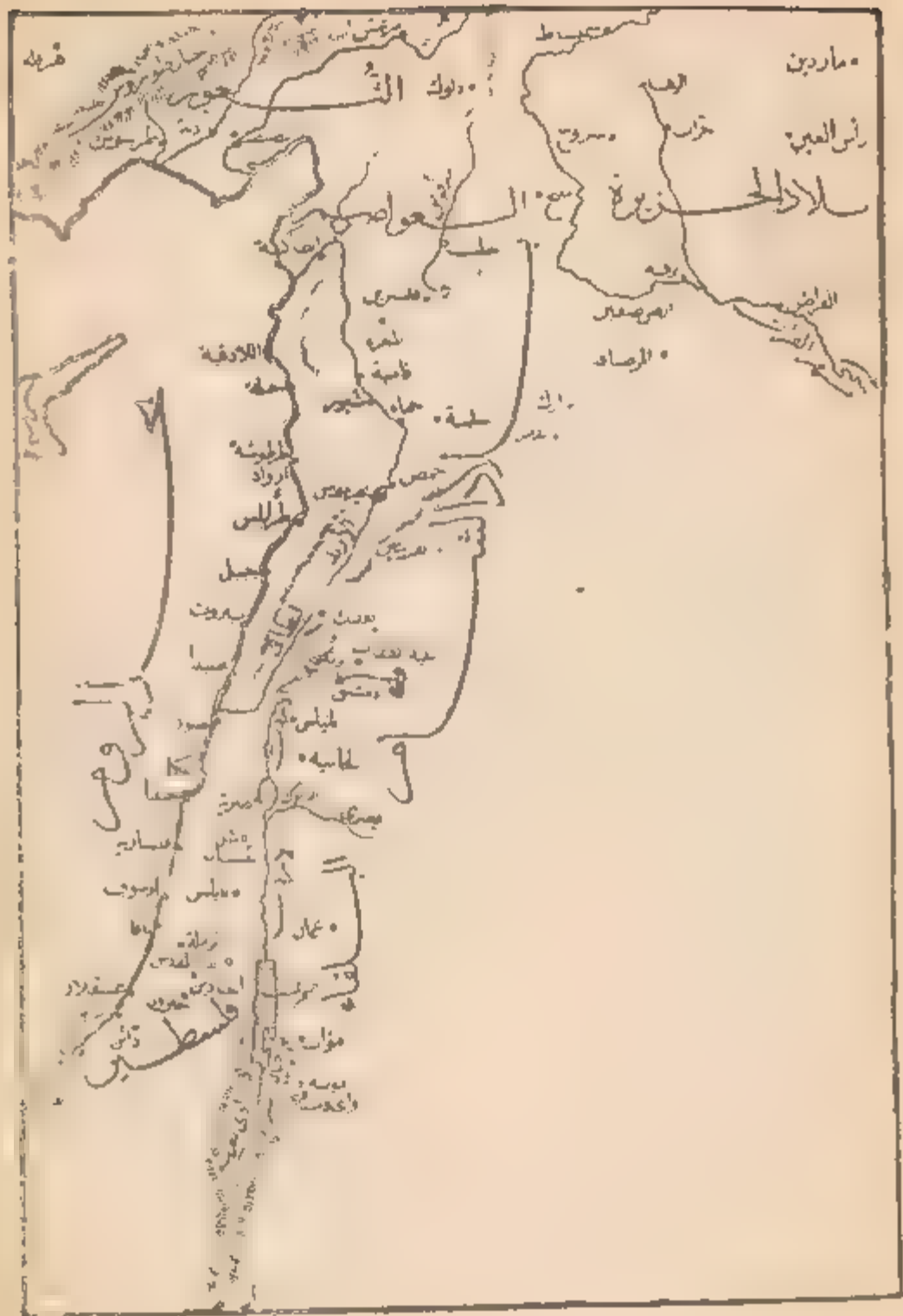


شكل رقم ١ -
ومعهم بين خالها لاد وخالها لاد
وخالها لاد مع نبذة عن كل
منهم



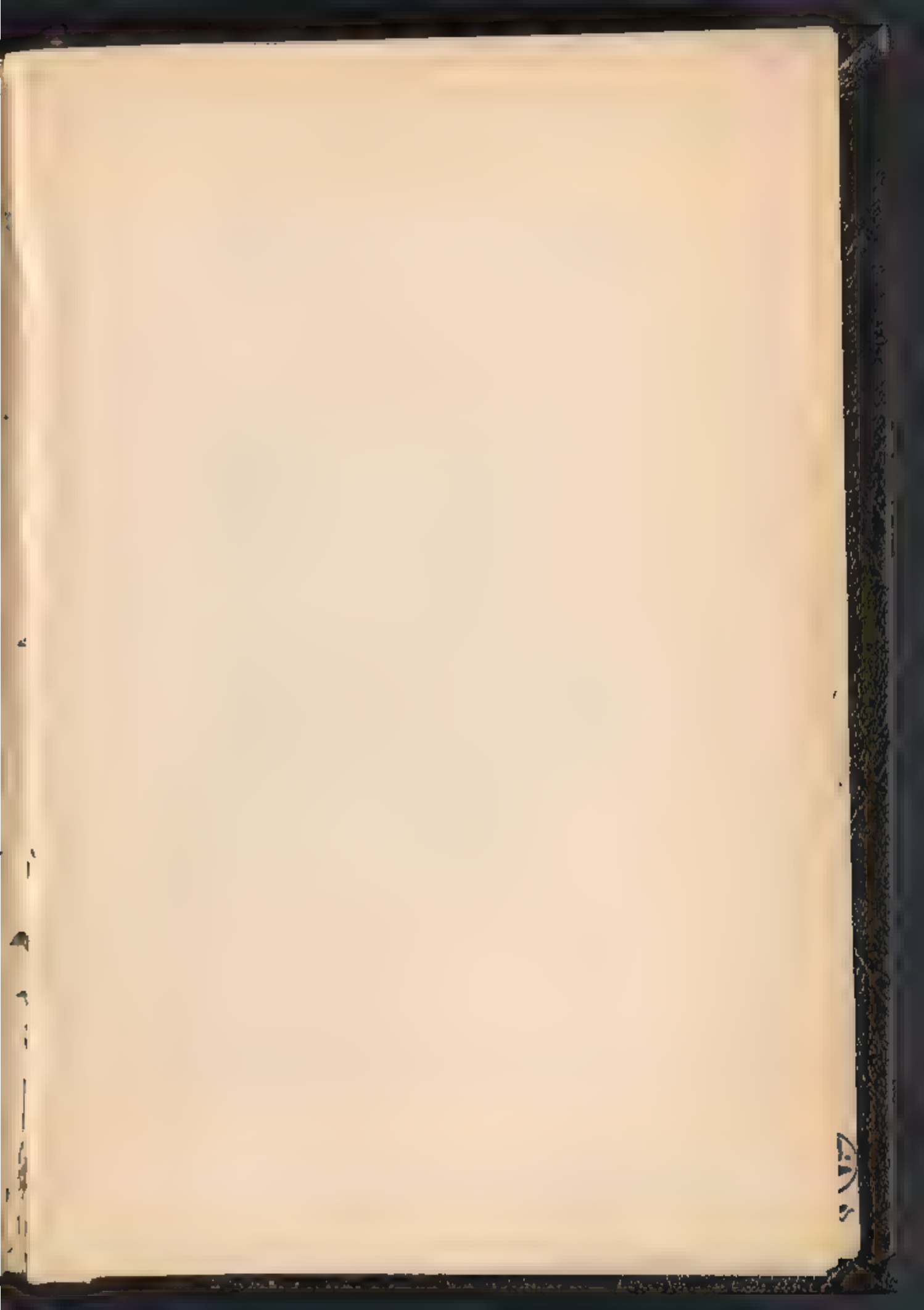


ایران و ایران و ایران
بیا نصل الاماکی التي تترد فی الصغ الاثلاهی
وینا نصل الاماکی التي تترد فی الصغ الاثلاهی









تاريخ

خالد بن الوليد

البطل الفائح

تأليف

أبو زيد سلمي

مخرج قسم المحفوظات
والمدرسة بالمعهد العربي

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣ م

المطبعة المصيرية

CCLE
230-1-1

51'51
1'50'57

/

C11 1
حلو. بنم

17141

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أتمرف المرسلين سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد فهذه رسالة في تاريخ عظيم من عظماء الاسلام . وقائد هو
بلا مرء أكبر قواد المسلمين ، ذلك هو سيف الله خالد بن الوليد .
وقد حبب إلى الكتابة في سيرة هذا البطل العظيم وفروحه أنى رأيت
الأمم الناهضة لا تفتأ تشيد بذكرى أبطالها وعظماؤها . وتفخر بهم . ولا
تدخر وسعاً في تمجيدهم وتقديسهم تذكر هؤلاء الأبطال في المنازل
والمعاهد . في النوادي والمجتمعات . فينشأ ناشتهم وفي نفسه كل معاني
الاجلال والاكبار لهؤلاء الأبطال .

وأرانا معاشر أهل الاسلام قد انصرفت نفوسنا عن تعرف حياة
عظمائنا وسيرهم ، ومقدار ما بذلوه من جهد وطاقة في نصرة دين الله
وإعلاء كلمته . وما كان لهم من فضل في رفعة أمهم وأوطاهم . مما كان له
أكبر الأثر فيما نحن فيه من نعمة . وما بدعيه من مجد وإيه لمن الظلم أن
نهنأ بمجهودهم . ونزفل في نعيمهم ، ولا نعرفهم ولا نحفظ مخلصاتهم . وما
كان لهم من مآثر صالحات . بل كثيراً ما نعتهم ونغمطهم حقهم حتى فيما
يعترف لهم به أعداؤهم . ولا سيما تلك العثة منا الذين يدعون لأنفسهم
— ظلماً — أنهم أهل الثقافة والعرفان . فترى الواحد منهم إذا احتاج
إلى ضرب مثل ، أو الاستشهاد على حادثة فسرعان ما يعمد لتأليبون أو

بسمارك ليقتبس من سيرته وأعماله كأن أمته ليست من الأمم التي تتصل
بماض تفخر به ، أو كأن قومه ليس فيهم من الرجال من يسامى بسمارك
أو يقارع نابليون ، بيد أنه لو رجع إلى تاريخ قومه لوجد ما تقربه عيه ،
ولعثر على جم الشواهد والمثل .

لنقف قليلاً ثم نتصور أن خالد بن الوليد كان في أمة حية كالامة
الانجليزية مثلاً . ثم لننظر كم من الحملات تقام للإشادة بذكره ، وكم من
المعاهد والمدارس تعرف باسمه ! (١)

على أن من دواعي سروري واغتناطي أنني في أثناء دراستي بقسم
التخصص كنت مجدوداً بأولئك الأساتذة الأجلاء ، والسادة الفضلاء ،
فقد كان لغيرتهم على الاسلام وأبناء الاسلام ودأبهم على العمل لاعادة
بجدهم أثر عظيم في نفسي حفزني على أن أسير قدماً فيما عليه عزمت ، فان
كنت قد أحسنت الاختيار في موضوع رسالتي هذه ، أو كان فيها بحث
مفيد ، أو رأى سديد ، فرده إلى إرشاد أساتذتي ونصائحهم .

وقد شجعتني على أن أتقدم برسالتي هذه لهيئة الامتحان الهائي لقسم
التخصص بالأزهر أني رأيت الروح السائدة لمن كان لي شرف الاستفادة
من آرائه ومباحثه إظهار تلك الشخصيات البارزة من أبناء الاسلام ،
والاستفادة من أعمالهم وسيرهم

(١) سرور أني اطلعت في صحيفة الاعلام من العدد رقم ٣١٨٥ الصادر في مساء
يوم الاثنين ٩ ربيع الثاني سنة ١٣٥٢ ، ٣١ يولية سنة ١٩٣٣ على أن نخبة من الشبان
في بورسعيد ألغوا فرقة للكشافة أطلقوا عليها اسم : كشافة خالد بن الوليد ، وفي
الحق أن مثل تلك الجماعة من أبناء الاسلام لم أجدر الناس بالتميز باسم خالد والتشبه
بشهامته وشجاعته

على أنى لم أر من المؤرخين من كتب كتابة مستقلة مستوفاة لهذا القائد الكبير . ولعلى برساتى هذه أتوصل إلى نشر شىء يعتد به من سيرة ذلك القائد المطهر الذى أبلى فى جهاد دولتى الروم والفرس البلاء الحس ، فانتشر الاسلام وساد فى تلك الأرجاء الواسعة .

وسأبذل جهدى فى تذليل ما يعترضنى من صعوبات وبخاصة البحث فى مراجع التاريخ العربية القديمة التى عاينها المعول فى مثل موضوعنا هذا . فأستعين الله وأستمد منه المعونة أن يوفقى لاطهار شىء أستطيع تقديمه لمن يهمهم الاطلاع على تاريخ ذلك القائد العظيم الذى لا يحد الدهر بمثله ؟

ابوزيد شلبي

تصدير

الأمة برحاله. والرجال بأعمالهم ، فالأمة تعلو بأبائها المخلصين ،
وعبائها الناجين . وصاعها المحيدين ، وأبطالها المجاهدين ، وساستها
المبرزين وحليق تمثل تلك الأمة أن تسود ، وأن تملي إرادتها على
من سواها .

ولمعدك العرب قبل الاسلام أمة متدية متافرة لا تجمعهم رابطة ،
ولا تؤلف بين قلوبهم غرض أو غاية . يأنفون من الخضوع لرئيس ،
ولا يدعون إلا لسيوفهم ورماحهم . يهيجهم تافه الأمر ، ويضرم نار
الحرب بينهم وشق^(١) . قل أن يعرفوا غيرهم واجبا ، أو يقيموا للمساواة
وربا . شعارهم « نصر أحاك ضلما أو مظلوما »^(٢) فكانوا

لا يستأمنون أحدا من حينئذ . في « الثأثأت على ما قال مرهانا
كانت هذه الأمة بعد الأضم والأوتان رجاء أن يصرهم إلى الله
زاهي ، متحفين عن العلم والتعلم ، بعيدين عن التدبر والتفكير ، إلا ما كان
من معرفة ما هو ضروري لحياتهم ، كالسلاح والطب في أبسط حالاته ،
ومعرفة السحوم والأواء ، خاضعهم إليها في حلهم وترحالهم . فلما تأذن الله
للالسلام بالظهور ورأى هذه الأمة من الخير ما أراد ، مهد لها الدين
نوحوا . أفراد ذوي طر وعقل وروية وثأف وكر ، لهم أثر غير منزور

(١) قال في عموس (نوح) بحركة ذاء الغيب يحل من حين أو صحرة
ولا تنص مخرده

(٢) من غير أن يعمود على حمله ، لا سلام

في تنبيه العقول وتبليتها للدين الجديد مثل : أكتهم بن صيفي ، وقس بن
ساعدة ^(١) ، وورقة بن نوفل ومن إليهم ، ففأهوا بالحكم والمواعظ وحشوا
على خلال الخير وخير الخلال ، وأخذوا ينعون على قومهم ما هم فيه من
ضلال وباطل ، وأخذ فريق منهم يتلمس دين إبراهيم بينما كان فريق آخر
يحد ويبحث عنه يصل إلى دين أهدى مما عليه قومه ^(٢)

وما أشبه هذا الفريق من الحكماء والمفكرين بالريق الذي يصي ، قيل
العجر ثم يحبو مؤذبا بالبحر الصادق الذي يسطع وتطلع شمسهِ فيعم
ضياؤه كل الأرجاء ، ويطبق الآفاق ،

ابتثق حجر الاسلام بوسط طلام حالك من استبداد الأكاسرة ،
وتحرر القياصرة ، والعكوف على عادة الأحجار والكواكب وغيرها ،
فكان من فضل الله ورحمته بعاده أن جاء الاسلام مينا للناس أن الذي
يجب أن يعبد إنما هو الله وحده لا إله غيره ، أمرا بمكارم الأخلاق وجميل
الصفات ، مسويا بين الناس ، وأهم إنما تفاصلون بالتقوى « إن أكرمكم
عند الله أتقاكم » . فليس اعزنى على عجمي فضل إلا بالتقوى «

ولقد كانت الأمة الإسلامية في عهدها الأول المثل الأعلى فسادت
العالم ، وأرته كيف تكون النضجة للوطن ، والدفاع عن العقيدة ، وعلمته
منبع أثر الاتحاد في النصر ، وقيمة المساواة بين الرعية .

كانت الأمة الإسلامية في بدئها تعرف العدل على أنه عدل فلا محاباة
لأن الأمير وإن جل ، ولا غنى على ابن الفقير وإن قل

(١) السيرة الحلبية ج ١ ص ١٧٢

(٢) سيأتي لهذا القول فصل من عند الكلام على مركز مكة السياسي

اجتمعت كلمة المسلمين ووجدوا صفوفهم تحت رمز واحد هو :
 « لا إله إلا الله محمد رسول الله » فعند هذه الكلمة تهتز القلوب ، وتطرب
 النفوس ، وتذوب الضعائير ، وتمحي ^(١) الأحقاد ، عند هذه الكلمة
 يجتمعون ، وإليها يرجعون ، ولا أجلها يجاهدون .
 تلك الكلمة هي التي أوحى لمثل عكرمة بن أبي جهل أن يقول :
 « من يبائع على الموت ^(٢) » . وهذا المعنى السامي هو الذي جعل العربي
 القح يقول :

ركضا إلى الله بغير زاد إلا التقي وعمل المعاد ^(٣)

حقا إن الإنسان ليدهر لتلك الأمة ويحار لفتوحها الخالدة وهي
 قريبة عهد بالداوة والانقسام : فأى شيء طرأ على تلك الأمة أمة الشيخ
 والقيصوم فهذا ، وألف بين كلمتها وأحكام وحدتها . بعد أن كان بيت
 من الشعر يقوله صعلوك كافيا للقطيعة بين بني الأب الواحد ، ووقوفهم
 متصافين بالسيوف .

ماذا حدث لتلك ومادا طرأ ؟ أترأه الدين الجديد الذي اعتنقوه ،
 أم العدل الذي بسطوه ، أم التسوية بين السيد والمسود ، أم حسن
 التزجية للجيش ؟ !

لا حدال في أن الدين الجديد هو الأساس الذي جمع شملهم ، ووجد

(١) محاه ومحى كادعى وامنحى لغة قبلية أو رديئة . شرح لقاموس

(٢) سيأتي بيان ذلك عند الكلام على موقعة اليرموك

(٣) قتاله عمير بن الحمام أخو بني سمة يوم بدر حينما حرص النبي صلى الله عليه وسلم
 المسلمين لفصل فأتى سمراوات كانت بيده وقائن حتى قتل - الطبري ح ٢ ص ٢٨١

كلتهم، وحذرهم مما كانوا عليه في جاهليتهم، ووجه همهم لتكوين دولتهم، بعد أن كانت قواهم ضائعة في مازعاتهم^(١).

هو الذي أذاقهم طعم المساواة والعدل. هو الذي حصمهم على الاتحاد وحذرهم معبة التنازع والاختلاف بقوله: «وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا». هو الذي عرفهم بالقيمة المعنوية في الجيش وأن عليه يكون النصر فقال لهم: «يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون»^(٢).

هو الذي صفل عقولهم وحماها تفكير فيما حولها، بما استحتم به من آي الذكر الحكيم كقوله تعالى: «أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء».

تفتحت أعينهم على ما جاورهم ورأوا الدنيا ونعيمها وفيها ومتعها، ووراء هذا النعيم سادات يتلذذون، وعبيد يتحسرون، وطلم جارف، وتحكم في عباد الله لا ترضاه الإنسانية، ولا تقره الأديان الحققة. رأوا هذا ورأوا دينهم الذي ارتضوه قد ألقى عليهم مهمة المرشد المخرج للناس

(١) يقول الفيلسوف جوستاف لورون في الفصل الرابع من كتابه التعاليم النفسية للحرب الأوروبية تحت عنوان «أثر العوامل الروحية في منشأ الحرب» ما نصه: «وفصل لإيمان العرب تمكنت تلك الجماعة القليلة في مدة وجيزة من فتح جميع العالم المتعدين تقريباً، وشيدت مملكة امتدت من مشارق الأرض إلى مغاربها» ص ٦٦ طبعة الهلال سنة ١٩١٦

(٢) قال في العقد الفرید جمع الله سارك وعلی تدیر الحرب فی آیین من كتابه فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون. وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا)

من الظلمات إلى النور ، فكان حقاً عليهم أن يمشوا قول الله تعالى :
 « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون
 عن المنكر »

فعند ما استمرت الأمور ، وهدأت الأحوال التي أعقبت وفاة
 الرسول صلى الله عليه وسلم بدأ المسلمون لطاعة الله ، واستعدوا لنشر دينه ،
 وهداية عبيده . وقد ساعدتهم على ذلك ، وسهل عليهم مهمتهم أن هباً الله
 لهم رجالاً باعوا أنفسهم في طاعة الله ، وسوا كل شيء إلا إعلاء كآته ،
 وهداية حبيبه . أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن العاص
 وحالد بن الوليد . بيد أن حاداً كان فارس الحلبة ، فهو فائق عين الردة ،
 وفاتح السواد . وصاحب يوم اليرموك
 تلك الفصوح العظيمة التي صيرته بحق القائد الأول وجمدت اسمه
 بهرم الحوش . وقوص المعوش .

بسم الله الرحمن الرحيم

ولادته

لم يجد بين كتب التاريخ التي اطلعنا عليها نصاً يبين تاريخ ولادة خالد بن الوليد إلا ابن عساکر في تاريخه،^(١) وابن برهان الدين في سيرته ذكر أن به قد اصطرع عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد وهما غلامان، وكان خالد من جال عمر فكسر خالد سيف عمر فعولجت وجرت . . وهذه الحادثة تعطينا أن سبهما كانتا منفرتين جد التقارب، إذ العادة حرت صارعة الغلمان اذا كانوا أرباباً، وعليه فتكون سه حين جاء الاسلام سبعاً وعشرين سنة تقريباً، وهي سن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وإذا كان من قصدنا أن درس حياة خالد دراسة تحليلية يجب أن نبني دراستنا على أسس ثابتة، وذلك بأن نتعرف مواهبه واستعداداته المختلفة، بأن نبحث في منشئه ومرباه، في العائلة التي درج بين أبنائها، وفي أبويه وصفاته، وما كان لهما من مكانة في قومهما، فليس من شك في أن النسبة والوراثة يحددان صفات كل كائن حي، وهما يمكن أن يحكم حكماً لا يعد عن الحقيقة فلابية كما للوراثة الأثر الكبير في إظهار الصفات الكامنة في الانسان فاما كان لدى يعيش فيه المرء وما فيه من سهول ووديع وماء وهواء، ورفقة وأصدقاء، وأسرّة وأشياء بين أبنائها هو الذي يكشف عن مزاج المرء ويظهر لنا كامل مزاياه، بل إن أثرها لا يقف عند هذا الحد وإنما يصل بحياة الانسان قبل وجوده، فهذا وما س لوب الحكيم الانجليزى (عاش في القرن السابع عشر) ينسب خلق الجبن

(١) س - - - - - ربحه محمد ش ص ١١٠ ابن برهان الدين ج ٢ ص ٢٧٦

الذى فيه إلى ما أصاب أمه من الخوف والمزع وهى حامل به عام أن كانت العمارة الانسانية ارمادا . تهدد بجلترا

بيته خالد التى عاش فيها

خالد بن الوليد قرشى شأ وترعرع بمكة . ولاحل أن نفهم أثر هذه البيته فى نابتها . رى أن تناول الكلام عليها من ناحيتين : الطبيعية ، والاجتماعية

١ - بيته الطبيعية :

مكة واد غير دى زرع ، سماؤه صافية وجوه فى حملته جاف . جيد الهواء يميل إلى الحرارة . وأرضه واسعة الفضاء . طيبة الماء . جنبات المستنقعات والعفونات ، لم تتوغل فى يبداء الصحراء العريية . فى تهامية لا تبعد كثيراً عن ساحل البحر

وطبيعة هذا البلد لا تساعد على انتشار الزراعة ولا الصناعة ، لعدم صلاح التربة . وتعذر الحصول على المواد الغفل التى تقوم عليها الصناعة ، ولذا فانا نجد أهلها فى حاجة ماسة إلى جلب أقواتهم وحاحهم من خارج بلدهم ، فهم مضطرون لأن يكونوا فى حركة دائمة وأسفار مستمرة ، كى يتمكنوا من الاستيطان فى بلدهم ، والاقامة فيه . وإلى ذلك يشير الله تعالى بقوله : « لا يلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف . فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمهم من خوف ،

أثر هذه البيئة في أهلها :

من شأن هذه البيئة أن تؤثر في أهلها تأثيراً ظاهراً فتجعلهم أهل جد وسعى وصر ، لأمور وعواقبها وحسن تصرفها بحكم دأبهم على الحركة والأسفار والاختلاط بمختلف الأمم والطبقات . أصحاب الأبدان . راجحي العقول . شديدي الملاحظة بحكم الجوواء السماء الصافية ، والعد عن العفونات ، والقرب من الساحل

ب - بيئته الاجتماعية :

لما كانت ائمة الاجتماعية متشعبة الواحي تشمل البلد الذي عاش فيه ، والقبيلة التي ينتمى إليها . والبيت الذي ترقى فيه . وما إلى ذلك كان من الحسن أن نلم بأهم هذه الواحي حتى نعرف الملابس والأحوال التي أحاطت بخالد وأثرت فيه

وإذا كانت مكة وهي البلد الذي نشأ فيه هي مبعث الدين الذي أتاح له تلك الفتوح العظيمة . وهياً له تلك الشهرة الفارقة . وفيها أيضاً تربي المصطفى لهذا الدين . ومن خلفه وهم الأولى كانوا يسرون خالدا ويرسمون له بما يريدون . ويزودونه بنصائحهم ، رأينا أن نبسط القول فيها بعض البسط فقول : -

مركز مكة الديني :

كانت مكة صاحبة المكاة الدينية العليا في جزيرة العرب لمكان الكعبة المكرمة وهي بيت الله الحرام الذي جعل مثابة للناس ، وأمناً .

تجمله كل العرب وتعظمه ، وتحج إليه من أطراف الجزيرة ، وأهلها صريح ولد اسماعيل . وهم سدة البيت والحمس^(١) في الدين والدادة عنه والقوم عليه .

الاثـر الدينى لمكة :

من شأن هذه البيئة أن تجعل لأهلها في نفوس العرب من الحرمة والاحلال ، والقداسة والاكبار ما يكونونه في مركز ممتاز ليس لغيرهم ولا يماريهم فيه أحد^(٢)

مركزها التجارى

كانت مكة محطاً للقوافل الآتية من حواصر بلاد العرب وبخاصة من اليمن حيث تحمل صائع الهند واليمن إلى الشام ومصر . بها ينزل التجار ليأخذوا حاجتهم من الماء ، ويتزودوا لأسفارهم وقريب منها أسواق رائحة للتجارة والأدب والمفاخرة ، فهي في حركة دائمة ونشاط مستمر ، على اتصال دائم مع روادها من سائر أنحاء الجزيرة وغيرهم ممن يجتازونها

(١) الحمس - جمع أحمر ، وأصل الحمس الشدد ومعنى أحمر حمس هو أنهم رأوا أنفسهم أهل الحرم ويجب أن يماروا عن أهل الحرم ، فلا يفيضون من حيث يفيض أهل الحرم ، كما حرصوا على أهل الحرم ألا يطوفوا ثيابهم بل يسلطوا بها ثياب أهل الحرم فإن لم يجدوا طافوا عراة إلى غير ذلك من الميرات وقد أطل الإسلام ذلك بقوله (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) راجع سيرة ابن هشام في حديث الحمس ج ١ ص ١٣٢ - ١٣٣ .

(٢) وقد ذكرهم الله بهذه النعمة العظمى وحثهم على شكرها بقوله : فليعدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمهم من خوف .

أضف إلى ذلك أن أهلها أنفسهم كانوا تجاراً ولهم أسفار إلى كثير من البلدان وبخاصة إلى الشام واليمن « رحلة الشتاء والصيف »

أثر البيئة التجارية

من شأن هذه البيئة التي يمارس أهلها التجارة ويكثر من الأسفار ، ويختلطون بأقوام مختلفين أن يكتسب أهلها فوائد ذات بال ، فقد غدوا في سعة من العيش ، وبسطة في المال ورفاهة الحال أصحاب أموال وضياع وأصبحوا يحسنون وسائل الاختلاط بغيرهم ، فعرفوا كثيراً من أحوالهم الاجتماعية والأدبية ، وهذه المعرفة مكنتهم من الانتفاع بمعلومات من اختلطوا بهم ، والاطلاع على حضاراتهم وأفكارهم مما كان له أثر كبير في تثقيف عقولهم وارتقاء مداركهم

مركزها الأدبي والأخلاقي

لقد تولت مكة رعاية العرب الأدبية والأخلاقية كما تولت زعامتهم الدينية ، وعهد لها هذه الرعاية متقادماً يرجع إلى الوقت الذي نبغ فيه قصي ابن كلاب ^(١) (الجدل الخامس للبي هزلي عليه وسلم) وغلب خزاعة على مكة والبيت الحرام ، وأصبح له ولبنوه من بعده ثم لأهل مكة على وجه العموم منزلة أدبية وأخلاقية هي المثل الأعلى ، والنهج الذي يحتذى لأهل الجزيرة . ولقد كانت أسواق العرب القريبة منها من أكبر العوامل

(١) راجع المؤرخون المحدثون أنه عاش في النصف الثاني من القرن الخامس

الميلادي ومات حوالي سنة ٤٨٠ م

لهذه الزعامة ، فقد كانت تقام هذه الأسواق كل عام ويحصرها الشعراء
والخطباء والمهكرون والحكماء ، وينشدون ويتناظرون ، ويعددون
مآثرهم ويتفاخرون ، وكان لأهل مكة في هذه الأسواق القدح المعلى
والمركز السامى ، فإذ انفاخر الشعراء ، وتناظر الرؤساء ، استثنوا قريشاً ،
وقالوا بعد ذلك ما شاء لهم الفخر والجمال

رأيت الناس ما حاشا قريشاً فإنا نحن أصلهم فعلاً (١)
كان يغلب على أهلها خلق الشجاعة والاقدام ، والصبر على المكاره
وحب العوز والقهر للأعداء والعوق في الحروب :
فإنا أناس لا تطل دماؤنا ولا يتعاطى صاعداً من نحاربه
وحب الثناء والمحمدة ، وطلب المعالي والوفا ، بالعهد ، والمحاماة عن
الحار والمستحير ، حتى ليستين الرجل مهم بدم أحيه وفا ، لحاره ، ودفاعا
عمن يستجير به

أثر البيئة الأدبية :

من شأن هذه البيئة أن تنبت في نفوس بابتها طيب الخلال ونشئهم
على خير ما يشأ عليه القتيان : إقدام في حزم وحب للرفعة والمجد ، وعزة
نفس ، ووفاء بالعهد

مركزها السياسى

لقد كانت مكة في مركزها السياسى على درجة تحمد عيها ، وكان لها

(١) قائله الأخطل ، المعنى لابن هشام ج ١ ص ١٠٩

نظام سياسي شبيه في جملة بضم الحكومات الشورية . قسموا إشارات الشرف^(١) والمحدد ومناصب الحكم . والمصالح بينهم . لتأخذ كل قبيلة نصيبها . وليكون ذلك أدعى لرضاهم جميعه وأبقى لألقنتهم وإخائهم .

كانت لهم دور المدوة فيها تجتمع مشيختهم ورؤساؤهم فيفصلون في مهام أمورهم . وما يجد عليهم من حوادث فيتجبروا أحسنها وأوفاهها بأعراضهم ومصالحهم . فهي إلى حد كبير تشبه ما يسمى في عرف الدول المتحصرة « برلمانا »

كانت كلمة السادة منهم شرعا اهدا ودبا يحب اساعه كان على الشيوخ والسادة أن يبحثوا ويعالجوا الأمور وعلى من سواهم السمع والطاعة . فكانت هذه الدار لهم مطلع خير ومجمع من وسعادة . ومن ثم تراهم مستمسكين بوحدة متحدين كل ما يوهبها يضعفها .

أثر البيئة السياسية

من شأن هذه البيئة أن تجعل نسبتها يعرفون واحسانهم ويسمعون لرؤسائهم . ويتصحبون بأرائهم . يعرفون مبدأ الشورى ويخضعون لرأى الجماعة . كما أنها باعدت بينهم وبين الاثرة والاستبداد والحكم الفردى . فكانوا يواكبون الأمور لدويها والمصالح لمن يضطلع بها ويمكنه صيانتها . والقيام عليها

شجذت هذه البيئات الاجتماعية أذهن أهل مكة وسهلت اخلاقهم

(١) صدق تحت عنوان « شرف حرة ومكة بن قومه » بيان هذه الاشارات مع ذكر المالكل فيه من « صب و نرحا » ليس كما و يلو . ذلك عند ظهور الاسلام

وَسَأَلْتَهُمْ عَلَى حُبِّ الْوَاحِدِ وَالْمَصَدِّقَةِ لِأَعْسَمِهِ وَأَعْيَرَهُمْ وَظَهَرَ أَنَّ ذَلِكَ
فِي كَثِيرٍ مِنْ أَحْوَالِهِمْ هَذَا فَارْتَبَيْنَ حَاتَمَهُ وَمَا دَاوُ عَلَيْهِ قَوْلَهُ قَصِي،
وَبَيْنَ حَاتَمِهِ قَبِيلَ الْإِسْلَامِ لَطِيفُ نُفُوسٍ وَأَصْحَابُ جَبَابٍ، فَقَدْ اسْتَقَلُّوا مِنْ
جَمَاعَاتٍ مُتَدَيَّةٍ مُتَعَرِّقَةٍ لَا تَسْلُمُ هُمْ تَمَازُجُهُمْ إِلَى قَوْمٍ مُتَحَضِّرِينَ لَهُمْ
كَثِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تَسْتَعِزُّ بِأَحْوَالِ الْأَسْسِ؛ وَلَا أَدُلَّ عَلَى ذَلِكَ مِنْ حَتَفِ
الْفُضُولِ الَّذِي تَدَاعَتْ فِيهِ فَدَائِلُ مِنْ فَرِيشٍ وَتَعَاذَتْ عَنْهُ أَنْ لَا يَحْدُوا
بِمَكَّةَ مَظْلُومًا مِنْ أَهْلِهَا أَوْ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهَا إِلَّا بِصُرُوهُ وَلَدَى هَلْ وَه
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ شَهِدْتُ فِي دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُدَّادٍ
حَلْفًا مَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِهِ حَرُّ النَّعَمِ، وَأَوْ دَعَى بِهِ فِي الْإِسْلَامِ لِأَجْتِ» (١)
وَمِنْ قِيَامِ أَفْرَادٍ مِنْهُمْ يَنْكُرُونَ عَلَى قَوْمِهِمْ تَرْكُهُمْ لَدِينِ آبَائِهِمْ إِبْرَاهِيمَ
وَمَا صَارُوا إِلَهًا مِنْ وَثْنَةٍ وَشُرْكَ وَبَعْضِهِمُ الْأَحْجَرُ وَالْأَصْنَامُ (٢)

[illegible]

إِنَّ الْفُتُوخَ تَحَامُّوا وَأَعَادُوا إِلَّا فِيكُمْ مَضَى مَكَّةَ طَلَبُ

أمر عليه لعهدوا وتعاقبوا فالخبر وأمرهم وهم سالم

انہی ج ۱ ص ۹۱ و ذکر مثله ان جلدوں کی یہ ج ۲ ص ۳

(٢) قل من هاشم في سيرته . واجتمعت قرش يوماً في عهد هبة عند صم من
أصايبهم كانوا يعظمونه ويحرون له ويعتقون عدده ويذرون به وكان ذلك عبدا
لهم في كل سنة يوماً يخص بهم أربعة نفر تجيء . قال بعضهم لبعض تصادفوا ولكتم
نصصكم على بعض قالوا أحل وهو ورقة بن نوفل . وعبد الله بن حشيش وعائش .

ولعمري أن ذلك لثابتة إيدان من الله بظهور دينه وإعلامه به بأن
الوقت قد آن لعثة حاتم المرسلين، ومصطفى رب العالمين بالهداية والنور
« هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله »
وهكذا لم يعوز قريشاً لأن تظهر في التاريخ وتسود العالم زمناً طويلاً ،
وتحمل راية العدل والعرفان أحقاباً من الزمان إلا من يحكم ألفتها . ويجمع
قلوب العرب حولها ، ويجعلهم رهس إشارته وطوع أمره . فكان إرسال
النبي صلى الله عليه وسلم وظهوره فيهم جابراً لهذا القص ومظهراً لما كن
فيهم من مواهب واستعدادات ظهر أثرها في الإسلام تلك الفتوحات
العظيمة والأعمال الجليلة التي سنذكر طرفاً منها فيما سيأتي

فبيته

سو محروم (١) بطل من طون قريش كانت إليهم القبة والأعة (٢)
من مظاهر الشرف في قومهم . وفيهم العدد الكثير من ذوي العقول

= ابن الخوثر ويريد من عمرو بن هبل فقال بعضهم لعص بن عبد الواد
ما قومكم عنى لقد احتضوا دين أئهم إبراهيم ما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر
ولا يبصر ولا يسمع يا قوم اتمسوا لآلهكم فآلهم والله ما أنتم على شئ . فتمرقوا في اللدان
بدمسور الحسية دين إبراهيم ، فأما ورقة بن نوفل فاستحكم في النصرانية وانع الكتب
من أمها حتى عم عنها من أهل الكتاب ج ١ ص ١٤٥

(١) « شهرت القبة محروم دون أبيه لكثرة عمه دون أبيه بقطة ، صبح الأعشى
ج ٣ ص ٣٥٤ »

(٢) سيأتي من ذلك تحت عنوان : « خالد ومظاهر الشرف في قريش » « وقد
كان لهم وحدهم ثلاثون فرساً في عمرو بن عبد من مائة فرس خرجت بها قريش ، مغازى
الوفى ص ٣٢ أنساب الأشراف ج ١ ص ١٣٦ »

الراححة الذين توازي أحلامهم الجيال أمثال المغيرة بن عبد الله بن عمر
المعروف بالجود وأبي وهب بن عمرو الذي أدرك أن الكعبة وهي بيت
الله ، وفيها يذكر اسمه : لا يليق أن يدخل في بيئها ما ليس بالكسب
الحلال : فأشار على قومه - حين عزموا على سائها - قائل : « يا معشر
قريش لا تدخلوا في سائها من كسبكم إلا طيباً لا يدخل فيه مهر غني
ولا يبيع ربا ولا مظنة أحد من الناس » (١) وهو حال أبي رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان شريفاً مطيماً ولد بهول الشاعر :

ولو بأبي وهب أنحت مطيى عدت من مداه رحلتها غير حائث
أنى لأحد الضيم يرتاح للدى توسط حداه فروع الأظايب (٢)
وينحى شرف بني مخزوم ومكاتهم في قريش وأصح جلي حيسا
أرادت قريش بناء الكعبة فجزأتها بين فئتها فكان ربعها ما بين الركين :
الأسود واليماني من نصيب بني مخزوم . وهذا والله هو السؤدد ومهابة
الشرف (٣)

ولقد بلغ من شرفهم ، ورفيع مراتبهم في قريش أنهم كثير ما كانوا
يبارتون بني هاشم - وهم ما هم في قريش - السيادة والشرف ، والدخول
إلى ما كان يلهم به كبراً وهم يتبين له ذلك بخلاء ووضوح وحسباً مما له

(١) قال في الروض الآف : وهذا يدل على أن العرب وهم وبنو عبد الله كانوا يحرمون ما
عليهم يعمون ذلك بقوله من هذا شرح إبراهيم عليه السلام ، ج ١ ص ١٣١
(٢) وهو أبو وهب بن عمرو بن عائذ بن عمرو بن مخزوم - سيد بني هاشم

ج ١ ص ١٣١ ، الطبري ج ٢ ص ٢٠٠

(٣) اليعقوبي ج ٢ ص ١٨ ، ابن هشام ج ١ ص ١٣١ ، الطبري ج ٢ ص ٢٠٠
غير أن الطبري وابن هشام لم يجعلوا هذا الركن خالفاً لغيره وحدهم بل شاركه
فيه غيره من قبائل

أني جعل حسداً لبي هاشم أن يكون الذي يبيعه منهم دون بي مخزوم إذ
يقول: «فأطعمنا لطفه وأطعمتم (يعني بي هاشم) وأزدهمت الركب،
وسعدت بحد فك كهرمي رهان فتمت مني» (١)

أليس منهم من لم يطع نفسه أن يحصر بنو هاشم والمطلب في شعب
أو طاب. وأن يتركوا أمه وأجواء فدعاه داعي الانسانية في سراعاء،
واسحبه ربه أن يكون أول من بدأ في الكلام في نقض الصحيفة
الخائرة الظالمة (٢)

وأخو بي مخزوم هو الذي سادته فريش رميلاً لعمره من العاص
لوقده من لحيته في أرحاع من هجر من المسلمين إلى الخشعة إلى
قومهم. وأراد فريش له في مثل موقعا من المسلمين لدليل قائم على
أن الذي المحرم يحمس "الهدية على الذلوك ومفاوضتهم وهو كعب
للاصطفاة من من يأم خطار حد في نظرها (٣)

ومناشعة سادو مكرهم في فريش أن أوامر المصاهرة ذات
مادته منهم ومن بي هاشم - وهم سادو فريش - فمن ذلك أن عكة
تت عند منصب كانت تحت أن مدة من المعيرة وأحب منه رهبري أني

(١) معر من ص ٢٣

(٢) ١٠٠ حيث تحضض عليه بقول فريش وفي طعنه وكنت مدبث تحييه عندها
على سكة "كعب" على "منهم" فكان رهبري أن أمية من المعيرة أول من بدأ في شيا
كما في نصها "نصري" ح ٢ ص ٢٢٨. ان هاشم ح ١ ص ٢٢٢

(٣) وسواء كان رسول مع عمره من العاص هو عماد من الولد أخو خالد
ان ولد أو عماده من أن ربه هو على كلا الروايتين محرمي وسب في عماد الكلام
على اخوة خالد تفصيل لذلك

أمية لدى بدأ قريشاً بقض الصحيفة الظلمة . كما أنهم آل فاطمة بنت عمرو بن عائذ المخزومية أم عبد الله بن عبد المطلب^(١) وأبدر رسول الله صلى الله عليه وسلم : فهم أحوال أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصهار عظيم قريش وسيدها عبد المطلب بن هاشم . ويكفيهم شرفاً وخرافاً أن النبي صلى الله عليه وسلم أصبر إليهم ، فخرج منهم أم سلمة وميمونة^(٢)

وكما كان بنو مخزوم على حاش كير من الحاء والشرف في قومهم كانوا كذلك من أهل النزاهة والأموال في قريش يدل لذلك ما حكاه الواقدي في أثناء كلامه عن غير قريش وعروة بدر بقوله : . وقال كان لبني مخزوم فيها مائتا بعير وخمسة أو أربعة آلاف مثقل ذهب^(٣)

ولقد كان منهم الكثير من السامين للإسلام الفارين بدينهم انشده مرضاه الله . فهاجر منهم إلى الحبشة ثمانية نفر^(٤) وحسبهم أن يكون منهم أبو سمية بن عبد الأسد ، والأرقم^(٥) بن أبي الأرقم . فقد كان

(١) وهي أم عبد الله . أن صاحب . التاريخ وجمع باب عبد مصنف سوي صفة .
ابن هشام ج ١ ص ١٨ ، المعري ج ٢ ص ١٧٣ ، ابن الأثير ج ٢ ص ٢
(٢) الطبري ج ٣ ص ١٧٧ ، ١٧٨ ، ابن هشام ج ٢ ص ٢٥٥ ، ٢٦٧ ، ابن الأثير ج ٢ ص ٢١١

(٣) المعري نو فدي ص ٢١

(٤) ابن هشام ج ١ ص ٢٠٦

(٥) كان . سبعة عشر تسعة سقوا للإسلام كما كان الأرقم الثاني عشر إسلاماً على ما رواه ابن هشام ج ١ ص ١٦٥ وسابع تسعة على ما رواه ابن سعد ج ٣ ص ١٧٣ وكان أبو سمية ابن عمه رسول الله ﷺ وأخوه من الرضا عنه أرسفته هو وأبى بكر وعمر . بن عبد المطلب ثوبه مولاه بن لطف وقد استنعمه النبي ﷺ على المديته حين خرج لعروة العشرة كما أنعمه بده اشريقة حين مات . وهلك الآخر . ثم بالمدينة سنة خمس وخمسين وهو ابن سبع وثمانين سنة وصلى عليه سعد بن أبي وقاص بن سعد

أبو سلة من السابقين للإسلام وفي طليعة المهاجرين للجنة ، كما كان
 أول المسلمين هجرة للمدينة . وكفاهم شرفاً وحرراً أن يكون الأرقم منهم
 وأن تكون داره هي المسجد الأول لجماعة المسلمين يعدون الله فيها خفية ،
 وفيها يجتمعون ، وإليها يلجأون

والناظر إلى الشكاين رقم ٣ . ٤ يتبين مقدار حظهم من الرجال
 العظام وأن نصيبهم من عية القوم كان موفوراً غير منقوص . « وما زال
 منهم جماعة بصعيد مصر بالاشتموين وفيهم بأس وشدة »
 وقد يكون من الحسن بعد أن ذكرنا كلمة محبة عن فيلته وما كان
 لها من شرف ورفعة في قريش أن يخص عمومته بكلمة تبين ما كان لهم
 من سيادة ومبرلة في قومهم

عمومة خالد

كان لعمومته في قريش مبرلة أي مبرلة كانوا في طليعة قومهم مجداً
 وشرفاً . وكرماً وثرماً .

فكان أبو أمية بن المعيرة صاحب الفضل في حسم الخلاف الذي
 نشأ بين فائل قريش حينما احتضنت على وضع الحجر الأسود وهي تنبئ
 الكعبة ورادت كل قبيلة أن تكون صاحبة الفصل والشرف وحدها

ج ٣ ص ١٧٣ ، ١٧٤ ، ح ١ ص ١٦٥ ، ٢٠٦ . ح ٢ ص ١٤١ ، ٥٧
 والطبري ج ٢ ص ٢٢٢ ، ٢٤٢ . أساب النبئين ح ١ ص ٧ ودار الأرقم ح ٢
 لصفي سفع أني قبس في رفق غير متسع وهي موجودة الآن وكانت في أيام الأتراك
 مكتبة لتعليم الأصناف والنوم يسكنها أحد التجدين كما أخبرني بذلك أستاذنا الشيخ
 عبد الوهاب البحار وهي أثر له خطره وقيمتها خدائو يعرف ذلك المسلمون

في وضعه . وغدت الحرب بينهم قاب قوسين أو أدنى : فأشار عليهم
 - وكان أسنهم - بأن يرتضوا حكما بينهم أول داخل من باب المسجد^(١)
 كما كان معروفاً براد الراكب . لا يزود من رافقه في سفره لفرط حوده
 وكرمه^(٢) . ومات قبل أن يدرك الاسلام . وقد رثاه أبو طالب نأيات
 معها : -

ألا إن زاد الراكب غير مدافع سرور سنجيم غيته المقار^(٣)
 ورثاه أبو أحيحة بقوله : -

ألا هلك لما جد أرفد وكل فريش له حامد
 ومن هو عصمة أيتام وغيث إذا فقد الراعد^(٤)
 ولقد بلغ من كرمهم وحودهم أن المالك بن المعيرة كان له بيت
 لصباقة يعشاه الناس من غير أدبه^(٥)
 وكان أبو حديفة بن المعيرة محروم حين أرادت فريس الحكيم

(١) كان حسن حظ فريش أن كان أول من أحس هو . سؤل أنه حتى الله عليه وسلم
 فما أن رأوه حتى فرحوا وقلوا . هـ . لأمين قد رصده هذا محمد .
 ابن هشام جزء ١ ص ١٣٢ . الطي ص ٢٠ ص ٢٨١ . ان الأثير جزء ٢ ص
 ٢٩ ابن خلدون جزء ٢ ص ٥

(٢) بلوغ الأرب للألوسي جزء ٢ ص ٤١٥ . ودكر في صحح الأعشى أن راد
 الراكب هو أبوه المغيرة بن عبد الله . جزء ١ ص ٤٥١
 (٣) سرور سنجيم - هي اللد التي مات فيها أبو أمه حين حرق تحاره إلى الشام .
 بلوغ الأرب للألوسي جزء ٣ ص ٢١٥

(٤) السيرة الحلبية جزء ١ ص ١٦١
 (٥) ولقد كهدا حادثه طريقه مع روحته وقد وحدها نائمة في بيت الصباقة ذكرها
 صحح الأعشى جزء ١ ص ٣٩٨

في وضع الحجر الأسود أحد الأربعة^(١) الذين أخذوا بطرف من الرداء
الذي جعل فيه "نبي يميني" حجر الأسود فوضعه في مكانه

كما كان هشام بن المغيرة من سادات قريش وأشرافها وهو قائد
بني مخزوم في حرب الفجار . وكان يقف له فارس الطحاة . وكان مهيباً
عظيماً حُرمت عليه كل أنثى من بني قريظة ، وعدوا موته خطباً
دائماً . وقد ذكر المقدسي : أن هشام بن مغيرة بن قيس بن كلاب
وأن فرثاً لنا كانت تخرج بعد موت هشام من موته^(٢) وهو الذي
بعثه السعدي بقوله .

وأصبح بطن مكة ممشعاً . كان لأرض لسها هشام^(٣)
وهذا وأليك حياة من وفاة أحد (انظر الشكل رقم ٤)

إخوة خالده

احصى المفردات في عدة حروب . منهم من قال عشرة^(٤) ومنهم
من قال ثلاثة ومنهم من قال سبعة كلهم ذكر . ومنهما يكن أمر هذا
الاحتمال فصرح الثوري (ابن جرير) أن له إخوة عدة وأهم كانوا
مترفين في سعة من عيش وروثة الحال . سعى والدهم بؤيتهم وسدوا لنا

(١) الأربعة هم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس . ولأسود بن عبد المطلب بن أسد
ابن عبد المطلب . وبنو جدته بن معوية بن عمرو بن مخزوم . وقيس بن عدي السهمي
مقبول حرمه ٢ ص ١٩ . حيدر بن عبيد بن قيس بن نضلة الخزرجي . مروح الذهب
بمسعودي ج ١ ص ٣٩٧

(٢) سادات القرشيين لمقدسي ج ٢ ص ٢٤٨

(٣) نوع لأرب الألوحي ج ٢ ص ٢١٥

(٤) من قبل ذلك في الذين تبارزوا في تسميته ج ٨ ص ١٨٧

أن من قال بأنهم سبعة ذكور أقرب إلى الواقع لأننا بعد البحث في العزوات
وتتبع الحوادث التي تقدمت الإسلام والتي جاءت بعده لم نعثر على أكثر
من هذا العدد. وهناك أسماؤهم وسنة عن كل واحد منهم.^(١)

(١) العاص (٢) أبو ففس (٣) عبد شمس (٤) عماره (٥) هشام
(٦) الوليد (٧) خالد وهم إحوته لزيد كور. وفاطمة وفاحنة. وهما
أحداه من لاث

ويظهر أن العاص مات صغيراً في سن يسه ذكره وقيل أن يحيى
الإسلام. وأبو ففس كان قد أسلم ثم قتل عن دية وقتل كاهن أسدر قتله
حمرة وقيل على يوميه في مثله بل قوله تعالى: إن الدين لله وهو الملائكة
طالبى أنفسهم.^(٢)

وعبد شمس هو الذي كان كفى به ولده إلى الدين المعيرة.^(٣)
وعماره هو الذي أرسله قريش مع عمرو بن العاص لاحتش الحشة
لهم من هجرته من الحبشة. وهو الذي حين أرادت الخلاص من
رسول الله صلى الله عليه وسلم مشته إلى أي طالب وقالت له: هذا
أبنتى في فريش وشعره وأحمله فحبه فلت عمة..... وهو

(١) في جزء من المرحوم من صرح يذكر أسماءهم جميعاً وقد التفتوا أسماؤهم لفظاً
من الحوادث في كان لهم فيها. كالمكر لالوسي في تفسيره (جزء ٩ ص ١٢٢)
ذكر السبعة المذكورين ذكرهم

(٢) من هشام جزء ٢ ص ٧٥ ١٠٣

(٣) معاري الوافدي ص ١٤٧ نسب الأشراف جزء ١ ص ٦٠ من الأثر

جزء ٢ ص ٤٨ من جلدون جزء ٢ ص ٢١

(٤) الطبري جزء ٢ ص ٢٢٠ من هشام ح ١ ص ١٧١

اعتراف صريح من قريش بأن ابن الوليد له مراتب عالية من أجله وأود
اهلا لأن يكون عدلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن يكون رسولهم
للنجاشي لرد من هاجر من قومهم إليه^(١)
وقد أسلم خالد وأخوه الوليد وهشام. وكان هشام في بدئه من
المؤلفة قلوبهم^(٢) ولوليد كان من المستضعفين وفر بدينه إلى المدينة
فدمت أصعبه من المشي فقال:

هل أنت إلا صعب دميت وفي سبيل الله ما لقيت
وهو أقدم إسلاما من أخوه خالد وهشام، ومن الذين كان يدعو
لهم النبي صلى الله عليه وسلم في قوته وقد كان محبا إليه كما كان له اليد
الطولى في إسلام أخيه خالد^(٣) الذي أسلم وكان له شأن من الشؤون كما
سنبينه بعد

وأخيه فاطمة أسلمت يوم الفتح وبايعت النبي صلى الله عليه وسلم
وهي روح الخريت بن هشام المخرومي وفاحة كانت تحت صفوان بن
أمية وأسلمت قبله شهر^(٤) طار رحمه (٥)

(١) ذكره ابن سعد في بعض كتب التاريخ (مثل رواه الطبري في
تاريخه ج ٢ ص ٢٢٥) وهو مع غيره هو بدر بن أبي ربيعة
وهو من بني حنيفة كان عمه دمه في بدر له ثلث من نصيب
لبنى ربيعة بن ربيعة ج ١ ص ٢٢٢ ج ٢ ص ٢٦٦ وفي ذكر
الرسول مع عمه وهو عم ربيعة بن ربيعة ج ٣ ص ٣٤ "مقور ج ٢ ص ٢٨
والروض لألف ج ١ ص ١٧١

(٢) يروى ابن هشام ج ٢ ص ٣٠٩

(٣) سابق من ثمة في ذلك ج ١ كلام عن إسلام خالد

(٤) الأسابيع ج ٢ ص ٧٧٥، ٧٧٦، ص ٣ ص ١٠ ص ١٢٢

والدته

أمه هي لبانة الصغرى بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهزم بن ربيعة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة^(١) يتصل نسبها بقيس عيلان بن مضر (أنظر الشكل رقم ٢) واختلف في إسلامها وصحتها ورحح صاحب الإصابة إسلامها سواء على أنها عاشت إلى زمن عمر، وندبت اسمها خالد^(٢) ولكن لم يؤيد ابن حجر في ترجيحه إسلامها من يعتمد عليه من المراجع التي اطلعنا عليها وكان لها أخوات ثمان وهن :-

١ - ميمونة بنت الحارث روح التي صلى الله عليه وسلم، فلخالد خالة هي إحدى أمهات المؤمنين

٢ - أم الفضل لبانة الكبرى بنت الحارث روح العباس بن عبد المطلب التي يقال إنها أول امرأة أسلمت بعد حديجة والتي أنجبت فلم تلد امرأة مثلها، ومن ثم قال فيها الشاعر :

ما ولدت بحية من خلل بحمل نعله أو سهل
كسته من بطن أم الفصل أكرم بها من كهلة وكهل
فأولاد العباس من لبانة أبناء خالة خالد بن الوليد

٣ - عصماء بنت الحارث روح أنى بن خلف الجمحي وولدت له ابان وغيره

٤ - وعزة بنت الحارث زوج زياد بن عبد الله بن مالك الهلالي .
قال ابن عبد البر :

(١) الاستيعاب جزء ٢ ص ٧٨٠

(٢) الإصابة جزء ٨ ص ١٧٨

« لم أر أحدا ذكرها في الصحابة وأصحابنا نذكر الإسلام »

٥ - هرة بنت الحرث زوجت في لأعراب وهي التي أهدت إلى أختها مروة الصديب ولايط والسمير

٦ - أسماء بنت عميس كانت تحت جعفر بن أبي طالب ثم حلف عليها أبو بكر الصديق ثم حلف عنها على بن أبي طالب^(١)

٧ - سنان بنت عميس كانت تحت حمزة بن عبد المطلب ثم خلف عالم بعده سداد بن مسامة بن الهذيل^(٢)

٨ - سلامة بنت عميس كانت تحت عبد الله بن كعب بن مسعود الحنظلي^(٣)

فهن ست أخوات لأب واربعة أخوات لأم وفيهن يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الأخوات مؤمنات »^(٤) وأخوهن لأمهن حمزة بن جزء بن عبد يعوث "رئيس حليف بني سهم" وكان قديما للإسلام وهاجر إلى الحبشة وكان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأنحاس واستوهب النبي صلى الله عليه وسلم من أنى قعدة جارية وضيئة فوهبها له وذكر الكافي أنه شهد بدرا وفل لواقدي أول مشاهدته المريسيع^(٥)

وأمه كلهم هدة بنت عوف بن رهير بن الحرث بن حماسة الحميرية

(١) أنساب الأشراف جزء ٢٠ ص ٢١٤ - ٢١٦ الأسيعاب ج ٢ ص ٧٦٨ ،

٧٧٩ ، ٧٨٠ ، ٧٨٦ السبيل جزء ٢ ص ٧٨ ، ٧٩٠

(٢) أنساب الأشراف جزء ١ ص ٢١٦ الأسيعاب جزء ٢ ص ٧٧٩ ، ٧٨٠ ، ٧٨٦

(٣) الروض الأنف جزء ١ ص ١٦٨

(٤) الإصباح جزء ٦ ص ٦٧ طبرى جزء ٣ ص ١٠٦

أو الكنانية^(١) التي قيل عنها: «إياها تكرم أسس أصهار آء»^(٢) والناظر إلى الشككين رقم ٢، ٦ يدرك بجلاء ما لأمة من شرف ونسب، فهي تنسب إلى قبيلة من أعرق لغات الحضارة، تكبرها، وقوانين الوراثة تحكم بأن من له مثل هذا النسب واحسب لانه وإن يكون له أثر في نفيه ومظهر في أخلاق درته، انظر شكل رقم ٦

والده

أبوه هو عبد شمس الوليد بن المعين المحرومي صاحب العقول الراجح، والمنطق الفصيح، والشرف الزويع، والحدود العرض، ورياسة قريش وسريتها. يدل لعقله وعظيم شرفه أنه كان أحد حكام قريش في الجاهلية^(٣). وثالث ثلاثة احتجب كل واحد منهم عنه - مدة وادعى الرياسة بعد موت عبد المطالب^(٤) ومن حرم على نفسه الخمر من الإسلام^(٥)، وأول من قطع في السرقة وجاء الإسلام بغيره

هو عدل^(٦) قريش كان يكسو النكعة وحده عما وفريش بأسرها

(١) الاستيعاب جزء ٢ ص ٧٨٠ - كتاب الألف و جزء ١ ص ٢١٤

(٢) البقاعي ١٠ ص ٤١

(٣) البقاعي ج ١ ص ٣٠٠

(٤) البقاعي ج ٢ ص ١٣

(٥) السهلي جزء ١ ص ٢٨٣ ن قال في صحيح البخاري أنه أول من حرم الخمر في

الجاهلية جزء ١ ص ٤٣٥

(٦) صحيح البخاري جزء ١ ص ٤٣٥

(٧) وقال صاحب أسانيد الأشراف: «وإنما سمي عدل لأنه يقال إنه يعدل

فرشها كلها، ويقال إن قريشا كانت تكسو النكعة فيكسوها مثل ما تكسوها كلها»

جزء ١ ص ٦٠ - السيرة الحلبية جزء ١ ص ٣٤٧

تكسوه عاماً . وهو الذي كان يطعم الدس في مي ويهني أن توقد نار
غير ناره للاطعام . وهو الذي كان يوسع الصفقة على الحجيج ويأتيه
المدح والثناء من الأعراب ^(١) هو صاحب المال الممدود الذي قدر بشئ
عشر ألف دينار فصاعداً ^(٢) هو صاحب البساتين التي تمتد من مكة إلى
الطائف والتي منها ما لا يقطع ثمره طول العام ^(٣)

هو الذي بلغ من عريته أنه حينما أرادت قريش ساء الكعبة وتهدت
جميعها هدمها أحد المعول ثم قام عليها وهو يقول : اللهم لم ترع اللهم
لا يريد إلا الخير ^(٤) وكان شديد التمسك بمعتقد متعانيا في تعظيم الكعبة
يدل لذلك أنه كان لا يدخلها متعللا بل قيل إنه أول من حلق عليه عند
دخولها ^(٥) ولعل تحمسه لديه وتشده فيه كان من أهم الأسباب التي
جعلته يقف في وجه الاسلام ، وبإيادى صاحب الرسالة صلى الله عليه
وسلم : ولذا فانا نراهم في طليعة أشراف قريش وعظماؤها الذين مشوا إلى

(١) السيرة الخليلية ج ١ ص ٢٤٧

(٢) راجع قصير قوله تعالى . . . جعلت له مالا كثيرا . . . ونسب إلى جده ص ١٧٣

(٣) السيرة الخليلية ج ١ ص ٢٤٧ ولكن أسادنا أشبج عبد الوهاب استبعد

ذلك وأنه قد قوله . . . ما يستين من مكة . . . فلا توجد إلا في ميام ، والمساواة

ليس فيها مساواة إلا في حق كذا . . . وهو على أكثر من مرحلة من مكة ومرتفع

جدا . . . وأسادنا إنما يدرك . . . شجرة في حخته عام ١٣٤٩ هـ ولكن ليس بعيدا أن

يكون الحال قد تغير بعد الطبيعة كما أنه ليس لازم من أن هذه البساتين تمتد من

مكة إلى الطائف أن تكون مصصة لا تنصع فيها

(٤) الضمن ج ٢ ص ٢٠١ ابن هشام ج ١ ص ١٣١

(٥) صحيح لأعني ج ١ ص ٢٢٨

أنى طالب يطلون منه أن يكف ابن أخيه صلى الله عليه وسلم عن تسفيه
أحلامهم وعيب آلهتهم^(١)

هو الشخص الذى كان الرسول صلى الله عليه وسلم حريصاً جد
الحرص على إسلامه ، وكان يرى أن فى إسلامه عزاً للإسلام : حتى لقد
بلغ من حرصه على إسلامه أنه لم يلتفت إلى ابن أم كلثوم حين جاءه طالبا
أن يعليه الأمر الذى أدى إلى غتاب الله له بقوله : « عبس وتولى أن جاءه
الاعمى وما يدريك لعله يزكى »

هو الذى نزل فى جواره عثمان بن مظعون الجمحى حين رجع من
الحشة إلى مكة فقد فى مأمن من إبداء قريش - لأنه فى جوار الوليد
العظم فيها - وقال فيه حين رد عليه جواره رضى بجوار الله : « قد وجدته
وفياً كريم الجوار »^(٢)

ويحلى لنا شرف الوليد وعزه فى قومه ، وأنه لو أسلم لتعته قريش
فى إسلامه أنه لما سمع القرآن مرة وقال فيه : « إن له لحلاوة ، وإن
عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمعدق ، وإنه يعلو
وما يعلو عليه »^(٣) اضطربت قريش وقالت : « صأ والله الوليد لتصأن
قريش كلها » . فأتت ترى أن مجرد اعتراف الوليد بأن القرآن ليس

(١) نظرى جزء ٣ ص ٢١٨

(٢) سره ابن هشام جزء ٢ ص ٢٣٠

(٣) سره ابن هشام جزء ١ ص ١٧٣ . نصيب الحوى وأبو كثير ونظرى وغيرهم

مع اختلاف فى عطف الزوائد

كلاماً عادياً اضطربت له قريش . وحافت أن يدخل الوليد في الاسلام .
فتتعه قريش وتسلم كلها بسلامه . وإن رحلا له هذه المكاة ، وتلك المنزلة
بين قومه فهو بحق قين بالشرف والرفعة . وفي الحق أن الذي يتصف بما
ذكرنا ويصف القرآن بما وصفه به الوليد كان يجب أن يكون في طليعة
المصدقين بهذا القرآن المبين لدعوته ولكن كبرياء قريش وعزها هو
الذي حال دون ذلك « فاهم لا يكذبوك ولكن الظالمين بآيات الله
يجهلون » : فقد كان الوليد من ذوى الأسان والشرف في قومه ، ومن
الخسة الأولى كانوا كبار المعادين للرسول صلى الله عليه وسلم المستهزئين
به . وفيه وفي صحبه نزل قول الله تعالى : « إنا كفيناك المستهزئين الدين
يجمعون مع الله إلها آخر فسوف يعدون » (١)

هو الذي كان يسميه قومه « الوحيد » (٢) ، لتفرده فيهم بتلك المزايا التي
أسلموا . مات بعد الهجرة بثلاثة أشهر وله من العمر خمس وتسعون سنة
ودفن بالحنون (٣) وكان سبب موته أنه مر برجل من حراقة يريش نبلا
له فوطى على سهم منها فخدشه فمات من خدشه هذا وأوصى بيه أن
يأخذوا دية من خزاعة فأعطت خزاعة دية (٤) قال صاحب الهمزية :
وأصاب الوليد خدشة سهم قصرت عنها الحية الرقطاء
وكانت له بعد وفاته أموال كثيرة في ثقيف بالربا فطدها منهم خالد

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٣٥ ، ٢٤٢

(٢) أساب الأشراف ج ١ ص ٦٠ ، السيرة الحلبية جزء ١ ص ٢٤٧

(٣) أساب الأشراف ج ١ ص ٦٠

(٤) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٥٥ ، أن لاثير ج ٢ ص ٤٨ ، السيرة الحلبية

تنفيذاً لوصية آية فلما أسلمت ثقيف وبرل قول الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما في من الرما إن كنتم مؤمنين ، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله . وإن تبتم فليكن رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون وكله رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك : كف عن طلب ما بقي من الرما واكتفى برأس المال غير طالم ولا مظلوم ^(١) هذا وقد برلت في الوليد عدة آيات ^(٢) من القرآن الكريم هي في حملتها وصف بين لما كان عليه الوليد من الشرف والجاه والمنزلة السامية في قومه ، منها : —

١ — قول الله تعالى : « ولا تطع كل حلاف مهين همار مشاء نعيم مناع للخير معتد أثيم ، عتل بعد ذلك زيم . أن كان ذا مال ودين : إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين . » فهذه الآية صريحة في أن الوليد كان ذا مال ودين وأنه لثروته وكثرة عقه كذب واستكبر ^(٣)

٢ — وقوله عز وجل : « لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ^(٤) » اعتراف من قریش بحكمته لما القرآن بأن الوليد كان

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٥٧

(٢) هذه الآيات منها ما كان خاصاً بالوليد ومنها ما برل في جمع وهو واحد منهم . ونحن في مثل هذه الآيات نغاضي عن أنها برلت على سيد التهديد والوعد وأحد منها ما يخصها وهو الدلالة على سباده وشرفه وجاهه وعظيم منزلته

(٣) راجع الفخر الرازي ج ٨ ص ١٨٧ سورة انف

(٤) وقد رد الله عليهم بقوله : « أم يقسمون رحمة ربك نحن فسمما بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا . ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات لينخذ بعضهم بعضاً سجرياً ورحمة ربك خبير بما يجمعون » ان هشام ج ١ ص ٢٢٦ أسباب الأشراف ج ١ ص ٦٠ ، تفسير الفخر الرازي ، والغوى وان كثير والالوسي وسيرهم سورة الخروف

فيهم عظيماً وبإسهم يعتقدون أن لو كان ثمة من يزل عليه وحى من السماء
لكان الوليد أجدر به وأحق من محمد لعظمته ومزلته بين قومه
٣ — وقوله حل شأنه : ذرى ومن خلقت وحيداً وحملت له مالا
مدوداً وثنين شهوداً ومهدت له تمهيداً إلى قوله إن هذا إلا قول
البشر^(١) شهادة من الله بأن الوليد أوتي بسطة في المال والولد والجاه
والحسب.

هكذا ولد خالد بن الوليد من أويين شريطين بلغا الذروة في المجد
والمكانة السامية بين قومهما ، وشب وترعرع في تلك البيئة التي تعتبر
محقق أرقى وأقوم بيئة في بلاد العرب في ذلك الوقت . بيد أنه من بني مخزوم
اهل الشجاعة وقوة الشكيمة ، وأصحاب الفة والأعة في قريش : فليس
عريباً أن ينشأ نسل هذين الأويين ، وغراس تلك البيئة على خير ما ينشأ
عليه الفتيان حظيراً عظيماً ، ذا شرف ورفعة ، وعقل وحزم ، وشجاعة
وإقدام ، وخبرة بالحروب وأساليبها يدون له التاريخ أعظم صفحات
المجد والفحار

خالد ومظاهر الشرف في قريش

سبق أن قلنا ان قصي بن كلاب علب خزاعة على مكة وأجلاهم عنها

(١) أصبح لأفوال فيها أنها رأت في الوليد من المعيرة بل قبل كونها فيه متفق عليه
أسباب الانشراح ح ١ ص ٦٠ أساب التبريل للوحدى ص ٣٣٠ تفسير الفجر
الرازي وابن كثير ، والعوى ، والأوصى وغيرهم سورة المدثر . وقال السهيلي في شرح
هذه الآية (وثنين شهوداً) أي مقامين معه عبر محتاجين إلى الأسفار والغية عنه
لأن ماله محدود وادل لمحدود . عدده اثنا عشر ألف دينار فصاعداً - الروض الأنف
ح ١ ص ١٧٣

وأُزيل قریشاً بها، ومن ثم صارت له رئاسة مكة والبيت الحرام . وكان مظهر هذه الرئاسة أموراً ستة : —

١ — رئاسة دار الندوة : وهو الذي أشأها وسبها في مواجهة الكعبة . وكانت تجتمع فيها مشيخة قریش لتفصل في مهم أمورها

٢ — اللواء : كانت قریش لا تعقد راية للحرب إلا بيده

٣ — حجابة الكعبة . كان ذو الذي يفتح لها وهو الذي يلي أمرها

٤ — السفاية : وهي سقاة الحاح في موسم الحج

٥ — الرفادة : وهي عارة عن حرج كانت تخرجه قریش في كل

موسم من أموالها لفصى فيصنع به طعاماً للحاح : فبكل منه من لم يكن له سعة ولا زاد

٦ — القيادة : وكان ذو أو من يوب عنه الذي يولي قيادة الجند

في الحرب

ولما توفي نضى أوصى لابنه عبد الدار ، كان بي من مصالح قریش والكعبة فدا توفي عبد الدار وقع إخلاف بين أبناء وبين أحببه عبد مناف وفترقت قریش فرقين : فرقة تنصير أبي عبد مناف وفرقة تنصير لبي عبد الدار : فكان من ذلك حلف المطيرين وهو حلف بني عبد مناف مع حلفائهم ، وحلف الإخلاف أو حلف لعنة الدم وهو حلف بني عبد الدار مع حلفائهم ، ثم تراصوا وتدعوا إلى قسامة هذه المصالح بينهم ، عد أن كادت الحرب تقع بينهم^(١) . ثم صار بعض هذه المصالح إلى طون

قريش . وإنا نورد هنا ما قاله المؤرخون ^(١) تفصيلاً لمظاهر الشرف في قريش ، ونصيب كل قبيلة منها ونبياناً لما كان يليه خالد من هذه المظاهر ، فقد ذكروا أن من انتهى إليه الشرف من قريش في الجاهلية فوصله بالاسلام عشرة رهط من عشرة أبطن وهم :

« هاشم ، وأمية . ووقل ، وعبد الدار ، وأسد ، وتيم ، ومخزوم ، وعدى ، وجمح ، وسهم . فكان من هاشم العباس بن عبد المطلب يسقى الحجيح في الجاهلية وتبقى له ذلك في الاسلام . ومن بني أمية أبو سفيان ابن حرب كانت عنده العقاب راية قريش وإذا كانت عند رجل أخرجها إذا حمت الحرب فإذا احتنمت قريش تلى أحد أعطوه العقاب وإن لم يحسموا على أحد رأسوا صاحبها فقدموه . ومن بني نوفل الحارث بن عامر وكانت إليه الرقادة وهي ما كانت تخرجه من أموالها وترفده بمنقطع الحاح . ومن بني عبد الدار عثمان بن طلحة كان إليه اللواء والسدانة مع الحجابة ويقال والدوة أيضاً في بني عبد الدار . ومن بني أسد يزيد بن زمعة . والأسود وكانت إليه المشورة ؛ وذلك أن رؤساء قريش لم يكونوا مجتمعين على أمر حتى يعرضوه عليه فإن وافقه ولاهم عليه والا تخير وكأولاه أعواناً واستشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطائف . ومن تيم أبو بكر الصديق وكانت إليه الأشناق وهي الديات والمغارم فكان إذا احتمل شيئاً فسأل فيه قريشاً صدقوه وأمضوا حمالة من همض

(١) تاريخ ابن عسكركر ص ٧٠٤ من المجلد الثالث . المقدسي جزء ٢ ص ٢٢٧
 الجزء الثاني ص ٣١ مع تفاوت في بعض الألفاظ وقد أثبتنا رواية العقدالعريد
 في الأصل لوصوحها

معه ، وإن احتملها غيره خذلوه . ومن بنى محزوم خالد بن الوليد كانت إليه القبة والأعنة : فأما القبة فاسم كانوا يضربونها ثم يجمعون إليها ما يجهزون به الجيش . وأما الأعنة فإنه كان على خيل قريش في الحرب . ومن بنى عدى عمر بن الخطاب وكانت إليه السفارة في الجاهلية وذلك أنهم كانوا إذا وقعت بينهم وبين غيرهم حرب بعثوه سفيرا ، وإن نافرهم حتى للمفاحرة جعلوه منافرا ورصوا به . ومن بنى جمح صهوان بن أمية وكانت إليه الأيسار وهي الأزلام ، فكان لا يسق بأمر عام حتى يكون هو الذي تسييره على يديه . ومن بنى سهم الحارث بن قيس وكانت إليه الحكومة والأموال المحجرة التي سموها لأهلهم .

ف هذه مكارم قريش التي كانت في الجاهلية يتوارثونها كابرا عن كابر ، وكان كل شرف من شرف الجاهلية أدركه الإسلام وصله لهم .

صناعته

١ بحث في كتب التاريخ التي اطلعنا عليها من صرح بصاعة لخالد قل إسلامه يد أنه يمكن بعد أن أثبتنا لآييه تلك الثروة العظيمة والمال الوفير أن نقول : إن أساء ذلك الرجل الثرى صاحب الضياع والبساتين التي لا يقطع ثمرها طول العام ليسوا في حاجة إلى الاحتراف بصاعة أو تجارة ، إذ الاحتراف بأحدهما إنما يكون عالما طلبا للرزق والمعاش أو سعيا وراء الثروة وكلا الأمرين موفور ميسر له لأن مال آييه يفيض على غيره ، وعطاياه تغدق على من سواه .

ونستروح لهذا بقول السهيلي تفسيرا لقول الله تعالى : • ونئين

شهودا ، أى مضمين معه غير محتاجين إلى الأسفار والعبء عنه لأن ماله
ممدود^(١) ويرشح قول السهيلي هذا ما ذكره 'المفسرون كالألوسى وغيره
فى تفسير الآية الكريمة يمكن بعد هذا أن نرجح أن خالدا لم يكن
محترفا فى جاهليته .

وإذا نحن نظرنا لأبناء الأعياء فى القرى والبلاد الريفية التى يغلب
على أهلها طماع الداوة والى هى قرية الشبه بحال العرب فى جاهليتهم
وحدا أن همهم مصرف لأعمال القروسية ، وركوب الخيل ، والمهارة
فى الفوق على من عداهم فى تذليل صعوبتها وسياسة جامعها ، وكل من اختص
بالأعراب المذنبين فى الصحارى وهم صورة لا بعد كثيرا من عرب
الجاهلية . وحر ما عليه أبناء ساداتهم وكبرائهم ، وعرف أن شغلهم
الشاعل هو ركوب الخيل والعدو وليسوق حتى إن أحدهم ليقوم بخدمة
فرسه عسسه ولا يكل ذلك إلى خادمه الذى يأمره على مأكله ومشربه
لدرك سهوله أن أبناء الأشراف همهم أن يكونوا فاسدا ودفى .

وقد يكون من السهل بعد هذا التمهيد أن نقول : إن خالدا كان فى
جاهليته كبناء الأشراف همهم الخيل وركوبها وندلسها وتصريف اعتبارها .
ولئن كان ذلك مستحسنا لأبناء السادة فهو لحالده أحسن وأمر لأن فيلته
— بنى محروم — كان حظه كأيام من مظاهر لشرف فى فرش القبة
والأعنة وهو الذى كان يلى ذلك قبل الإسلام ولا يمكن بحال أن
يحسن رجل قيادة الأعنة من غير أن يحدد ركوب الخيل وتصريفها .

(١) الروض الأنف ج ١ ص ١٧٣ لائى ج ٢٩ ص ١٢١ وهذه

الآية رلت فى الوليد على أصح الأقوال

وبالممارسة والمران تكون له حبرة وفوق في أعة الخيل وتدل به مما
نراه واضحاً في مشاهدته جاهلية وإسلاماً.

على أن المهارة في ركوب الخيل إلى أخذ لدى وصفها لا تتم لشخص
إلا بعد أن يتصف بخفة الحركة والشجاعة وتهوون بالمخاطر والمعرفة
بمواضع الكر والفر وحماية ظهره وعنه . ولقد كانت هذه الصفات
ظاهرة بارزة في خالد .

واصبر فيه إلى الخيل واهتمامه به هذا الاهتمام الذي المصانه لا يجمع
من أن يكون له مال يستعمله في التجارة ومطيه أعيره مضاربة كما كان يعمل
الكثير من أشرف قريش خصوصاً وهو من بني محروم أهل الثروة
والمال ، وأبوه الوليد صاحب المال المهدود .

وأذا نحن ندركنا كلام صاحب العقد امرئ دعيره من وهو ما ذكره
آخفاً — وما كان عليه خالد من الشرف في يومه وما انتهى إليه من أن
همه في جاهليته كان مصره لجعل وديته وسيستها وتر ذلك في أخلافه
وميو له سهل علينا أن ندرك

السفر في أنه كان حرياً مظفراً

فغير منكور أن التبر في أمر من الأمور أسسه أن يكون الشخص
محباً لذلك الشيء الذي يبر فيه . وله فيه استعداد حلي خاص . وكثير من
الناس إذا زاول غير العمل الذي يحمي نفسه الاستعداد له فقد قوة
التبريز ، وظهر دون المتوسط أو سلب في حين أنه لم يكن يلبداً . فإذا وجد
الاستعداد النفسي وقاربه بعض الأمور المعينة على هذا العمل ، وكانت

لرغبة فيه والميل إليه قوماً كان الشخص فيه غاية الغايات . وقد كان
 خالد ذا نفس حرة بطبيعته . ووجد في بيته تساعداً على هذا التفوق في
 هذا النوع . لأن قريشاً كانت تجعل إليه محازن التووين ومهمات الجيش ،
 كما كانت تكل إليه أعة حياتها . ومن قل كانت شارتا الشرف هاتين
 حقاً لي مخزوم : فكان ضعيماً لم يشأ في تلك القبيلة ذات القوة والبأس
 وشدة الشكيمة والتي إليها جانب جدهم من عبء الحرب والدفاع عن
 البيضة أن يتأخر حرياً ماهراً وقائداً مستكماً لصفات العظماء من القواد .
 ولئن كان خالد لم يتح له ولم يكن في الامكان أن يتربى في مدرسة
 للحرية فقد أنجح وواتته الظروف أن يتربى في مبادئ القتال ومدرسة
 العمل والاستعداد للحرب والطوارئ . وهذه التربية تستلزم في صاحبها
 أن يكون شجاعاً مقداماً مستهيباً بالمخاطر والمخاوف في طاعه شيء من
 الشدة وقوة البأس وكذلك كان خالد

فاليئة الخاصة له ولا سيما فينبه المشهورة بالشجاعة وقوة البأس
 وما كان له من مطهر الشرف في قومه وما وهبه من استعداد وما صادفه
 وهو في بدء حياته من حروب إلى مؤثرات أخرى كل هذه عوامل تضامنت
 ونصرفت على تكوين خالد تكويناً حرياً جعله في مقدمة أشهر مشاهير
 قواد العلم وحقيق من يتربى تلك التربية أن يكون القائد الماهر وأن
 تكون له تلك الشهرة الحامدة التي لخالد .

فلا داعي أن يكون عارفاً بأصول الحرب حائزاً لصفات الجنديّة
 جامعا لصفات العظماء من القواد : اقدام في حزم . ونجدة في عزم ، وذكاء
 في روية . وخبرة بفنون الحرب وحندها . وبعد نظر في كيد العدو ،
 وصدق رأي في سياسة الجند .

وإن حروبه المظفرة وسيرة في جنده لخير شاهد لا كثر قائد عرفه
تاريخ الاسلام^(١)
والآن بعد أن ذكرنا سببه ومكاته في قومه يرى لزاماً علينا أن
نقول كلمة عن .

موقفه إزاء الاسلام

كان خالد كغيره من صناديد قریش وعظائرها في موقف المعاداة
للإسلام والكراهة لصاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم ومن ناصره .
لذلك كان في كل مواقفه ومشاهدته التي شهدناها مع كفار مكة ضد الاسلام
حريصاً حد الحرص على الكفاة بالمسلمين ، والليل منهم

موقفه في أحد

فتراه حين وجد غرة من المسلمين في موقعة أحد قد أخذهم بخيله من
خلفهم ، وأعمل فيهم السيف حتى أذهلهم عن أنفسهم ودارت رحى
الحرب من جديد ، وكان طبعياً أن تكون الدرة على المسلمين بعد أن
كان لهم إذ جاءهم خالد^(٢) على أعة الخيل من خلفهم ومن أمامهم
وعلى غرة منهم وفي وقت اعتقدوا فيه أن الحرب قد وضعت أوزارها ،
وأه قد آن لهم أن يجمعوا الغنائم ويحنوا ثمار انتصرهم ولذلك كانت
دهشتهم شديدة وارتبا لهم أشد

(١) سيأتي لهذا البحث فصل بين عند كلامنا على صفته وأخلاقه

(٢) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٣٤ . الطبري ج ٣ ص ١٦ . ابن الأثير ج ٢

ص ١٠٧ . السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٩١

ولو لا خالد وبقضه وانتهازه الفرصة والموقف الذي وقفه ضد المسلمين
لكانت هزيمة قريش في تلك الموقعة لا تغل عن هزيمتهم في بدر، وما
كان في مكة قريش أن تقف من المسلمين موقف المنتصر. وتلوه
نفسها ونام لعدة الفصاء على المسلمين وقد تمكنت منهم حتى لقد راودوا
أنفسهم على الرجوع إليهم

ولو انتصر مسلمون في تلك الموقعة ولم يقع بهم خالد لكان من
المرجح ألا تقف قريش من المسلمين موقفها يوم الحديبية، ولما تمكك
من صدهم عن ربيعة الكعبة

موقفه في الخندق

وأفدك أحد أو ثلث الأعداد الذين كانوا يتناوبون طوافاً^(١)
تحديق المسلمين عنهم يعبروا على نعمة أو يطعموا منهم بعملة فيأخذونهم
وهم في عفاهم سوفهم وحلهم والكاتب هكتك العصاة التي كانت
مصرده عباد الله

والكن المسلمين كونيوا وهم في مل موقفهم يوم الخندق - الذي يصفه
أنا بقوله: إذ حوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذن غت الأحصار

(١) لما نصر المشركون إلى حديق فلولهم من هذه المكيدة كانت العرب

تكدهم وصار المشركون يدورون فعدوهم وسبيهم في صحته يوم. ويعده خالد

ابن لوليد وما ويعده عمرو بن العاص ص ٥٠. ١ - معراج ٢ ص ٥٩.

أسره أخيه ح ٢ ص ٤٠٨

وبلعت القلوب الحاحر وتظنون بآفة الضمائم^(١) - بالذين يسهون أو الجفتم
يعفون عن عدوهم ، فما أن شعروا بحالد في خيل المشركين يطلب غرة
منهم ،^(٢) ويريد اقتحام الخندق حتى رشقوه ومن معه بالسل ، ولو تمكن
من اجياز الخندق لكان من المحتمل أن يتعلب على المسلمين وأن يكون
له النصر عليهم

ولم يكن من المشركين حين فتلوا في الخندق ، وكروا راجعين إلى
ديارهم إلا أن لجأوا إلى الشهمين : عمرو بن العاص وخالد بن الوليد^(٣)
لحميا ظهورهم بحافة أن تكرر المسدود عليهم ويتعوههم . وفي هذا دلالة
على ثقة القوم به ، واعتمادهم عليه ، وأنه كف ، وحدير بمثل تلك الثقة التي
كانت تعطى في مثل ذلك الموقف جزافا . وفصلا عن ذلك فإن قوله
سلك المهمة واصطلاعه بها يجلي لنا ثقته بنفسه واستهاتته بالمخاطر والمخاوف
الامر الذي كان له أثر كبير في حياته المستقبلية

موقفه بالحديبية

كذلك كان موقفه يوم الحديبية فقد قدمته قريش على أعة خيلها إلى

- (١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٩٠ وفي ذلك يقول الله تعالى : « وإذ يقول
المتنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا »
(٢) طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٤٩ ، السيرة الحلبية ج ٢ ص ٤١٧
(٣) « فأقام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد في ما أتى فارس ساعة ثم عسكر وردوا
بحافة الطل ، ابن سعد ج ٢ ص ٥٠ ، السيرة الحلبية ج ٢ ص ٤٢٢

كُراع العمم^(١) في مائتي فارس يتحرق تحرقا لمواقفة المسلمين^(٢) وودنا
 بخيله حتى نظر إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر رسول
 الله صلى الله عليه وسلم عباد بن بشر فتقدم في خيله فأقام بأرائه^(٣)، فوحي
 رأى المسلمين يصون بدم على ألا يكون أعد عدته للهجوم عليهم وقت
 صلاتهم واستعد لأخذهم على عرة متى قاموا الصلاة أخرى ولكن الله
 أعلم رسوله صلى الله عليه وسلم بالأمر؛ فصلى بأصحابه صلاة الخوف^(٤)
 ولم يحل جهة حبشه من الحمة بل كان المسلمون يتناولون الحراسة
 والصلاة. ولولا أن الأمر قد لج بهم تلك المعاهدة - التي كانت فاتحة
 خير الإسلام والمسلمين - لذكر الما التاريخ فصلا عما كان من الحدث
 بينه وبين المسلمين

موقفه في عمرة القضية

ولا أدل على كراهته وبغضه للإسلام وعدائه الشديد لأهله في ذلك
 العهد من تعيه وخروجه من مكة حين أراد المسلمون دخولها في عمرة
 القضية^(٥) لأنه لم يطق أن يرى المسلمين يدخلونها وأو كانوا زائرين

(١) كراع العمم «موضع ناحية لحجار بين مكة والمدنة وهو واد أمام
 عسفان ثمانية أميال، باقوت ج ٧ ص ٢٢٦

(٢) صحت ابن سعد ج ٢ ص ٦٩، سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٢٦، الطبري
 ج ٣ ص ٧٢، ابن الأثير ج ٢ ص ١٣٦، السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٤

(٣) ابن سعد ج ٢ ص ٦٩

(٤) السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٤

(٥) أنساب الأشراف ج ٢ ص ٢٢٨ تاريخ ابن عساكر ص ٦٩٠ من المجلد الثالث

للبيت معظمين له ورغم ما كان بينهم وبين أهل مكة من التصالح على دخولهم في عامهم هذا للزيارة ، ورغم أن الكثير ممن يرغبون زيارة البيت هم من قريش ومن قبيلته وأداء عهده ولكنها الحمية للعقيدة التي لا تزال تحتل جوانب النفس ويعز استئصالها رغم تلك الضربات الشديدة التي لم تلبث أن حطمتها بل سفتها بعد عهد قريب

رحم الله خالداً لأن كان موقفه في شره شديداً على الإسلام والمسلمين فذلك الإخلاص المعتقد والتفاني في المكرة وقوة النفس هي التي جعلت نصرته للإسلام أشد وبكايته بأعدائه أبلغ

الآن وقد طوينا عصر أمة حبة خالد يصله عما بعده ذلك الانقلاب الفكري والاعتقادي الخطير ، ما تنعدم إلى عصر جديد يتميز عما قبله تميزاً واضحاً ، وتظهر فيه شخصية خالد بقوتها في صورة أخرى ويشرفه ذلك التاريخ الحالد وتلك الصحيفة الذهبية صحيفة خالد المسلم

من قال بأنه أسلم سنة سبع يتجه على هذين الزعمين بطريق الأولى (١)

لـ بقى أن يكون اسلامه سنة سبع أو ثمان

وإذا نحن عرضنا كتب التاريخ والسير تبين لنا أن اسلامه كان في صفر من سنة ثمان للهجرة قبل فتح مكة بستة أشهر . وقبل عزوة مؤتة بشهرين .

وبيان طريقنا في الوصول إلى هذه النتيجة أمران :

١ — نصوص تاريخية

ب — معقولات تركز على نصوص تاريخية

١ — والنصوص التاريخية منها : —

١ — قول ابن سعد : « فاصطحنا حتى قدمنا المدينة على رسول الله

صلى الله عليه وسلم أول يوم من صفر سنة ثمان » (٢)

٢ — وقول البلاذري : « وكان عمرو بن العاص قدم من عند الحاشي

مسلمها فلقى في طريقه عثمان بن طلحة وخالد بن الوليد يريدان النبي صلى

الله عليه وسلم فأسلموا في صفر سنة ثمان » (٣)

(١) كثير من المؤرخين قد تعرض لهدم الزعم بالرد الصريح كقول ابن الأثير

في أسد الغابة ردا على من زعم بأنه أسلم سنة خمس . وليس بشيء . ج ٢ ص ١٠١

وقال صاحب الإصابة . « وهم من زعم أنه أسلم سنة خمس » ج ٢ ص ٩٨ . وقال

في أسد الغابة ردا على من زعم اسلامه سنة ست . « وهذا القول مردود » فان الصحيح

أن خالد بن الوليد كان على خيل المشركين يوم الحديبية . ج ٢ ص ١٠١ ومثله

في الإصابة

(٢) طلاقات ابن سعد ج ٤ ص ٢٠١

(٣) أسباب الأشراف ج ١ ص ١٨٤ وذكر نحو ما من ذلك في كتابه فتوح البلدان

ص ٦٩

٣ - وقول ابن قتيبة : « وأسلم ستة ثمان هو وعمرو بن العاص
وعثمان بن طلحة »^(١)

٤ - وما رواه الطبري إذ يقول : « وفيها (يعني ستة ثمان) قدم
عمرو بن العاص مسلماً على رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أسلم عند
البحاشي وقدم معه عثمان بن طلحة العبدري وحالد بن الوليد بن المغيرة
قدموا المدينة في أول صفر »^(٢)

٥ - وما رواه ابن عساكر بقلا عن الواقدي ونصه : « ثبت عندنا
أن حالداً لم يشهد حير وأسلم قبل الفتح هو وعمرو بن العاص وعثمان
ابن طلحة بن أبي طلحة أول يوم من صفر سنة ثمان . . . »^(٣)

٦ - وقول ابن الأثير : « في هذه السنة (يعني ستة ثمان) في صفر
قدم عمرو بن العاص مسلماً على النبي صلى الله عليه وسلم وقدم معه خالد
ابن الوليد وعثمان بن طلحة العبدري »^(٤)

٧ - وما ذكره أبو الفدا وهو : « وفي سنة ثمان قدم خالد بن الوليد
وعمر بن العاص السهمي وعثمان بن طلحة بن عبد الدار فأسلموا »^(٥)
وغير هؤلاء كثير أضربنا عن ذكرهم اكتفاء بمن ذكرنا من الثقة
وتحاشياً للتطويل والملل

ب - والمعقولات منها : -

(١) المعارف ص ٩٠

(٢) الطبري ج ٣ ص ١٠٣

(٣) تاريخ مدينة دمشق ص ٦٨٦ المجلد الثالث

(٤) الكامل جزء ٢ صفحة ١٥٥

(٥) أبو الفدا في تاريخه جزء ١ صفحة ١٤٢

١ - ما ذكره اللاذري في صدد كلامه على فتح مكة إذ يقول « فدفع (يعنى النبي صلى الله عليه وسلم) المفتاح إلى عثمان بن طلحة وكان أسلم في صفر سنة ثمان » وعثمان هذا كان رويماً لحالد في طريقه إلى المدينة يريد الإسلام وأسلموا معاً : فإسلامه إذن في صفر من سنة ثمان ^(١)

٢ - كثير من المؤرخين حين يروى لنا إسلام عمرو بن العاص بحكاية عمرو نفسه يقول . « وذلك قبل الفتح » فهل أعجزت العبارة عمراً فلم يستطع أن يقول . وكان ذلك بعد الحديبية أو قبل عمرة القضاء مثلاً . على أن بعض المؤرخين كان هشام في سيرته كان أوصح عبارة إذ يقول عن أسان عمرو أيضاً : « وذلك قبل الفتح » وهذا لعمرى صريح في أن إسلام خالد كان قبل الفتح بقليل . ولا يمكن أن يفهم من هذا التركيب العربي الذي يقصد إليه مؤرخ يعنى ما يقول أنه أسلم قبل الفتح بسنة أو سنتين إلا إذا أهدرنا مداولات الألفاظ العربية . وتلاعبنا بلغة العرب وفهمناها على غير ما أرادوا وهو ما لا نستطيعه ^(٢)

٣ - معظم كتب التاريخ والسير التي تعرضت لإسلام الوليد بن الوليد أخى خالد تذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للوليد وهو في عمرة القضاء : « أو جاءنا خالد أقدماءه ومن مثله سقط عليه الإسلام في عقله » فكتب الوليد إلى خالد يرغبه في الإسلام ويخبره بما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه : فكان ذلك سبب إسلامه وهجرته ^(٣) . وهذا صريح

(١) أنساب الأشراف جزء ١ صفحة ٢٣

(٢) راجع الطبري جزء ٣ صفحة ١٠٤ . سيرة ابن هشام جزء ٢ صفحة ٢١١ .
الاصابة جزء ٢ صفحة ٩٨

(٣) أنساب الفرشيين للبغدي جزء ٢ صفحة ٣٣٨ . الاستيعاب جزء ٢ صفحة ٦١٩

في أن خالداً كان حتى عمرة القضاء غير مسلم ومعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما فرغ من عمرته وتوجه إلى المدينة في ذي الحجة خاتمة سنة سبع . وبعد جداً أن يصل كتاب الوليد إلى خالد — الذي غادر مكة حتى لا يشهد المسلمين بدخولها — فيرغبه في الإسلام ثم يسلم ويبعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم أفراساً ويعلمه بإسلامه ثم يعزم على الهجرة ويبعث عن رفيق له ويشيع حر إسلامه في مكة ويحصل ما حصل من المشائمة بينه وبين أبي سفيان ويحضرها عكرمة بن أبي جهل ويفصب لابن عمه وأخيراً بعد هذا كله يصل إلى المدينة قبل انقضاء الأيام القلائل التي بقيت من ذي الحجة سنة سبع حتى يمكن أن يقال إنه أسلم وهاجر في آخر لحظة من سنة سبع^(١)

(٤) يقول المؤرخون الموثوق بقولهم . إن أول مشهود شهده خالد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم هو فتح مكة وأن أول غزوة غزاها كانت مؤتة^(٢) ومعلوم أن مؤتة والفتح كانتا سنة ثمان فهل أسلم خالد سنة سبع ثم انزوى بعيداً عن الأعين فلم نسمع له ذكراً أو كان نجاساً فلم يخرج في غزوة أو سرية أو أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقدره قدره . اللهم لا هذا ولا ذاك : لأنه ليس من الأفراد الذين يعيشون من غير أن يشعر بهم أحد كما أنه يقول عن نفسه : فما عدل في رسول الله

== الإصابة حر. ٦ صفحة ٣٣٣. أسد الغابة حر. ٥ صفحة ٩٢ . ان عساكر
مجلد ٣ صفحة ٦٩٠ السيرة الخلية جزء ٣ صفحة ٨٦

(١) معاري الواقدي صفحة ٤٠٠ . ٤٠١ . سيرة هشام جزء ٢ ص ٢٥٥

(٢) الاستيعاب حر. ١٠ صفحة ١٥٧ . أسد الغابة جزء ٢ صفحة ١٠٢ . تهذيب الأسماء

للإمام النووي صفحة ١٧٣ من القسم الأول

صلى الله عليه وسلم أحداً من أصحابه في أمر حربه ،

ونلاحظ على قول من يقول : بأن إسلامه كان في ستة سبع الغموص وعدم التحديد في حين أننا نرى من يقول بأن إسلامه كان في ستة ثمان قد أوضح قوله وحدده : فعين لنا السنة والشهر واليوم الذي أسلم فيه ، بل إن بعض الروايات قد عينت الساعة أيضاً ^(١) بعد هذه الأدلة العقلية والعقلىية نجزم واتقين برأينا السابق من أن إسلامه كان في صفر من ستة ثمان

هذا وقد حملا على الأكثر والاطالة في تعيين الوقت الذي أسلم فيه كثرة الروايات والأقوال الواردة في إسلامه وعموضها وإبهامها تارة وتصاريفها واضطرابها تارة أخرى ، كما أننا رأينا كثيراً من الكتاب المحدثين الذين يدين لهم بالفضل يذكرون أن إسلامه كان في ستة سبع ، فكنا مضطرين إزاء ذلك أن نأتي بكثير من الأدلة ليتبين وجه الصواب واضحاً ولتقنع أولئك الأساتذة الأجلاء بصحة ما ارتأيناه ^(٢)

وها نحن ندكر إسلامه رضى الله تعالى عنه كما روى عنه ^(٣) . قال :
 « لما أراد الله عز وجل ما أرادني من الخير قذف في قلبي حب الاسلام وحضري رشدي وقلت : قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد

(١) كما في رواية عن عمرو بن العاص نقلها صاحب السيرة الخلية جزء ٣ صفحة ٨٧
 (٢) ومهم من رأى رأياً كالست في دائرة المعارف وأسادنا الدكتور حسن ابراهيم في كتابه عمرو بن العاص ، وجسود في كتابه انحلال وسقوط الدولة الرومانية
 (٣) طبقات ابن سعد جزء ٤ صفحة ١٠٢ ، تاريخ ابن عسك المحدث الثالث
 صفحة ٦٩٠ - ٦٩١ ، السيرة الخلية جزء ٣ صفحة ٨٦ مع تفاوت في بعض التراكيب بين هذه الكتب

صلى الله عليه وسلم فليس موطن أشهده إلا أنصرف وأنا أرى في
 نفسي أنى موضع في غير شيء وأن محمداً صلى الله عليه وسلم يظهر فلما جاء
 صلى الله عليه وسلم لعمره القضية تغيبت ولم أشهد دخوله فكان أخى
 الوليد بن الوليد قد دخل معه صلى الله عليه وسلم فطلعت فلم يجدنى فكتب
 إلى كتابا فاذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد فانى لم أر أعجب من
 ذهاب رأيك عن الاسلام وعقلة عقلك ومثل الاسلام يجهله أحد ؟ قد
 سألتى عنك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أين خالد فقلت يأتى
 الله به فقال : ما مثله يجهل الاسلام ولو كان يجعل نكايته مع المسلمين
 على المشركين كان خيرا له ولقدماه على غيره فاستدرك يا أخى ما فاتك
 فقد فاك موطن صالحه فلما جاءنى كتابه نشطت للخروج وزادنى رغبة
 فى الاسلام ومربى مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورأيت فى
 المنام كأنى فى بلاد ضيقة جدبة فخرجت إلى بلاد خضراء واسعة فلما
 أحسنا الخروج إلى المدينة لقيت صفوان فقلت يا أبا وهب أما ترى أن
 محمداً طهر على العرب والعجم فلو قدما عليه فانتعنا فان شرفه شرف لنا
 قال : لو لم يبق غيرى ما انتعته أدا . قلت هذا رحل قتل أبوه وأخوه بدر
 فلفيت عكرمة بن أبى جهل فقلت له مثل ما قلت لصفوان فقال مثل الذى
 قال صفوان قلت فاكمم ذكر ما قلت لك قال لا أذكره . ثم لقيت عثمان
 ابن طلحة (أى الحنفى) قلت هذا لى صديق فأردت أن أذكر له ثم
 ذكرت من قتل من آرائه (أى قتل أبيه طلحة وعمه عثمان . وقتل
 اخوته الأربعة مسافع والجلال والحارس وكلاب كلهم قتلوا يوم أحد)
 فكرهت أن أذكر له ثم قلت وما على فقلت له إنما نحن بمنزلة ثعلب فى

تجرا أو صب فيه دنوب من ماء الخرج ثم قلت له ما قلت لصقوان وعكرمة
 فأسرع الاجابة فواعدني إن سبقي أقام في محل كذا وإن سبقت انتظرت
 فلم يطلع الفجر حتى التقينا ففقدونا حتى انتهيا إلى الهدية (اسم محل)
 فوجد عمرو بن العاص بها فقال مرحبا بالقوم فقلنا وبك . قال : أين
 مسيركم قلنا الدخول في الاسلام . قال . وذلك الذي أقدمي . وفي لفظ
 قال عمرو والحال يا أبا سليمان اين تريد قال والله لقد استقام الميسم^(١) (أي
 تيس الطريق وظهر الحق) وإن هذا الرجل لي أذهب فأسلم فحتى متى
 قال عمرو : وأنا ما حئت إلا لأسلم فاصطخبنا جميعا حتى دخلنا المدينة
 الشريفة فأئخنا بظهر الحرة ركابا فأخبر بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فسر بنا (أي وقال : رمتكم مكة بأفلاذ كبدها) فلبست من صالح ثياني
 ثم عمدت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقبني أحى فقال : أسرع
 فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سر بقدمكم وهو ينتظركم فأسرعنا
 المشى فاطلعت عليه فما زال صلى الله عليه وسلم يتسم إلى حتى وقفت عليه
 فسلمت عليه بالنوة فرد على السلام بوجه طلق فقلت : أشهد أن لا إله
 الا الله وأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الحمد لله الذي هداك
 قد كنت أرى لك عقلا رجوت ألا يسلمك إلا إلى خير » قلت يا رسول
 الله ادع الله لي أن يغفر لي تلك المواطن التي كنت أشهدا عليك فقال

(١) رواه الطبري جزء ٣ صفحة ١٠٤ . المنسم . قال السبلي : من رواه الميسم
 بالياء فهي لعلامه أي قد بين الأمر واستقامت الدلالة ومن رواه المنسم بفتح الميم
 وبالألف فعداه استقام الطريق ووجت الهجرة والمنسم مقدم خب العير وكى
 عن الطريق للتوجه به فيه . الروض الأنف جزء ٢ صفحة ٢١١

صلى الله عليه وسلم : « الاسلام يجب ما كان قبله » ^(١) قلت يا رسول الله على ذلك فقال : « اللهم اعمر لخالد بن الوليد كلما أوصع فيه من صد عن سبيلك » قال خالد فتقدم عمرو وعثمان فبايعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مقدما في صفر من سنة ثمان فوالله ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أسلمت يعدل في أحدا من أصحابه فيما حزه ^(٢) ثم أقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم موضع داره من الدور التي كان لوها له الحارثة ابن النعمان ^(٣)

هذا ولا يسعنا أن نمر بإسلامه دون أن تذكره لعنا بحده قد اشتمل على ميزة له : فنجد أنه لم يدخل في الاسلام تبعا لغيره أو طمعا في نفع أو تفاديا من ضرر ، وإنما أسلم بعد أن رأى أن الميسم قد استقام ، وبعد تدبر ، ومراجعة للفس وعرض للدواطن التي شهدا ضد الاسلام ، واقتناع بحقية الدين الذي ارتضاه لنفسه ، وبفساد ما كان يعتقد ، فهينا لك يا خالد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ادحو لك في الاسلام ، وقوله لأخيك الوليد : « ما مثله يجهل الاسلام » . جدير أنت يا خالد بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيك وفي رفيقك حين جتموه لمسلمين : « رمتكم مكة بأفلاذ كبدها » .

- مرحى مرحى يا خالد فقد سر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامك

(١) إلى هنا انتهى ما ذكره صاحب البيرة الحلبية

(٢) رواه ابن سعد ، فيما يحزه ، بدل فيما حزه ، وفي رواية عن عمرو بن العاص : « في أمر حزه »

(٣) طبقات ابن سعد جزء ٤ ص ١

ورفيقك وانتظركم فما أن طلعت عليه حتى ابتسم وما زال يتسم إليك حتى سلمت عليه بالبوة فرد عليك السلام بوجه طلق .

لا حرم فأنت جدير بكل ذلك : ألسنت أنت الذي يقول فيك الرسول صلى الله عليه وسلم حين أسلمت : « الحمد لله الذي هدانا لهذا قد كنت أرى لك عقلاً رجوت ألا يسلك إلا إلى خير ، ثم يمسحك موضع دارك ويميزك بذلك عن صاحبك وهما ما هما في قريش

ألسنت أنت الذي طلبت من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لك مما أوضعت فيه من صد عن سبيل الله فأجاب طلبتك ودعا لك بقوله « اللهم اغفر لخالد بن الوليد كل ما أوضع فيه من صد عن سبيلك » . حقيق وعقلك عقلك ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعدل بك أحداً من أصحابه فيما حزن به كما تقول أنت عن نفسك

على أن ما حكاه لنا خالد عن إسلامه وما كان من سرور الرسول صلى الله عليه وسلم به وقوله فيه : « ما مثله يحهل الإسلام ، يجعلنا نتساءل

لماذا أبطأ خالد في إسلامه

وقد كفانا عمرو بن العاص مؤنة الجواب حين سئل : « ما أبطأ بك عن الإسلام وأنت أنت في عقلك ، إذ يقول كما مع قوم لهم عليا تقدم وكانوا بمن توازي أحلامهم الجبال فلماذا هم ولما ذهبوا وصار الأمر إلينا نظروا وتدرأوا فاذا حق بين فوقع الإسلام في قلبي .

« فضلاً عن ذلك فإن قريشاً هم الحرس في الدين وهم حماة البيت الحرام والزيادة عنه الذي تعزهم العرب من أجله فطبعي حذراً أن يقفوا — وبخاصة ذوى

الشرف والسادة منهم — في وجه هذا الدين الجديد الذي يزيل سلطانهم إن اعتنقوه ويجعلهم في مستوى غيرهم من العرب، وأن يناصبوه العداوة، وإن الموت عندهم أيسر على نفوسهم من الدخول في هذا الدين وهذا العداوة يذكيه ويبله ما كان من قتل المسلمين لكثير من أشرف

قريش ولا سيما في بدر حيث قتل معظم أشرفهم وصناديدهم وعزيز على النفوس البشرية مهما سما إدراكها أن تدعن للدين الذي قتل الأجابة وأبعدهم. يدل لذلك ما دار من الحوار بين عكرمة بن أبي جهل وخالد حين عزم خالد على الإسلام فزع عكرمة وقال: «قد صوت يا خالد فقال لم أصب ولكي أسلمت قال عكرمة والله إن كان أحق قريش أن لا يتكلم بهذا الكلام إلا أنت قال: ولم؟ قال عكرمة لأن محمداً وضع شرف أهلك حين جرح وقتل عمك واس عمك يبدر، فوالله ما كنت لأسلم ولا أتكلم بكلامك يا خالد أما رأيت قريشاً يريدون قتاله قال خالد هذا أمر الحاهلية وحميتها لكي والله أسلمت حين تبين لي الحق...» (١) وما كان يلهج به كثير من أشرفهم كقول صفوان بن أمية حين فاضه خالد في الإسلام: «لو لم يبق عيرى ما اتعته أبداً...» ولقد أدرك خالد هذه الحقيقة النفسية التي أدت إلى امتناعه وإبائه الإسلام فقال: «هذا رجل قتل أبوه وأخوه يبدر»

الآن وقد أسلم خالد وسر الرسول صلى الله عليه وسلم بإسلامه كما فرح المسلمون بانضمامه إليهم نتقدم لبيان فتوحه وأعماله، وما كان له من أثر في نصرة دين الله وإعلاء كلمته. وأول عزوة شهدتها في الإسلام هي:

غزوة مؤتة^(١)

في جمادى الأولى من سنة ثمان للهجرة أنفذ رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الأمراء إلى مؤتة للقصاص ممن قتلوا الحارث بن عمير رسوله إلى صاحب بصرى^(٢) واستعمل على هذا الجيش: «زيد بن حارثة وقال ان أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس فان أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة»^(٣)

سار المسلمون حتى إذا كانوا بتخوم اللقاء لقبتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى اللقاء يقال لها مشارف فاحتاز المسلمون إلى مؤتة والتقوا بعدوهم فقاتل زيد بن حارثة حتى قتل فأخذ الراية جعفر ابن أبي طالب واقتحم عن فرسه فعقرها^(٤) وقاتل حتى قتل ثم أخذها ابن رواحة وقاتل حتى قتل

صار المسلمون ولا قائد لهم يحفظ نظامهم ويحقق الغرض الذي أرسلوا من أجله فاضطربوا وأصبح موقفهم تجاه عدوهم دقيقاً حرجاً فلم يجدوا

(١) كان في الروص آلاف . وهي مهمورة الواو وهي قرية من أرض اللقاء من اشام وأما المؤتة فلا همز فصر من الحو . . . ح ٢ ص ٢٥٦ . وقال ياقوت . مؤتة الصم ثم واو مهمورة ساكة ونا . مشاة من فوقها وبعضهم لا يهمل قرية من قرى اللقاء في حدود اشام . ح ٨ ص ١٩٠ . وسماها المؤرخون غزوة تسهلا وإلا فهي سه لآل النبي ﷺ لم يخرج فيها

(٢) بصرى من أعمال دمشق وهي قصبة كورة حوران

(٣) سيرة ابن هشام ح ٢ ص ٢٥٦ وفي تأمير الرسول ﷺ ثلاثة من الأمراء على خلاف ما جرت عليه عادة سبج لا يحصى بأن الشهادة قد وحت لهم

(٤) وهو أول من عقر فرسه في الاسلام الطبري ح ٣ ص ١٠٩ . وسيرة ابن

هشام ج ٢ ص ٢٥٨ ابن الأثير ج ٢ ص ١٦٠

— وهم في مثل موقفهم أحزم من أن يلجأوا للشهم ربيب الحرب
خالد بن الوليد فأمره عليه وأسلوه قيادهم فكان ذلك من توفيق
الله لهم .

تسلم خالد إمرة جيش منهم قليل العدد لا يزيد على الثلاثة الآلاف كاد
يفقد قوته المعنوية أو فقدوها وهو فضلا عن ذلك بأراء جيش عظيم يرو
على المائة والخمسين ألفاً^(١) مدرب عظيم الثقة بنفسه ، معتز بقوته ، وله
ضراوة وخبرة بالحروب قريب عهد بالانتصار على الفرس وهنا ظهرت
مواهب خالد الحربية ، فأعمل الحيلة في خلاص الجيش وإنجائه من الفناء
فقاتل في يومه قتالا شديداً ولما غدا عير نظام الجيش فجعل مقدمته ساقة
وساقته مقدمة وكذلك فعل باليمين والميسرة :^(٢) فكان هذا التغيير مما جعل
الروم يظنون أن مدداً جاء لدسليين فقدروهم ونظروا إليهم بعين ليست
عين الأمس

كان هذا تديراً وقتياً لحماية الجيش من الفناء ، ولذا فانا نرى خالداً
يتقهقر بالجيش قليلاً قليلاً مع حفظ نظامه ، وحياطة قاصيته ، وهذا تدير
محكم وحطة رشيدة لا تفصلها غيرها في مثل هذا الموقف ، وبذلك تحاجز
الفريقان ونجا جيش المسلمين من فناء محقق

مثل هذا التدير من خالد ليس بالعمل الميسور الذي يستطيعه كل
قائد بل هو عمل عظيم جسيم يتطلب مهارة وحزماً ورباطة جأش وثقة

(١) وهذه رواية المقل من مؤرخي العرب

(٢) سيرة ال هشام ح ٣ ص ٩٦

بصر الله . وكثيرا ما عرف التاريخ قوادا عظاما ^(١) كان السر في شهرتهم إحياء حيوشهم من مثل هذا الموقف الحرج الذي لو احتل أقل تدبير فيه لفنى الجيش . وبما يصور لنا مقدار مالا فاه جيش المسلمين من شدة وخطوب قول خالد : « لقد ادقت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف ، فما ثبت في يدي الا صفيحة يمانية » ^(٢) : فالجيش الذي يضطر قائده للقتال — وإن كانت تلك عادة خالد في معظم وقائعه — حتى تنكسر في يده تسعة أسياف لا بد وأن يكون قد لاقى من الأهوال أشدها ومن الخطوب أقساها وقائده لهو من أعظم القواد وأشجعهم وأعرفهم بالحرب وقد أحبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بموت الأمراء الثلاثة واستغفر لهم وقال : « ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الأمراء هو أمر نفسه ، ثم قال : اللهم إني سيف من سيوفك فأنت تنصره » ^(٣) فمنذ ذلك اليوم سمي خالد سيف الله . وحقا إنه لجدير بذلك اللقب النبوي الكريم : فقد أمر نفسه ونجى جيش المسلمين ، ولعمري مهما أجاد الانسان في وصفه ومدحه فلن يصفه بأحسن ولا بأوفى مما وصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وربما همس هامس قائلا : إذا كان هذا حال جيش المسلمين فلماذا لم يتبعهم الروم حين الحاروا وتقمقروا فيقضوا عليهم ؟ وحوابنا أن الجيوش

(١) مثل هدير ج القائد الألماني العظيم (رئيس جمهورية ألمانيا اليوم) وأحمد مختار باشا في حرب روسيا سنة ١٢٩٣

(٢) طبقات ابن سعد ج ٤ ص ٢ . السيرة الحلبية ج ٣ ص ٩٦ . أنساب الأشراف ج ٣ ص ١٥٧ . أمد العادة ج ٢ ص ١٠١

(٣) الطبري ج ٣ ص ١٠٩ ، السيرة الحلبية ج ٣ ص ٩٧

الكبيرة ذات العدة والأثقال يعسر عليها الحرب والقتال في الفيافي
والمفاوز والمسلمون كان عددهم قليلا وعدتهم خفيفة وهم بحكم تربيتهم
ونشاطهم أشط من الروم وأمرن على السير في المفاوز والقفار وأخبر
بشعابها وحرها . فلا فائدة عمليا من تتبعهم لتعذر لحاقهم . ولا يبعد
أنهم خافوا من أن يكون للمسلمين كمين وأن يكون تأخرهم مكيدة كي يزجوا
بهم في الصحراء فاذا تورطوا فيها أخذهم الكمين من حلفهم أو أن يكون
تأخرهم للتحيز إلى فئة أو مدد أهم فتحرزوا من الكمين ومبالغة في الحطة
والحذر لم يتبعوهم

عود على بدء

يقول بعض المؤرخين : إنه بعد أن تسلم خالد قيادة الجيش هزم
الروم هزيمة منكرة . ومن ذلك رواية لابن سعد في طبقاته يقول فيها
راويها ما نصه : فأحد خالد اللواء ثم حمل على القوم فهزمهم الله أسوأ
هزيمة رأيته قط حتى وضع المسلمون أسيافهم حيث شاعوا^(١)
ولم نطالع على ما يؤدها في كتب التاريخ الموثوق بها برواية نشعر بقولها
بل إن معظم المؤرخين ومن بينهم ابن سعد نفسه في أول كلامه على الموقعة
قد نص على أن الفريقين تحاجزا من غير قتال وأن خالدا لما أخذ الراية
دافع القوم وخاشى^(٢) ثم انحاز ، وانحيز عنه حتى انصرف بالناس

(١) طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٩٤

(٢) انحازاء انحازوه وهي معاملة من الحشيه لأنه خشي على المسلمين لقلة عددهم
ومن رواه حشى بالخاء المهملة فهو من الحشى وهي الناحية — الروض الأنف
ج ٢ ص ٢٦٠

وفضلا عن هذا فإن العقل يستبعد حدا مثل هذا الانتصار إذما قيمة كتيبه صغيرة عدتها ثلاثة آلاف رجل بأزاء جحفل جرار عدته ٢٠٠ ألف مقابل وكم عدد الأشلاء وآلاف القتلى الدين وضع المسلمون أسيا فهم فيهم حيث شاءوا؟ لم نر من المؤرخين من تعرض لمقدار الغنائم ولا لعدد القتلى على غير عادتهم في مثل هذه الحوادث التي ينتصر فيها المسلمون انتصارا مؤزرا كالذي يحكيه لنا الراوى

ومن ذلك أيضا ما ذكره ابن هشام وابن برهان الدين^(١) من أن المسلمين أمروا عليهم خالدا ففتح الله عليهم . وما ذكره هذان المؤرخان يمكن حمله على المجاز ؛ لأن نجاة ثلاثة آلاف من فناء محقق يعتبر بحق فتحا لأنه لو لا خالد ومهارته هلك الجيش فكأنه أضاف إلى سواد المسلمين ثلاثة آلاف من الأنفس . على أننا نجد المؤرخين جميعا يذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين خرجوا لاستقبال هذا الجيش حين شارف المدينة راجعا ، وكان الناس يحثون في وجوههم التراب ويعيروهم قوْلهم : يا فرار فررتم في سبيل الله ، والنبي صلى الله عليه وسلم يخفف عنهم ويعتذر بقوله : ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله ،^(٢) فهل ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين خرجوا لاستقبال أفراد رجعوا فارين قل انتصار المسلمين كما زعم بعض من قال ذلك أم المقبول أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج لاستقبال الجيش وأن حتى التراب في وجوههم دليل بين على عدم انتصارهم . وإذا كان بعض من تمحل

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٦٠ السيرة الحفية ج ٣ ص ٩٦

(٢) طقات ابن سعد ج ٢ ص ٩٣ . سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٦٠ . الطبرى

هذا العذر لجيش المسلمين ربما كان الحامل له على ذلك أنه عز عليه أن
يفر من وجه العدو فانا نرى أن كتية صغيرة تنحو من برائن هذا الخنيس
العرمرم لا يقتل منه الا اثني عشر رجلا لمن أعظم الفخر وفي غنية
عن الاعتذار

وكثير من الشعر الذي قيل في هذه الموقعة يؤيد رأيا، فمن ذلك قول
« قيس بن المحسر اليمري »، يعتذر عما صنع يومئذ وصنع الناس:

فوالله لا تنمك نفسي تلومي على موقفي والخييل قابعة قل
على أنني آسيت نفسي بخالد ألا خالد في القوم ليس له مثل
وجاشت إلى النفس من نحو جعفر مؤنة إذ لا ينفع البابل النسل
وضم اليها حجزتهم كليهما مهاجرة لا مشركون ولا عدل
فبين قيس ما اختلف فيه الناس من ذلك في شعره أن القوم حاجزوا
وكرهوا الموت وحقق الحياز خالد من معه،^(١)

وقد أيد ابن برهان الدين تأويلنا لما نقله بقوله: « وكون هذا نصرا
وفتحا واضح لاحاطة العدو بهم وتكاثرهم عليهم لأنهم كانوا مائتي ألف
والصحابه ثلاثة آلاف إذ مقتضى العادة أن يقتلوا بالكلية،^(٢) ويقول
أيضا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل أنتم الكرارون وهو
دليل على أنه كان بينهم محاجة وترك للقتال »^(٣)

هذا وقد قيل كثير من الشعر في هذه الموقعة: فمن ذلك قول حسان
ابن ثابت يرثي الأمراء الثلاثة:

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٦٠

(٢) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٩٧

(٣) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٩٩

فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر
 ورید وعبد الله حين تتابعوا جميعاً وأسباب المية تحطر
 غداة مضوا بالمؤمنين يقودهم إلى الموت ميمون القية أزهر
 وما زال في الاسلام من آل هاشم دعائم عز لا يزلن ومفخر^(١)

فتح مكة

لما أراد الله فتح مكة وهياً الأسباب لذلك سار رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم الأربعاء لعشر ليال خلون من شهر رمضان بعد العصر^(٢) بجيش عظيم بلغت عدته بعد أن تكامل ١٠ آلاف مقاتل^(٣) من المهاجرين والأنصار^(٤) ومن أجابه من قبائل العرب التي نعت إليها^(٥) وحين قارب الرسول صلى الله عليه وسلم مكة ووصل إلى ذي طوى^(٦) فرق الجيش فكان خالد أميراً على الميمنة وفيها أسلم وسليم وغفار ومزينة وحمية وقبائل من قبائل العرب^(٧) وهذا أول يوم ال فيه خالد شرف القيادة والامارة من رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٦١

(٢) طقات ابن سعد ج ٢ ص ٩٩

(٣) وهو أكبر جيش عرفته بلاد العرب إلى ذلك الوقت

(٤) لم يختلف أحد من المهاجرين والأنصار وكان المهاجرون مسمومة ومعهم ثلاثمائة فارس وكانت الأنصار أربعة آلاف ومعهم خمسمائة فارس - ابن هشام ج ٢

ص ٢٦٧ الطبري ج ٣ ص ١١٤، السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٠٩

(٥) موضع قرب مكة - معجم البلدان ج ٦ ص ٦٤

(٦) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٧١، الطبري ج ٣ ص ١١٨

أمر الرسول صلى الله عليه وسلم سعد بن عبادَةَ أن يدخل من كدَاءَ
والزبير من كدى^(١) وخالد من الليط^(٢) ودخل عليه السلام من أذاخر^(٣)
حتى نزل بأعلى مكة وضربت له هناك قبته . فدخول المسلمين مكة كان من
أربعة مواضع^(٤)

كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصاً جداً الحرص على الإبقاء دم
في البلد الحرام فنهى أمراءه عن القتال إلا إذا قوتلوا ومنعوا الكن بعض
أشراف قريش ورجالاتها أبوا إلا أن تراق الدماء في الحرم المقدس ؛
فان صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو كانوا قد جمعوا
ناساً من بكر والأحباش^(٥) وغيرهم بالخدمة^(٦) أسفل مكة ليقاتلوا المسلمين

(١) كدَاءُ الممدود بأعلى مكة دار النبي ﷺ من دى طوى إليها وكدى بصم
الكاف وتوير الدال بأسفل مكة عند دى طوى عند شعب الشافعين ومها دار النبي
ﷺ إلى المحصب فكانه ﷺ صرب دائرة في دخوله وخروجه بات بدى طوى
ثم بهصر إلى أعلى مكة فدخل منها وفي خروجه خرج من أسفل مكة ثم رجع إلى
المحصب . . . قال ابن الموار : كدَاءُ التي دخل منها إلى النبي ﷺ هي العقبة الصغرى
التي بأعلى مكة وهي التي تهبط منها إلى الأنطح والمقبرة منها عن يسارك وكدى التي
مخرج منها هي العقبة الوسطى التي بأسفل مكة . . . معجم اللدان ح ٧ ص ٢٢١

(٢) الليط موضع أسفل مكة معجم اللدان ح ٧ ص ٢٤٦

(٣) أذاخر بالفتح والخاء المعجمة المكسورة معجم اللدان ج ١ ص ١٥٩

(٤) طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٩٨

(٥) الأحباش هم بنو الهون بن حزيمة وبنو الحرث بن عبد مناف بن كنانة وبنو
المصطلق بن حزيمة وقيل لهم ذلك لأنهم تحالفوا تحت جبل بأسفل مكة يقال له حبش
هم وقريش على من عاداهم ماسج لين ووضع نهار وما رسا حبش فسموا بأحباش
قريش - السيرة الحلبية ح ٣ ص ١٨

(٦) الخدمة موضع بمكة قريباً من شعب أنى طالب - اللادري ص ٥٥ وأما

ياقوت فقال الخدمة فتح أوله جبل بمكة - معجم اللدان ح ٣ ص ٤٧٠

ويصدوهم عن الدخول وأراد الله أن يكون لخالد - وهو أول من أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدخول -^(١) في هذا اليوم المشهود جولة وأن يشهر سيفه ليزحزح الأولى يريدون منع المسلمين من دخول البيت الحرام فاشتدك معهم في قتال انجلى عن قتل ١٣ من المشركين وثلاثة من المسلمين^(٢). ولم يحدث في هذا اليوم المشهود قتل سوى هذه المناوشة التي أعقبها إهرام المشركين ودخول المسلمين المسجد الحرام محلقيهم رؤسهم ومقصريهم : فكان ذلك تحقيقاً لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم التي ذكرها القرآن الكريم بقوله : « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقيهم رؤسكم ومقصريهم لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً »

وكان دخول المسلمين مكة في يوم الجمعة لعشر بقين من شهر رمضان من سنة ثمان^(٣)

ظن أولئك القوم أنهم بما جمعوا من بكر والحارث والأحاشيش^(٤) يقفون في وجه المسلمين ويصدونهم عن دخول مكة ولم يدروا أن سيف

(١) البلاذري ص ٤٦

(٢) وهم : كرز بن حارث أحد بني محارب ، وحيس بن خالد بن ربيعة بن أصرم حليف بني مقيد وسليمة بن الملاء من حمية والأولان كانا في خيل خالد فسلكا طريقاً غير طريقه فقتلا والآخر أصيب من خيل خالد ، سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٧١ ، الطبري ج ٣ ص ١١٨ وأبو سعد في طبقاته قال : أرقى المشركين ثماناً وأربعة وعشرين من قریش وأربعة من هذيل ج ٢ ص ٩٨ ومثله في أي القداء ج ١ ص ١٤٤

(٣) طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٩٩ ، الطبري ج ٣ ص ١٢٥

(٤) الطبري ج ٣ ص ١١٧

الله امير على ميمة الجيش الفاتح ، وأنه أمر أن يتقدم فيكون أول من
يدخل وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أذن له في قتال من يتصداه
ولسوء حظهم كانوا من نصيبه فأراهم أن ذا العزمات الماضية الذي عرفوه
بالأمر شديداً قاسياً على المسلمين هو اليوم أشد وأقسى على الشرك
والمشركين .

هذا ولا يسعنا أن نمر بفتح مكة من غير أن تذكره علنا بمجد ميزة
لاختيار خالد للقيادة في هذا اليوم العظيم .

ذلك أن هذا اليوم المشهود كان ينتظره رسول الله صلى الله عليه وسلم
بفارغ الصبر لأن أهل مكة الزعامة الدينية على سائر العرب وكل العرب
تبع لهم في ذلك فإذا أذعن أهلها ومحيت منها عبادة الأوثان والأصنام
فقد أذعنت كل العرب وأعطت بيدها صاعرة وليس أحب إلى نفس
رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن يرى الكعبة يذكرفها اسم الله خالصاً
ويعبد فيها وحده وتمحى منها الأصنام والأنداد ورسول الله أعلم الناس
بنفسية قريش ومقدار كرههم لهذا الدين وللداعي إليه ؛ فهم لا تطيب
نفوسهم لرؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم داخل مكة مستولياً عليها .
وهم يعرفون أنه متى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فقد دالت دولتهم
وانتهى عزهم ومحيت عظمتهم وقضى على أوثانهم ومعبوداتهم . كل هذا
وأكثر منه يعرفه الرسول وتعرفه أهل مكة فالمعقول إذن أن يختار
الرسول صلى الله عليه وسلم لامرأة جيشه في هذا اليوم أكفأ قواده الدين
حرجتهم الحروب وعركتهم الحوادث ولهم سابق خبرة ودراية بقيادة
الحيوش وتسييرها والإشراف عليها وإذا كنا نعلم أن جيش الفتح هذا

فيه كل قواد المسلمين وكثير من زعماء العرب فانه يمكننا أن نقول : إن اختيار خالد للقيادة في مثل هذا اليوم المشهود ليس لأنه يصلح للقيادة وكفى بل لأنه قائد ممتاز قدره الرسول صلى الله عليه وسلم وعرف له بوقه في القيادة. وإذا نحن عرفنا أنه كان تحت إمرته قراب ثلث الجيش^(١) وأن هذا الفريق كان حليطاً من قبائل العرب المتبدين المتنافرين الذين لم يهذبهم دين ولم يألفوا النظام أمكن بسهولة أن ندرك السر في اختيار خالد لقيادة تلك الفرقة المختلطة

فليس اختياره إذن لمثل هذا اليوم ولقيادة تلك الفرقة المتساينة عمواً بل لأنه الجدير بذلك ولا يحسن أن يسوس هذه الجموع أحداً ما ساسها خالد

هذا وقد أكثر الشعراء من المسلمين والمشركون من القول في هذا اليوم. فمن ذلك قول حماس بن قيس أخو بني بكر وكان ممن تصدى لقتال خالد فلما هزمهم فر إلى بيته وقال لامرأته أعلقي علي بابي فقالت له في ذلك فقال :^(٢)

إنك لو شهدت يوم الخندمة إذ فر صفوان وفر عكرمه
وأبو يزيد قائم كماؤتمه واستقباتهم بالسيوف المسله
يقطعن كل ساعد وجمجمه ضربا فلا يسمع إلا عصفمه
لهم مهيت خلفا وهممه لم تنطق في اللوم أدنى كلبه

(١) فقد كان تحت امرته موسى بن سليم في سعمانة وفي ألف وأسلم في أربع مائة ومائة في ألف وثلاث مائة وبنو عفار في أربع مائة وخمسة في ثمان مائة وفي ألف وأربع مائة، سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٧١ - ٢٧٩. الطبري ج ٣ ص ١١٨ - ١٢٢. السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٠٩.

(٢) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٧٢. الطبري ج ٣ ص ١١٩.

يعد فتح مكة أول يوم ظهرت فيه الكعبة من عبادة الأوثان والأصنام
وإذا اجتث الأصل وجرثومة الشرك لم يبق إلا مطاهر ومعابد في المرتبة
الثانية وقد أحد الرسول صلى الله عليه وسلم في إزالتها ومحوها ليكون
الدين كله لله لا شريك له فما أن استراح قليلاً بعد الفتح حتى عزم على :

هدم العزى

لم يمض على فتح مكة خمسة أيام حتى أرسل النبي صلى الله عليه وسلم
خالد بن الوليد في ثلاثين فارساً من المسلمين إلى بطن نخلة حيث هيكَل
العزى فسار إليها خالد وهدمها لحس ليال بقين من رمضان وكانت أكبر
صم لقريش تعظمه كناية ومضر كلها وكان سدتها بو شيان من بني سليم
حلفاء بني هاشم^(١)

على أن هدم العزى وإن بدا أمراً هيناً ولا حظورة فيه لكن لا يعزب
عما أنها كانت أكبر أصنام قريش وتعظمه كنانة ومضر كلها ومن جهة
أخرى هي أول صم أراد الرسول البدأة بهدمه — بعد ما كسر ما في
داخل الكعبة — فاذا هدم هذا وأذن معظموه — وهم من ذكرنا —
فغيره ، ليست له هذه الميزة وتلك المنزلة أيسر وأهون

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم خيراً بتلك الحقيقة النفسية
وهي : أن هدم العزى كان عد الفتح بخمسة أيام فبسط والنفوس محتاجة
مضطربة ساكنة على مطوية حقد وغيظ فليس بعيداً إن أمكنت فرصة
لأولئك الموتورين أن يشفوا صدورهم وعيظهم فكانت الحكمة وبعد

(١) معرى الوافى ص ٧ ، طقات ابن سعد ج ٢ ص ٩٩ ، الطرى ح ٣ ص ١٢٢

النظر أن يختار الرسول لهدمها — بصفة خاصة — من قواده أشدهم بأساً واصلهم عوداً في ذات الله فاختيار خالد يوضح لنا ثقة الرسول صلى الله عليه وسلم فيه لامن الوجهة الحربية فقط ولكن من الوجهة الدينية أيضاً

خالد في بني جذيمة^(١)

لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم بالذي يقعد به الفرح بفتح مكة والفوز على أولئك القوم الذين آذوه وأخرجوه من بلده فيتوانى عن مهمته الشاقة الحليقة مهمة هداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور . وكيف يتوانى أو يخلد للراحة وفتح مكة قد أتاح له فرصاً ذات بال لنشر دين الله وهداية عبيده : لأن قريشاً — وهي قدوة العرب والعدو اللدود له وللدين — قد خمد نفسها وأذعت للاسلام فصار الأمل في إجابة غيرها من قبائل العرب عظيماً .

لم يترك الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الفرصة التي أعقبت الفتح تمر من غير أن يغتنمها ويستفيد منها : فأرسل سراياه فيما حول مكة مبشرين وداعين إلى الله .

كان من أولئك الرسل خالد بن الوليد فإنه بعد أن هدم العزى أرسله النبي صلى الله عليه وسلم — وهو مقيم بمكة بعد الفتح — إلى بني جذيمة

(١) (حذيفة) « بفتح الحيم وكسر الدال المعجمة بعدها ياء آخر الحروف ساكنة ، شرح العبي على البحارى ج ١٧ ص ١١٣ ومثله في فتح البارى على البحارى ج ٨ ص ٤٢ وهم من كنانة وكانوا بأسفل مكة على ليلة ناحية يدم — طلاقات ابن سعد ج ٢ ص ١٠٦ فتح البارى ج ٨ ص ٤٢ وينسبون إلى حذيفة بن عامر بن عبد مائة بن كنانة — سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٨٤ . الطبرى ج ٣ ص ١٢٣ ، فتح البارى شرح البحارى ج ٨ ص ٤٢

في ثلاثمائة وخمسين رجلاً من المهاجرين والأنصار وبني سليم وغيرهم^(١)
 سار خالد في شوال قبل خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى غزوة
 حنين^(٢) حتى نزل الغميصة^(٣) وانتهى إلى بني جذيمة فقال لهم: ضعوا
 السلاح فإن الناس قد أسلوا فوضعوه فقال لهم استاثروا فاستاثروا ثم
 أمرهم فكتفوا وعرضهم على السيف فقتل منهم من قتل.

انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع يديه إلى السماء
 وقال: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد. ثم دعا على بن أبي
 طالب كرم الله وجهه وأعطاه مالا وقال له اخرج إلى هؤلاء القوم فانظر
 في أمرهم فجاهم على فودي الدماء وما أصيب من الأموال حتى إنه ليدي
 مبلغ الكلب وبقيت معه بقية من المال أعطاهم لهم تطيياً لفوسهم واحتياطاً
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما لا يعلم ولا يعلمون. وقد استحسن صلى
 الله عليه وسلم عمل على هذا وصوه وسر به.

وإذا كانت هذه الحادثة لها أهمية خاصة بالنسبة لخالد إذ قد عيبت عليه

(١) الواقدي في معاريه ذكر أنه كان مع خالد ٧٠٠ فارس من بني سليم وليس
 معه من الأنصار رجل غير أبي قتادة بن أنس - ص ٤١٥ وأبو قتادة هذا هو الذي
 قتل خالداً حينما قتل مالك بن نويرة وذهب إلى المدينة فأبلغ الأمر إلى أبي بكر
 رضي الله تعالى عنه.

(٢) هذا البعث كان عقب فتح مكة في شوال قبل الخروج إلى حنين عند جمع
 معاري - فتح الباري شرح البخاري ج ٨ ص ٤٢. شرح العيني للبخاري ج ١٧
 ص ٣١٣

(٣) الغميصة ماء من مياه بني جذيمة - الطبري ج ٣ ص ١٢٣

وأعترت سيئة في تاريخه المجيد فيحسن بنا أن ندلي برأينا فيها علنا نوفق إلى شيء من الصواب أو ما يقاربه . والفصل في هذه الحادثة يتطلب أن نعرض أماما هذه الأسئلة ونجيب عنها إجابات صريحة وهي : -

١ - هل قاتل خالد قوماً كافرين أو كان أبو جذيمة مسلمين عند

قتلهم عليهم ؟

٢ - هل كان غير مصيب في قتلهم ؟

٣ - إذا كان مخطئاً فهل قتلهم للتشفي وثورات الجاهلية أو كان متأولاً ؟

٤ - إذا كان له عذر في قتلهم فما هو ذلك العذر ؟

أما عن السؤال الأول فإن القوم لو كانوا كفاراً لما كان هناك ما يبرر تلك الصبغة التي أثرت حول قتالهم ولما كان هناك معنى للشهادة التي حصلت بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف وإتمامه خالداً بأنه قتلهم ثأراً لعمه الفاكه بن المغيرة ^(١) ولما أرسل النبي صلى الله عليه وسلم علياً فودي قتلهم إذ لو كانوا كفاراً حقيقة لما كان هناك معنى لدفع دينهم ولما كان قتالهم غير محطور ولا يأتهم فاعله . وكثير من المؤرخين الموثوق بروايتهم صرحوا بإسلامهم ونخص بالذكر من بينهم الواقدي واليعقوبي وابن سعد . لأنهم أقدم المصادر التي « ين أيديها » - فيقول الواقدي في مغازيه : ^(٢)

« ثم مضى خالد بن الوليد إلى حمى من كنانة بالأرق يقال له أبو جذيمة فوجدهم يصلون صلاة الغداة . . . فغشيهم خالد . فقال ما أتم قالوا نحن مسلمون نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً

(١) انظر تفصيل ذلك في سره اس هشام ج ٢ ص ٢٨٤ . الطبري ج ٣ ص ١٢٣

(٢) ص ٤١٥

عبدته ورسوله قال فتى أسلمتم إن كنتم صادقين قالوا الليلة حين بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كف يده عن ألقى السلاح وقال لا إله إلا الله فقلناها وصلينا .

ويقول كاتبه ابن سعد في طبقاته : . فأنهى إليهم خالد فقال ما أتم قالوا مسلمون قد صلينا وصدقنا بمحمد وبنينا المساجد في ساحاتنا وأذننا فيها . (١)

ويقول اليعقوبي : . فقال لهم خالد ضعوا السلاح فقالوا إنا لا نأخذ السلاح على الله ولا على رسوله ونحن مسلمون فانظر ما بعثك رسول الله له فإن كان بعثك مصداقاً لهذه إبلنا وغنمنا فاعد عليها . (٢)

إذن فالقوم مسلمون :

وعن السؤال الثاني نقول : إن ابن سعد (٣) روى لنا أن المهاجرين والأنصار أرسلوا أسراهم وهذا معناه أنهم لم يروا ما يبرر قتلهم ولو كان القتل صواباً للدوا إليه سراغاً ولما أرسلوا أسراهم وعرضوا أنفسهم لمخالفة أميرهم خصوصاً وأن فيهم الكثير من حلة الصحابة وفصلاهم كابن عمر وعبد الرحمن بن عوف .

وما لنا بميل يمنة ويسرة والى صلى الله عليه وسلم قد حكم الحكم الذي لا يحتمل النقص ولا الجدل بقوله : اللهم إني أرى إليك مما صنع خالد ،

(١) ج ٢ ص ١٠٦

(٢) اليعقوبي ج ٢ ص ٦٣

(٣) ولعل غارته . فما لم سلم فقتلوا من كان بأيديهم وأما المهاجرون والأنصار فأرسلوا أسراهم . ج ٢ ص ١٠٧ ويرشح هذه الرواية ما سنذكره بعد من رواه البخاري عن ابن عمر

فهذا صريح في أن خالداً فعل ما لا يرضى النبي صلى الله عليه وسلم حتى تبرأ من فعله . وبعبارة أخرى كان خالد غير مصيب في قتالهم . وقد صرح بذلك في الاستيعاب حيث يقول : فقتل معهم ناساً لم يكن قتله لهم صواباً فوداهم الرسول صلى الله عليه وسلم^(١)

وعن الثالث نقول : إن خالداً لم يقتل بني جذيمة لمحضر التشفي وثارات الجاهلية وإلا لاقتص منه النبي صلى الله عليه وسلم وقاده حتماً وبلا هوادة لكنه لم يفعل واكتفى بالتبرؤ من فعله . ولو لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم قد ارتأى أنه متأول لما تساهل في قتله قصاصاً بله أن يبقية أميراً ويؤليه ثقته ويجعله على مقدمة جيشه حين خرج إلى حنين وما بعدها . وإرسال النبي صلى الله عليه وسلم علياً ليدى القتلى والأموال دليل الخطأ لا العمد والنصد . وهذه أدلة شرعية وعقلية صحيحة فلا يعارضها ما روى من أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي حين أرسله : « واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك »^(٢) الأمر الذي يشعر بأن خالداً قتلهم لما كان بينه وبينهم من ثارات في الجاهلية لأن هذه الرواية لا ترتفع إلى مستوى الدليل العقلي القاطع إلا إذا تبين صحتها وصدورها من النبي صلى الله عليه وسلم وهو ما لم يقم عليه دليل بعد . ورواية البخاري ومعظم أهل الحديث — وهم الذين توافروا وعوا أشد العناية بنقل ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم — لم تشر إلى صدور هذا القول منه صلى الله عليه وسلم كما لم يذكرها معظم

(١) الاستيعاب ج ١ ص ١٥٧

(٢) سيره ١ هـ ج ٢ ص ٢٨٤ . الضمري ج ٣ ص ١٢٤ ويلاحظ أن

عبد المؤرخين قد روي هذا القول عن راو واحد هو ابن اسحاق

المؤرخين وهذا مما يجعلنا نشك كثيراً في صحتها وغاية ما تفيده هذه الرواية بعد هذا هو الظن المرحوح والظن وإن كان راجحاً لا يعدل الدليل العقلي القاطع بله أن يكون مرجوحاً.

الفصل في أمر بني جذيمة

في ضوء هذه الاحتمالات يمكن أن نستخلص رأياً في هذه الحادثة وهو: أن القوم مسدون وأن خالد لم يكن مصياً في قتلهم. وأن خطأه لم يكن بقصد التشفي والثأر ولكنه متأول وله شيء من العذر. بقي علينا أن نحيب عن السؤال الرابع لنعرف ما عذره وعلى أي أساس قتلهم؟

اعتذر بعض المؤرخين عن خالد فيما فعل. ومن ذلك ما ذكره بن هشام والطبري عن ابن اسحاق (١) من أن حالدا اعتذر عن نفسه بقوله: ما قاتلت حتى أمرني بذلك عبد الله بن حذافة السهمي وقال: إن رسول الله قد أمرك أن تقاتلهم لا متاعهم عن الاسلام، ويظهر لنا أن هذه الرواية لا يعتمد عليها إذ لو كانت صحيحة لما كان هناك وجه للطعن على خالد بل كان اللوم كله على عبد الله بن حذافة ولما ترك الرسول صلى الله عليه وسلم ابن حذافة يهر من العقاب لافتراءه الكذب عليه وتسبيه في قتل قوم مسلمين ونحن نجل ابن حذافة أو أي صحابي آخر ليس في منزله (٢) عن أن يفتري على رسول الله الكذب ويقول عليه. هذا فضلاً عن

(١) سيرة ابن هشام جزء ٢ ص ٢٨٤. الطبري جزء ٣ ص ١٢٤

(٢) راجع منزلة ابن حذافة في كتب الطمعات

أنها تصرح بكفرهم وامتناعهم عن الاسلام وقد أثبتنا فيما سبق إسلامهم
عن طريق العقل والنقل

ولعل أصرح رواية وأصحها في الاعتذار عن خالد هي رواية
الحارثي عن ابن عمر إذ يقول : « بعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن
الوليد إلى بني جذيمة فدعاهم إلى الاسلام فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا
فجعلوا يقولون صأنا صأنا »^(١) جعل خالد يقتل منهم ويأسر ودفع إلى
كل رجل منا أسيره حتى إذا كان يوم أمر خالد أن يقتل كل منا أسيره
فقلت والله لا أقتل أسيري ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره حتى قدمنا
على النبي صلى الله عليه وسلم فدكرناه فرفع النبي صلى الله عليه وسلم يده
وقال : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد مرتين .^(٢)

وقد علق شراح الحديث على ذلك بما يوضح عذر خالد فيقول البدر
العيني .^(٣) « صأنا من صأ إذا خرج من دين إلى دين وقریش كانوا يقولون
لكل من أسلم صأ فمن ذلك فهم ابن عمر أنهم أرادوا الاسلام حقيقة وأما خالد
فانه لم يكتب بذلك حتى يصرحوا بالاسلام . وقال الخطابي : يحتمل
أن يكون خالد نقم عليهم العدول عن لفظ الاسلام لأنه فهم عنهم أن ذلك
وقع منهم على سبيل الألفة ولم ينقادوا إلى الدين فقتلهم متأولاً وإنما نقم
رسول الله صلى الله عليه وسلم على خالد موضع العجلة وترك التثبت .

وقد اعتذر ابن تيمية في كتابه منهاج السنة^(٤) عن خالد بما يقرب

(١) وذكر مثله ابن هشام في سيرته جزء ٣ ص ٢٨٤ فلا عن أبي عمرو المدني

(٢) الحارثي بشرح العيني جزء ١٧ ص ٣١٣

(٣) وذكر مثل ذلك في فتح الباري جزء ٨ ص ٤٢

(٤) جزء ٢ ص ٢٢٩

بما قاله العيني وابن حجر وغيرهما بقوله : « فلم يحسنوا أن يقولوا أسلبوا فقالوا صأنا صأنا فلم يقل ذلك منهم وقال : إن هذا ليس بإسلام فقتلهم ... » ولم يكن خالد معاندا للنبي صلى الله عليه وسلم بل كان مطيعا له ولكن لم يكن في الفقه والدين منزلة غيره فخفى عليه حكم هذه القضية فان خالد لم يعتمد خيابة النبي صلى الله عليه وسلم ولا مخالفة أمره ولا قتل من هو مسلم معصوم عنده ولكنه أخطأ كما أخطأ أسامة ابن زيد في الذي قتله بعد أن قال لا إله إلا الله وقتل السرية لصاحب الغنيمة الذي قال : أنا مسلم ،^(١)

والعيني وابن تيمية ومن اليهم ممن تعرض لشرح حديث البخاري أئمة يعتد برأيهم في مثل هذه الحادثة واعتداهم عن خالد واصح صريح في أن له بعض العذر وأن ما فعله كان خطأ منه ولم يكن تشفيا لأرو ولا تعمدا لقتل مسلم معصوم

وسواء أكان الأمر الذي أهاج خالداً هو عدوهم عن التصريح بالاسلام أم طئه أن ذلك أئمة منهم فان له نوع من العذر لأن كلا من الأمرين يهيج مثل خالد الشديد في ذات الله والذي تربى تربية عسكرية من شأنها أن تجعل صاحبها يميل إلى البطش والشدّة وهو فوق ذلك يجهل أنه غير مصيب في قتلهم فمثل ذلك الرجل لا يعرف للحق إلا طريقاً واحداً ولا يرضيه إلا الحق الصراح خصوصاً وأن القوم حين رأوه أخذوا السلاح فكان هذا من دواعي سوء الظن بهم وإن كنا نرى أيضاً

(١) راجع اطرى ج ٢ ص ١٠٧٠٩٩ منه بيان الحادثتين حادثة أسامة وحادثة السرية

أن تحمسه للدين الذي يترتب عليه مثل هذا الصنيع أثر مما يجب ولكن
 شأن الشهم الشجاع ألا يداهن فاما صح أبلح وإما ضرب الرقاب
 وصفوة البحث أن خالدا أخطأ متأولا لا عن قصد وتعمد . وليس
 أدل على أن ما فعله ليس إلا عن اجتهاد وتأويل من أنه ما زال حائزا ثقة
 النبي صلى الله عليه وسلم متمتعا برصاه : ولذا فانا نراه عقب هذه السرية
 على مقدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم في : —

غزوة هوازن^(١)

فقد سار رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يوم السبت لست
 ليال خلون من شوال سنة ثمان إلى هوازن بحش الفتح وانضم إليه من
 أهل مكة قراب ألين حبا في الغنيمة أو للعصية لقرشية وذلك عند ما بلغه
 أنها قد أجمعت على حره وأنها خرجت بحدها وحدها لقتاله فكان خالد
 على مقدمة الجيش في مائة فرس^(٢) هي خيل بني سليم — وكان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قد قدم سليما من يوم خرج من مكة واستعمل عليهم
 خالد بن الوليد فلم يزل على مقدمته حتى ورد الجعرانة^(٣) — وانتهى
 النبي صلى الله عليه وسلم إلى حنين مساء ليلة الثلاثاء لعشر ليال خلون من
 شوال^(٤).

(١) هوازن قبيلة كبيرة من العرب فيها عدة بطون يسكنون إلى هوازن بن منصور
 ابن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن اليأس بن مصر - العبي على البحارى جزء
 ١٧ ص ٢٩٦

(٢) السيرة الحلبية جزء ٣ ص ١٦٣ ، ١٦٥

(٣) اجعرانة ماء بين الطائف ومكة وإلى مكة أقرب - معجم البلدان جزء ٣

ص ١٠٩

(٤) طبقات ابن سعد جزء ٢ ص ١٠٨

« وبينما جيش المسلمين ينساب في وادي حنين^(١) في عماية الصبح معتزاً بقوته ومغتراً بكثرته إذ استقبلتهم هوازن وساوروهم ورشقوهم بالنبل وأصلتوا السيوف وحملوا حملة رجل واحد وطلع عليهم كمينها فارتبك المسلمون وزلزلوا زلزالاً شديداً وكانوا كما قال الله تعالى : « يوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين » وانكشفت خيل بني سليم^(٢) وتبعهم أهل مكة والناس فهامت إبل المسلمين لا تلوى على شيء ولم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم إلا نفر يسير من المهاجرين والأنصار وأهل بيته ثم فاءت إليه فئة واجتلدوا لعدوهم وأخلصوا الله في قتالهم وتراموا على الموت دفاعاً عن دينهم ودينهم » فأمر الله سكينة على رسوله وعلى المؤمنين « وحققت الهزيمة على هوازن .

بعد هذا نريد أن نعرف هل كان خالد بن المديريين الفارين أو أنه كان من النصر القلائل الذين بقوا مع النبي صلى الله عليه وسلم ؟ وإذا كان من الفارين فهل رجع مسرعاً وكان له أثر في المعركة أو مضى في هزيمته ولم يرجع إلا وأسرى هوازن تحت سيوف المسلمين ؟

لم نر في كتب التاريخ التي اطلعنا عليها ما يثبت أن حالداً كان من الفر الذين بقوا مع النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعارقوه . ومن الطبعي أن ينهزم من في مثل موقفه مع المهزمين إذ أنه أمير على خيل بني سليم وهي مقدمة

(١) وادي حنين بين مكة والطائف وبين مكة ثلاث ليال أو مقدار لصعة عشر ميلاً بحسب دى الحجار - العيني على البخاري ج ١٧ ص ٢٩٤ ومعجم البلدان ج ٣ ص ٣٥٤ . طبقات ابن سعد جزء ٢ ص ١٠٨ ، الطبري ج ٣ ص ١٢٥

(٢) طبقات ابن سعد ج ٢ ص ١٠٩

الجيش وهي التي انهزمت أولا فتبعها الناس ولا تثريب عليه في ذلك
فمثل هذا الانهزام قد يساق فيه بعض الشجعان البواسل سوقا ولا كنهم
لا يتمون على هزيمتهم متى أمكنتهم فرصة وهو ما نراه في مثل موقف خالد
بكثير من أجلاء الصحابة : فكان الواحد منهم حينما يسمع النداء ^(١)
ولا يمكنه أن يوجه بعيره نحو الصوت - لشدة الرحام من الهريرة -
يتقلد سيفه وينزل عن بعيره فيؤم الصوت . والثابت أن خالد لم يمض
في هزيمة بل رجع من قريب وكان في الموقعة حين حمى وطيسها وكأنه
أراد أن يتدارك ما فاتته حين أكره على أن ينساق مع بني سليم في هزيمتهم
فأبى البلاء الحسن ولم ينبج من سيفه حتى النساء فقد قتل فيمن قتل امرأة
فأرسل إليه النبي صلى الله عليه وسلم من ينهاء عن قتل النساء والأطفال
وما زال يحول في المعركة ويطعن في نحر عدوه حتى أثبتته الجراحات
البليغة التي كانت داعية لعطف النبي صلى الله عليه وسلم وسؤاله عن
رحله لعيادته ^(٢)

خالد في غزوة الطائف ^(٣)

لم تمتع خالد أجراحاته من أن يكون على مقدمة الجيش عندما سار
النبي صلى الله عليه وسلم للطائف لحرب ثقيف وفل هوازن .

(١) فلما رأى (يعني الرسول ﷺ) الناس لا يلبون على شيء قال
يا عباس اصرخ : يا معشر الأنصار فيذهب الرجل منهم يريد ليثي بعيره فلا يقدر
على ذلك فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه ويأخذ سيفه وترسه ثم يقتحم عن بعيره فيحلي
سبله في الناس ثم يؤم الصوت حتى ينهي إلى رسول الله ﷺ الطريق

جزء ٣ ص ١٢٨

(٢) السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٦١

(٣) الطائف بينها وبين مكة اثنا عشر فرساجات مزارع وبحل وأعاب وفيها =

سار خالد على مقدمة الجيش في مائة فارس^(١) من بني سليم — وهم الذين خرج بهم من مكة حتى عسكر قريباً من حصصهم وحاصروهم المسلمون ثمانية عشر يوماً كان خالد يناي في أثنائها هل من مبارز فلا يحبه أحد وأخيراً ناداه عبد ياليل عظيم ثقيف قائلاً: « لا ينزل إليك منا أحد ولكن نقيم في حصننا فان فيه من الطعام ما يكفي سنين... »^(٢)

أذن إلى صلى الله عليه وسلم بالرحيل راجعاً إلى الجعرانة حيث غنائم هوازن وعندما انتهى من قسمتها قال رجل من المدققين^(٣): « ما أريد هذه القسمة وجه الله » فقال عمر: ألا يقتله وقال خالد ألا أضرب عنقه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « لا، لعله يصلي ».

واستندان خالد في أن يضرب عنق هذا الموافق وإن بدا أمراً صغيراً لكنه يصور لنا مقدار حبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحده عليه ونهايه في إحلاله وإعطائه، كما يكشف عن شدته في دينه وعدم هوانه

== الأودية واماء احارية طيبة لهواء وهي من أحسن المصائب وهي مصيف مكة قال الشاعر

تشو مكة لعة ومصعبها بالصف

بافوت ح ١ ص ١١

وقال ابن أبي شريح لسحاري: الطائف بلد كبير مشهور كثير الألعاب والحيل

على ثلاثة من حن أو اثنين من مكة من جهة المشرق — ح ١٧ ص ٣٠٢

(١) السيرة الحلبية ح ٣ ص ١٦٣

(٢) السيرة الحلبية ح ٣ ص ١٦٥

(٣) قيل اسمه معتب. وقيل هو ذو الحول مرة المسمى السيرة الحلبية ج ٣ ص

لكل من تحدّثه نفسه أو بدوومه ميل أو انحراف عن الجادة (١) وليس
جزاء من يهجم النبي صلى الله عليه وسلم بقبيح أو يشك في عدله وزيادته
إلا أن يضرب عنقه .

إرسال خالد إلى بني المصطلق (٢)

بعت النبي صلى الله عليه وسلم "وليد بن عتبة بن أبي معط إلى بني
المصطلق مصدقا في أوائل السنة التاسعة بعد إسلامهم عامين (٣) ولم
يلعبهم بعثه إليهم خرجوا للاقائه كرامة لقدمه فهاجمهم وهم أنهم خرجوا
لقتاله - وكان بينهم وبينه شجاعة في المحاربة - فرجع إلى النبي صلى الله
عليه وسلم فأخبره أنهم قد ارتدوا عن الإسلام (٤)

بعت النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد وأمره أن يشتت
ولا يعجل وأن يرمقهم عند الصلاة فإن كانوا قد تركوها فشا بهم فانطلق
حتى أتاهم ليلا فعمت عيونه فلما جاءوه أخبروه بأنهم متمسكون بالإسلام
وسمعوا أذانهم وصلاتهم فلما أصبحوا أتاهم خالد فرأى ما يعجبه فرجع
إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر (٥) فنزل قوله تعالى : يا أيها

(١) في البحار حادثة شبه هذه عند ما أرسل النبي صلى الله عليه وسلم وجهه مالا من اليمن

فقال رجل ما فعل فقام إليه خالد مسأرا في قلعه - البحار شرح ليعبي ح ١٨ ص ٧

(٢) هو المصطلق بطن من خزاعة وهم من جدية، وحديثه هو المصطلق من الصنع

وهو رفع الصوت - السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٦٤

(٣) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٧١

(٤) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٧١، ٤٨٨ تفسير الطبري ج ٢٦ ص ٧٩، تفسير

ابن كثير ج ٨ ص ١١ - ١٢ تفسير العنبر ج ٨ ص ١٠ طبع مدر

(٥) الأغانى ج ٥ ص ١٤١ طبع دار الكتب

الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين « فكان بي الله يقول : التبين من الله والعجلة من الشيطان » (١) .

وهذه الحادثة يتصل بها أمور ، منها : —

١ — أن المؤرخين وكذا المفسرين عند قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ » اختلفوا فيما بينهم فيما كان بعد أن رجع الوليد بن عقبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بأنهم ارتدوا وهموا بقتله فمنهم من قال : إنه عقب رجوع الوليد هم النبي صلى الله عليه وسلم بقتالهم ، وأكثر المسلون ذكر غزوهم وفيما هم كذلك قدم وفدهم فأخبرهم أنهم خرجوا ليكرموا الوليد فقبل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك منهم (٢) .

ومنهم من قال : أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل خالدا وأوصاه وكان منه ما بينا آنفا . وهذا القول هو ما نميل إليه ونرجحه .

١ — لأن الذي تلوح به الآية الكريمة وهي قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة . . . » ينطبق على القول الثاني من إرسال خالد ووصية النبي صلى الله عليه وسلم له بأن يتثبت ويتبين وليس فيها ما يشير إلى القول الأول من أنهم بقتالهم والاكتثار من ذكر غزوهم ومن المحقق أن هذه الآية نزلت في الوليد ابن عقبة بن أبي معيط . قال ابن برهان الدين : « قال ابن عبد البر رحمه

(١) تفسير الطبري ج ٢٦ ص ٧٩

(٢) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٧١ ، تفسير ابن كثير ج ٨ ص ١١ - ١٢ طبع المنار

تفسير النغوى ج ٨ ص ١٠

الله : لا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن فيما علمت أن قوله : إن جاءكم فاسق بنبأ نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى بني المصطلق لأخذ صدقاتهم «^(١)

ب - ولأن كثير من رواة الأدب الموثوق بهم كصاحب الأغاني^(٢) لم يتعرض للقول الأول واكتفى بإيراد القول الثاني وما كان من إرسال خالد وتحريه لمعرفة الحقيقة في أمر هؤلاء القوم .

٢ - إن اختيار خالد للسير إلى هؤلاء القوم ووصيته بالتثبت لا يخلو من حكمة فإن موقف النبي صلى الله عليه وسلم بأزاء هؤلاء القوم بعد الذي بلغه عنهم يتطلب أن يكون من يرسله إليهم حازما مفكرا بعيد النظر واسع الخيلة يستطيع الكشف عن حقيقة القوم وأن يكون قائدا ماهرا إذا احتاج الأمر للقتال . وخالد خير من تتوفر فيه هذه الأمور ووصية النبي صلى الله عليه وسلم له بأن يتثبت ولا يعجل هو ما يقتضيه الحزم ولو ثبت أن الآية الكريمة نزلت قبل مسير خالد لكانت هذه الوصية أيضا أمثالا لأمر الله تعالى ولا يبعد أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم خشي أن يتعجل خالد في أمرهم وأن يأخذهم بالظنة خصوصا وهم من بني جذيمة ، وله معهم سابقة فكان الحزم تلك الوصية .

(١) الأغاني ج ٥ ص ١٤١ ، البيرة الخلية ج ٢ ص ٣٧١ ، تفسير ابن كثير وتفسير البغوي في الصفحات السابقة

(٢) الأغاني ج ٥ ص ١٤١

سرية خالد إلى دومة الجندل (١)

غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم الروم في رجب من السنة التاسعة
وفي أثناء مقامه بتبوك أرسل خالدًا في أربعائة وعشرين فارسًا^(٢) إلى
أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل - وهو نصراني من كندة -
فوحده يصيد البقر^(٣) كما أحضره بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذلك أن بقر الوحش^(٤) ذعر في الوادي الذي كان فيه حينما أخذت
سرية خالد ووجهها إلى دومة ، فأحده البقر في طريقه وانتهى إلى دومة
فبات تحتك تحائط بيت أكيدر فقلت له زوجته أمامة : هل رأيت مثل
هذا قط ؟ لا . فقلت : من يترك هذا ؟ قال لا أحد ، وكانت ليلة
صائمة مقمرة فركب في نفر من أهله وهم أخوه حسان ، فخرجوا معه
لمصادره ، فمذبت عليه حيل خالد فاستأسر أكيدر وامتنع أخوه حسان
وفان حتى قتل وهرب من كان معهما ودخل الحصن وأجار خالد أكيدر
حتى أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يفتح له دومة الجندل
فمضى ووصله عن أبي عبيد وثماعة رأس وأربعائة درع وأربعائة
رمح ومبر للذي صلى الله عليه وسلم صفيًا خالصًا ثم قسم العزيمة فأخرج

(۱) حسن و باحی صی، علی - عهده جن من دمشق یہا وہاں المدینہ - ہجیرہ
- ج ۲ ص ۱۰۷، کما - عہد قیصرہ - ہجیرہ وہاں المدینہ - ہجیرہ
لہذا ج ۲ ص ۱۱۹

(٢) قصة - ١ - سعد ج ٢ ص ١١٩ - سيره الخ ٤ ج ٣ ص ٢٨٦

(۳) شرح و مضمون ص ۱۲۶

١٤٠. راجع 'الامانة' في 'شعب' عند 'نوع' 'العار' ص ٢٥٠.

الخمسة وكان للنبي صلى الله عليه وسلم ثم قسم ما بقي بين أصحابه فصار لكل رجل منهم خمس فرائض ثم خرج خالد بن الوليد بأكيدر وأخيه مصاد — وكان في الحصن — وبما صالحه عليه قافلاً إلى المدينة فقدم بأكيدر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهدى له هدية فصالحه على الجزية وحقق دمه ودم أخيه وخلي سبيلهما وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً فيه أمانهم وما صالحهم عليه وختمه يومئذ بظفره^(١) كان على أكيدر قباء من ديباح مخصوص بالذهب فاستبده خالد وبعث به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومه عليه فجعل المسلمون يلبسونه ويتعجبون منه

إرسال خالد إلى حمران^(٢)

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد في شهر ربيع الآخر وقيل في جمادى الأولى من سنة عشر^(٣) إلى بني الحارث بن كعب بنجران في أربعمائة من المسلمين، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثاً فإن استجابوا فاقبل منهم وأقم فيهم وعلمهم كتاب الله وسنة نبيه ومعالم الإسلام فإن لم يفعلوا فقاتلهم فخرج خالد حتى قدم عليهم فبعث الركاب يضربون في كل وجه ويدعون الناس إلى الإسلام ويقولون:

(١) طبقات ابن سعد ج ٢ ص ١١٩ - ١٢١ أسيرة الخليفة ح ٣ ص ٢٨٧، ٢٨٦

(٢) الفتح ثم السكون وآخره بنو — معجم البلدان ح ٨ ص ٢٥٨

(٣) انظر ان الأثير على الرواية الأولى ولعلها أشهر وأصح

١ يا أيها الناس أسدوا تسدوا فأسلم الناس ودخلوا فيما دعاهم إليه فاقام خالد
فيهم يعلمهم الاسلام وكتاب الله وسنة نبيه ^(١) ثم كتب خالد الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم كتاباً باسلامهم ^(٢) فكتب إليه يستقدمه مع وفد
منهم فقدم ومعه وفد بلحارث

ومما يحسن ذكره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو وفد بلحارث:
«بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الحاهلية؟ فقالوا: لنا نجتمع ولا نتفرق
ولا نبداً أحداً بظلم» ^(٣)

هذا وقد اطلعنا في الطبري على رواية تنص على أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعث خالداً إلى اليمن داعياً للإسلام فذهب وأقام هناك
سنة أشهر فلم يحبه أحد ثم أرسل علياً فما أن وصل حتى أجابه الناس
ودخلوا في دين الله أفواجا ^(٤)

ونلاحظ على هذه الرواية أموراً منها: —

١ — إن الطبري ذكرها في حوادث سنة عشر و ذكر أن إرسال
على كان في رمضان من تلك السنة بعد أن مضى على خالد في اليمن ستة
أشهر ولم يحبه أحد: فيكون إرسال خالد على هذا في ربيع الأول
أو في ربيع الآخر مع أننا سبق أن ذكرنا أن خالد أرسل في هذا الوقت
نفسه إلى بني الحرث بنجران. وبعث خالد هذا متفق عليه من المؤرخين:

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٤٧، الطبري ج ٣ ص ١٥٦

(٢) ونص الكتابين موجود بكتب التاريخ المطولة يراجع سيرة ابن هشام ج ٢

ص ٣٤٧ الطبري ج ٣ ص ١٥٦

(٣) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٤٧، الطبري ج ٣ ص ١٥٩

(٤) الطبري ج ٣ ص ١٥٩

فإن كان إرساله إلى نجران هو ما تشير إليه هذه الرواية فقد ظهر ضعفها :
لأننا سبق أن قررنا أن أهل نجران أسلوا على يد خالد وذهب وفد منهم
معه إلى النبي صلى الله عليه وسلم . وإن كان إرساله إلى نجران حادثة تغاير
ما تشير إليه هذه الرواية فقد ظهر ضعفها أيضا . إذ لا يقبل عقلا أن يذهب
شخص واحد في وقت واحد إلى جهتين مختلفتين فيسلم على يديه إحدى
الجهتين ويفد على رأس وفدهم إلى المدينة في الوقت الذي يقيم فيه في الجهة
الأخرى ستة أشهر فلا يجيبه أحد

٢ — إن هذه الرواية لم يرشحها الطبري — على خلاف عادته —
رواية أخرى بمعناها حتى تطمئن النفس إليها كما أنه لم يروها عن اعتاد
الاكثار من الرواية عنهم كابن اسحق وسيف

٣ — لم نجد في كتب التاريخ التي اطلعنا عليها ما يثبت صحة هذا
البحث بل الذي رأيناه في بعضها يثبت بطلان هذه الرواية : فقد ذكر ابن هشام (١)
ما نصه . « بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب
إلى اليمن ، وبعث خالد بن الوليد في حد آخر وقال : إن التقيتما فالأمير
على بن أبي طالب » وذكر مثله في السيرة الحلبية . وهذا يفيد أنهما
ذهبا معا أو في وقتين متقاربين لا أن خالد أذهب فكث ستة أشهر فلم
يجبه أحد فذهب بدلا منه على كرم الله وجهه فأسرع الناس إلى إجابته
من هذا يتبين عدم صحة هذه الرواية عقلا ونقلا : ولذا فانا لا نتخرج
من الجزم بعدم التعويل عليها . ومن ثم فقد أغفلنا ذكرها كعمل من أعمال خالد

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٦٥ . وراجع أيضا الطبري ج ٣ ص ١٦٧

هذا والناظر إلى تلك الأعمال الجليلة التي عهد النبي صلى الله عليه
وسلم إلى خالد القيام بها يدين له أنه منذ أسلم كان موضع ثقة الرسول
بولى أعنة الخيل ويجعله على مقدمة الجيش: وكان كما قال عن نفسه:
«لم يعدل بي رسول الله صلى الله عليه وسلم، منذ أسلمت أحداً من أصحابه
فيما حزنه». فكانت المدة التي قصاها في الصحبة بين مجاهد بين يدي
الرسول صلى الله عليه وسلم، أو أمير على سرية يكافح أعداء الإسلام
وبشر دين الله، ولم يره منذ أسلم تخلف عن حرجة أو غزوة غزاها النبي
صلى الله عليه وسلم: فكان مرافقاً له في كل أسفاره حريصاً على رضاه
ولقد كان له بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم الأثر الجليل
والذكر الخالد في بصرة دين الله وإعلاء كلمته

الباب الثالث

أعمال خالد وفتوحه

في زمن أبي بكر رضي الله عنه

أثره في حروب الردة

(١) نسخة الأولى (٢) نسخة الثانية (٣) نسخة الثالثة

تمهيد

قبل الكلام على حرب خالد للمرتدين يحسن بنا أن نلمس إمامة حليفة
 بحاله العرب حين وفاة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم
 كان الكثير من سكان الحيرة العربية من أهل البادية والأعراب
 الرحل الذين لم تعودوا لخضوع لقوى أو نظام، جماعة لم يهذبهم دين
 ولم يرفهم مبادئ اجتماعية وأسس مدنية حدثوا عهد بكفر، والنفس
 بطبعهم تنزع إلى فديتها، وتحن إلى ما لوفها، وود الرحوع إلى حيمها.
 والإسلام قد ألزمهم بتكاليف حصة، وأحدهم باتباع قوانين لا يلائم
 الكثير منها طاعتهم، وما نشأوا عليه، فسمعهم من الأخذ بالشرك، وجلدهم
 على الرضا، وهم فوق ذلك ليست لهم حجة طويلة بالنبي صلى الله عليه وسلم
 أو لاصحة لهم أصلاً، فتمدب نفوسهم، ونسبو طاعتهم وتصفو من
 عقائد الشرك ولم يتدبروا الإسلام وبهمومه فتشرب نفوسهم حبه،

وكثير منهم أسلم طوعاً لرؤسائهم لا حباً في الدين ، ومعرفة به . حتى لقد أدى بهم جهلهم بالدين أنهم فهموا أن دفع الزكاة ما هو إلا نوع من الاتاوة يلزمون بدفعه ، ولم يفقهوا أنها صدقة تؤخذ من ذوى اليسار منهم لترد على أهل الحاجة فيهم . وأنها مبدأ تعاوني . ومن أهم المبادئ التي ترقى المدينة وتأخذ بيد المجتمع

فما أن سمعوا ب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم حتى طنوها فرصة للتخلص من ذلك الدين . وتلك التكاليف : فأصبحوا بين مانع للزكاة ، وتارك للدين أو متسع لأفراد متنشين — رجاء أن يكون لهم مالنبي قريش — وأعدوا تمردهم على الدين القويم وعصيانهم لأوامره : فاضطربت جزيرة العرب واختلط الخابل بالابل ، وكفرت الأرض وتصرمت « ونجم النفاق واشترأت اليهود والصارى ، والمسلدون كالغنم في الليلة المظيرة الشاتية لفقد دينهم صلى الله عليه وسلم وقتلهم . وكثرة عدوهم » ^(١) وبالجملة فان جزيرة العرب أصبحت كالركان الثائر : هياح واضطراب ، وردة وإلحاد ، وريغ عن الدين القويم ، والصراط المستقيم . ولم ينج من هذه الفتنة الخالكة إلا أهل مكة والمدينة والطائف ، وقليل غيرهم من أهل البادية والأعراب

تلك هي حال العرب بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وهي حال تتطلب لتهديتها وتسكينها إرادة صارمة ، وعزيمة ماضية ، وثقة بصر الله ، وتأيده لأهل دينه .

كانت هذه الصفات مكتملة تتوفر في الخليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنى بكر رضى الله تعالى عنه [فقد برهن بموقفه إزاء المرتدين كما برهن عند وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم - وقد ذهل جميع الصحابة ونفى بعض فضلائهم كعمر رضى الله عنه^(١)، أن يكون محمد قد مات - أنه رجل الساعة، وأنه حدير بالاصطلاح بأعباء الخلافة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في مثل الوقت الذى تولاها فيه .

لم تكن وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ولا وقعها الأليم على نفسه وعلى المسلمين ولا ما يرد كل يوم من أخبار العرب وارتدادهم بمانع أبا بكر من تنفيذ الخطة التى رسمها ولا موهن لعزيمته ، أو مضعف من ثقته بنصر الله . فبين هذه الفتن والأبناء المخدلة قام بانفاذ جيش أسامة - وكان قد توقف عن السفر حين مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم - رغم معارضة بعض كبار الصحابة فى تسييره أو على الأقل استبدال أحرى بأسامة أسن منه إن كان لابد من سيره . ولقد تبين بعد أن ذلك من توفيق الله لأبى بكر : فقد وهنت نفوس العرب ، وكفوا عن كثير مما اعتزموا عليه لم يفت أو بكر أن يكون بعض المرتدين أراد غزو المدينة ، أو قصد لها بسوء ، فأخذ الخطة لنفسه وحذر ، فجعل كل ما فيها من رجال على استعداد للطوارئ ، ولقد كان لهذا الاستعداد أثر محمود ، فقد تمكن من عبس وذبيان وغيرهما ممن أراد المدينة بسوء ، وحين رجع جيش أسامة واستراح قليلا عقد الألوية ، وسير الحيوش لأحضاع العرب وإرجاعهم إلى الجادة

عقد أحد عشر لواء لأحد عشر قائداً. وعين لكل قائد الجهة التي يقصدها. والقوم الذين إلى قتالهم. وكتب لهم عهداً صورته واحدة. وفصلت الأمراء بحيوشها من دى القصة^(١) بعد أن كتب للمرتدين كتاباً^(٢) واحداً منشوراً^(٣). أرسله إليهم ليكون نذيراً لهم بين يدي جيوشه. وليكون أعذر إليهم قبل الإيقاع بهم. وفيما إلى أسماء الأمراء والجهات التي قصدوها: —

- ١ — خالد بن الوليد: وجهه لقتال طليحة بن خويلد الأسدي بزاخرة فاذا فرغ منه قصد مالك بن نويرة بالبطاح
- ٢ — عكرمة بن أبي جهل: وجهه إلى مسيلة الكذاب
- ٣ — شرحبيل بن حسنة: وجهه في إثر عكرمة فاذا فرغاً من أمر مسيلة قصد قصاعة
- ٤ — المهاجر بن أبي أمية: وجهه إلى الأسود العنسي بصعاء
- ٥ — حذيفة بن محصن: وجهه إلى دبابيمان
- ٦ — عرفة بن هرة: وجهه إلى أهل مهرة وأمره هو وحذيفة أن يجتمعا وكل أمير على صاحبه فيما وجه إليه
- ٧ — سويد بن مقرن: وجهه إلى أهل نهامة اليمن
- ٨ — العلاء بن الحضرمي: وجهه إلى أهل الحارثين

(١) مبرور من أمده على يزيد من نحو عهد الطبرى ح ٣ ص ٢٢٥. ٢٢٨

(٢) العهد والكتابات موجودان نصهما في كتب التاريخ المبسوطة - راجع الطبرى

ج ٣ ص ٢٢٦. ٢٢٧

(٣) كتاب هذا المنشور أو منشور عام يقرأ في مجامع الناس وأديتهم - تاريخ

الخلافة لأبي الشيخ عبد الوهاب الحارثي ص ٤٤

٩ طريفة بن حاجر : وجهه إلى بني سميم ومن انضم إليهم من
هوازن

١٠ عمرو بن العاص : وجهه إلى قصاة

١١ - خالد بن سعيد : وجهه إلى مشرف لسان

والنظر في هذا لتبت يدين أن أبا بكر لم ولن أحد أولئك القواد
أكثر من ناحية واحدة وربما أشرك اثنين في ناحية . ما عدا خالد بن
الوليد فقد ولاه أمر طليحة ومالك بن نويرة ثم مسيلة بعد انهزام من
وجه إليه من القواد ، مما يدل على عظيم ثقته فيه . واعتماده عليه . وأنه حقا
سيف الله ، ووفى عين الردة

ولسنا في معرض بيان أعمال أولئك القواد حماة الاسلام . ونكايتهم
فيمن وجهوا إليهم فلدلك موضع آخر ولذا فانا سنقصر القول على خالد
ومن وجه إليهم يداً لجهده فيهم وثلاثة في قسمة . وأولهم .

طليحة (١)

هو طليحة بن خويلد الأسدي بدأ في حياة أبي صلى الله عليه وسلم
بعد حجة الوداع حين علم بمرضه طمعا في أن يكون له ما لرسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم

وجه النبي صلى الله عليه وسلم ضرار بن الأزور إلى بني أسد وأمرهم
بالقيام على من ارتد فأشجوا طليحة وأحافوه وضعف أمره حتى لم يبق إلا
أخذه سبأ إلا أن ضرار أصر به بالسيف فباعه فباع بين الناس أن
السلاح لا يحيك فيه : فتزايد جمعه . وكثر أباعه . وفيما هم على ذلك نعى

(١) من بني أسد بن حزيمة

النبي صلى الله عليه وسلم فاعظم أمره وتفاقم، وسجع الأكاذيب، وادعى أن جبريل يأتيه، وأمرهم أن يعبدوا الله قياماً، وأن يتركوا السجود في الصلاة، وظاهره كثير من العرب للعصية، ولذا فانا نجد أكثر أتباعه من أسد وغطمان وطى، وعس وذيان ومن لف لفهم. ومن هذه القبائل من هو في حلف مع قبيلة أخرى أو يجمعها سواها أب واحد^(١)

أمر أبو بكر خالداً أن يبدأ بطى على الأكاف^(٢) ثم يكون وجهه إلى البزاحة^(٣) ثم يثلث بالبطاح ولا يريم إذا فرغ من قوم حتى يحدث إليه، ويأمره بذلك وأظهر أبو بكر أنه خارج إلى خير ومنصب عليه منها حتى يلاقيه بالأكاف^(٤) وقد أوعب الناس مع خالد ولكنه فعل ذلك مكيدة وإرهاباً للعدو، ففقد ذلك طيئاً وبطاهم عن طليحة^(٥)

وكان أبو بكر قد بعث عدى بن حاتم إلى قومه قبل توجيهه خالداً إليهم وقال له: «أدركهم لا يوكلوا»^(٦) ويحتاجهم خالد بهم معه. فأسرع عدى إلى قومه (العوث من طى) ودعاهم وخوفهم، وصار يقتلهم في الذروة والغارب حتى أجابوه وقالوا له: استقبل خالداً فنهبه عائلاناً

(١) كان بين أسد وغطمان وطى حلف والجامعة. الطبرى ج ٣ ص ٢٣٠

(٢) الأكاف جلا طى: سلى وأحأ معجم البلدان ج ١ ص ٣١٨

(٣) راحة الصم والحاء المعجمة ماء لى أسد - ياقوت ج ٣ ص ١٦١. الطبرى

ج ٣ ص ٢٢٨

(٤) الطبرى ج ٣ ص ٢٢٧

(٥) الطبرى ج ٣ ص ٢٢٨

(٦) ظهر أن أبا بكر كان يعرف من خالد الشدة والطش، ولذا فقد أرسل عدياً

إلى قومه حتى لا يطش بهم خالد

حتى يستخرج من لحق بالبزاحة منا ، فانا إن حالنا طليحة وهم في يده
 قتلهم أو ارتنهم ،^(١) فاستقبل عدى خالد أوهو بالسبح^(٢) وقال له :
 « أمسك عني ثلاثاً يجتمع لك خمسمائة مقاتل تضرب بهم عدوك ، وذلك
 خير من أن تجعلهم إلى النار وتشاغل بهم »^(٣) وجاء من عدد طليحة منهم
 كالمديد لقومهم ، ورجع عدى إلى خالد باسلامهم فارتحل نحو الأنسر
 يريد جديلة « فقال له عدى إن طياً كالطائر ، وإن جديلة أحد حناحي
 طي ، فأجلى أياماً لعل الله أن ينتقذ جديلة كما انتقذ العوث ففعل فأتاهم
 عدى فلم يزل بهم حتى بايعوه فجاء باسلامهم . ولحق بالمسلمين منهم ألف
 راكب فكان خير مولود ولد في أرض طي ، وأعظمه عليهم بركة »^(٤)
 توجه خالد ومن انضم إليه من طي ، تلقاه بزاخة ، وأرسل عكاشة بن
 محصن وثابت بن أقرم الأنصاري طليحة فقتلا حبالا أخا طليحة ، فلما بلغه
 مصرع أخيه خرج ومعه أخوه سلمة فقتلا عكاشة وثابتاً ، ثم رجعا وأقل
 خالد بالناس حتى مروا ب ثابت بن أقرم قتيلا فلم يقطوا له حتى وطئته
 المطى بأخفافها فكبر ذلك على المسلمين ، ثم نظروا فإذا هم بعكاشة بن
 محصن صريعاً فخرج لذلك المسلمون وقالوا : قتل سيدان من سادات المسلمين

(١) الطبري ج ٣ ص ٢٢٨

(٢) السبح نسم أوله وسكون ثابته وآخره جاء مهملة موضع مسجد قرب حبي صي

معجم البلدان ج ٥ ص ١٤٩

(٣) الطبري ج ٣ ص ٢٢٨

(٤) الطبري ج ٣ ص ٢٢٨

وفارسان من فرسانهم : فانصرف خالد نحو طيء (١) - حينا رأى ما بأصحابه من الخزع لمقتل ثابت وعكاشة - وهالك تعبي للحرب ثم إن طيئاً سألت خالداً أن تكفيه قيساً فان بي أسد حلقاؤهم فقال لهم : اصمدوا إلى أي القيلتين أحببتم . فقال عدى : والله لا أمتنع عن جهاد نبي أسد لحلفهم . فقال له خالد : إن جهاد الفريقين جميعاً جهاد . لا تخالف رأي أصحابك امض إلى أحد الفريقين وامض بهم إلى القوم الذين هم لقتالهم أنشط (٢)

سار خالد على تعية يريد طلحة بزاخة ، وكان عيينة بن حصن الفراري قد انضم إليه في سعمانة من بني فزارة . ثم التقى الجمعان ودارت رحى الحرب واقتل الناس قتالا شديداً وطلحة متلفف في كسائه بفناء بيت له من الشعر يتنأ لهم ، فلما هزتهم الحرب كر عيينة على طلحة فقال له : هل حالك جبريل بعد ؟ قال : لا . فرجع وقاتل حتى إذا عضته الحرب وضرس القتال كر عليه فقال : لا أبالك أجاءك جبريل بعد ؟ قال : لا . فقال عيينة : حتى متى قد والله بلغ منا ثم رجع فقاتل قتالا شديداً ثم كر عليه فقال : هل حالك جبريل بعد . قال : نعم . قال : فماذا قال لك ؟ قال : قال لي : إن لك راحاً كراح واحدثاً لا تنساه . فقال عيينة : قد علم الله أنه سيكون حديث لا تنساه يا بني فزارة هكذا فانصرفوا فهذا والله كذاب فانصرفوا واهزم الناس ، فغشوا طلحة يقولون ماذا تأمرنا فقام فوثب على فرسه ، وحمل امرأته ونحايها - وكان قد أعد فرسه عنده وهياً

(١) الضري ح ٣ ص ٢٢٨

(٢) الضري ح ٣ ص ٢٢٩ - وقوله جدد هذه قولة حكيم حير نفوس من معه ، فانه لو ألزمهم بقتال من يتخرجون قتاله لما فتوه بعريمه وخماس

بغير الأمراته النوار - ثم قال : من استطاع منكم أن يفعل مثل ما فعلت
وينجو بأهله فيمعل ، ولحق بالشام وارضض جمعه ، ثم أسلم فيما بعد
وحسن إسلامه ^(١) وكان ذا غناء وأثر محمود في حروب الفرس في أيام
عمر بن الخطاب واستشهد هناك وقد قيل كثير من الشعر في هذه الواقعة ،
فمن ذلك قول القعقاع بن عمرو :

ويوما على ماء البراخة خالدٌ أثار بها في هبوة الموت عثراً
وقول ربيعة بن مقروم الضبي :

وقومي فان أنت كذبتني بقولي فاسأل بقومي خيراً
بنو الحرب يوماً إذا استلأموا حسنهم في الحديد القروما
فدى براخة أهلي لهم إذا ماؤوا بالجموع الحريم ^(٢)

هذا ولم يصب خالد على البراخة عيلاً واحداً من عيالات بني أسد
لأن عيالاتهم كانت محرزة ^(٣)

كان بنو عامر بن صعصعة في سادتهم وقادتهم بالقرب من ساحة
القتال لا يقدمون ولا يحجمون ولما دارت الدائرة على طليحة أقبلوا
يقولون : ندخل فيما حرحنا منه ونؤمن بالله ورسوله ، فبايعوا خالداً على
ما بايع عليه أهل براخة ، وكانت بيعته : « عليكم عهد الله وميثاقه لتؤمنن
بأنه ورسوله ولتقيمن الصلاة ، ولتؤتن الركاة ، وتبايعن على ذلك أبناءكم
ونسائكم ، فيقولون نعم ، ثم إن خالداً لم يقبل من أحد من أسد ولا غطفان

(١) الطبري ج ٣ ص ٢٢٩ - ٢٣٢

(٢) معجم البلدان ج ٢ ص ١٦٢

(٣) الطبري ج ٣ ص ٢٣٢

ولا من لف لقهم إلا أن يأتوه بالذين حرقوا ومثلوا وعدوا على أهل
الاسلام في حال ردتهم فأتوه بهم فقبل منهم إلا قرّة بن هيرة ونفراً معه
أو ثقتهم . ثم إنه مثل بالذين عدوا على الاسلام فأحرقهم ورضخهم ورعى
بهم من الجبال . وكتب إلى أبي بكر : إن بني عامر أقبلت بعد إعراض ،
ودخلت في الاسلام بعد ترص وإني لم أقبل من أحد قائلني أو سالمني
شيئاً حتى يحثوني بمن عدا على المسلمين . فقتلتهم كل قتلة . وبعثت إليك
بقرة وأصحابه ^(١)

أوثق خالد عينة بن حصن وقرّة بن هيرة فبعث بهما إلى أبي بكر فلما
قدما عليه تجاوز عنهما وحقق دماءهما . ثم كتب إلى خالد : « ليزدك ما أكرم
الله به عليك خيراً ، واثق الله في أمرك . فإن الله مع الذين اتقوا والذين
هم محسنون . جد في أمر الله ، ولا تبن ولا تظفرون بأحد قتل المسلمين إلا
قتلته . ونكلت به غيره ، ومن أحببت ممن حاد الله أو ضاده ممن ترى أن
في ذلك صلاحاً فاقتله » ^(٢)

أقام خالد على الزاحاة شهراً يصعد ويصوب ويتبع الثار ويأخذ
الصدقات ، ويدعو الناس ويسكنهم وفيما هو كذلك إذ بلغه تجمع الفلال
من جند طليحة على أم رمل سلى بنت مالك بن حذيفة (وهي من بني
فزارة) وقد أمرتهم بقتال المسلمين ، وكثر جمعها وعظم أمرها فصار إليها
وقائنها وفض جمعها . وكانت تقاتل على جمل لأمها ففقره المسلمون حتى

(١) الطبري ج ٣ ص ٢٣٣

(٢) الطبري ج ٣ ص ٢٣٣

يقصر أمد القتال وقتلوا وقتل حول جماعها مائة جمل^(١)
يحسن بنا بعد أن قامت بنو أسد ومن تأشب إليهم إلى أمر الله أن
تعرف الأسباب التي ساعدت خالداً على النصر ورحمت كفته وأهم
هذه الأسباب فيما نرى : —

١ أن خالداً وجيشه يقاتلون عن عقيدة واثقين بنصر الله وتأيده
يرددون قوله تعالى : (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) فمن قتل
منهم قتل شهيداً ومن سلم عاش سعيداً في حين أن أعداءهم إنما ينصرون
شخصاً للعصية لا أزيد . وليس هناك ما يحكمهم في الموت أو ينشطهم
للترامى على القتال . وشتان بين الحاليتين

٢ تورية ألى بكر ومكيدته من أنه سائر بجيش آخر يلاقى به خالداً
لقتال العدو فان وصول هذا الخبر لمسامع العدو نط من همته وبطاً بكثير
من كان يريد الانضمام إليه ، وجعل الروح المغوية في جيشه خادمة
لا حماسة فيها ، وهذا السبب وحده كاف لخدلان أكبر جيش ، في حين
أن جيش المسلمين يقاتل بحماس وشجاعة وثقة بالعوز

٣ قتل الرجلين اللذين أرسلهما خالد طلحة للحيش أحفظت
قلوب المسلمين وحرصتهم على قتال عدوهم ، وتشفيهم منه . ويتبين ذلك
من قول الطبري الذي ذكرناه آنفاً

٤ انضمام طيء لجيش المسلمين زاد في عدتهم بقدر ما أنقص من

(١) كانت أم رمل هذه بصربها المثل في عرها وكان يقدر من يحس حماها فله

عدد عدوهم وكسر نفسه لانهياز من يعتبرهم كجزء منه لصف عدوهم
 ٥ - تملل عيبة بن حصن من القتال وانصرافه في بني فرارة
 والمركة في شدتها حتى أدى ذلك إلى متابعة بقية الجيش لهم خفت
 الهزيمة عليهم.

٦ - إن طليحة الأسدي نفسه - وهو قلب الجيش وروحه - كان
 غير واثق من النصر ، ورجل يقان على ية الهرب خلى بالهزيمة بله أن
 يكون رئيس الجيش ^(١)

(٢) مالك بن نويرة ^(٢)

كان سو تميم قد وهبوا على النبي صلى الله عليه وسلم فأسلمه وأمر
 على بطونهم أمراء مهم : ومن بينهم الريرقان بن بدر ، وضموان بن صفوان
 وأبيس بن عاصم ، ومالك بن نويرة . فلما سمعوا بموت النبي صلى الله عليه
 وسلم كان مهم من بقي على وفائه بما عاهد عليه الرسول ، فأرسل الصدقة
 إلى أبي بكر ومهم من تردد ثم فاء إلى أمر الله ، ومنهم من منع الزكاة حتى
 قوتل . هو مالك بن نويرة

فرغ خالد من طليحة ومن تابعه فسار يريد مالك بن نويرة بالطاح ^(٣)
 ويظهر أن مالكا كان يتوقع محي خالد لقتاله ولذا لما برأه قد أمر قومه

(١) ح ٣ ص ٢٢٩

(٢) هو مالك بن نويرة بن حمزة بن شداد - عديد من ثعلبة بن يربوع - طقات
 الشعراء لاسلام احمد ص ٥٨ ، حرابة الألب للعداوى ح ٢ ص ١٩ طبع مصر ،

الاسم ح ٦ ص ٣٦

(٣) الطاح - ضمير - لى يربوع - معجم البلدان ح ٢ ص ٢١٤

بالتفرق وسهامهم عن الاجتماع فلما قدمهم خالد لم يجد أحداً بالبطح فبث سراياه وأمرهم بداعية الاسلام وأن يأتوه بكل من لم يجب فإن امتنع قتلوه، وذلك طاعة لوصية أبي بكر التي تنص على: أن يؤذنوا إذا نزلوا منزلاً فإن أذن القوم فكفوا عنهم وإن لم يؤذنوا فاقتلوا واسهوا وإن اجابوكم إلى داعية الاسلام فسائلوهم عن الركاة، فإن أقروا فاقبلوا منهم، وإن أبوا فقاتلوهم^(١)

جاءت السرايا بمالك بن نويرة في نهر من قومه بنى ثعلبة بن يربوع واختلفت السرية التي جاءت به، فقاتل إنهم لم يؤذنوا، وقاتل شهد باهم أدنوا وعلى رأس هذه الفئة أبو قتادة الصحابي الجليل، فلما اختلفوا في أمرهم أمر بهم خالد فحبسوا وكانت ليلة شديدة البرد، فأمر خالد ماديلاً أن دافقوا أسراكم — والمدافاة لغة كناية القتل — فقتلوهم، وهو لم يرد إلا ألهثوهم وسمع خالد الواعية^(٢) حرج وقد فرغوا منهم فقال: «إذا أراد الله أمراً أصابه»، وكان الذي قتل مالكا ضرار بن الأزور!

حرج أبو قتادة حتى أتى أبا بكر وأحضره بمقتل مالك فغضب عليه وألزمه الرجوع للقتال تحت لواء أميره^(٣) فرجع إلى خالد وما زال معه حتى قدم وإياه المدينة، وقال عمر لأبي بكر: «إن في سيف خالد رهقا، وأكثر عليه في ذلك وألح في عزله فقال له: «هيه يا عمر تأول فأخطأ

(١) الطبري ج ٣ ص ٢٤٢

(٢) الواعية الصراخ والصوت - القاموس المحيط

(٣) وتلك سياسة رشيدة من أبي بكر

فأرفع لساني عن خالد فاني لا أشتم سيفاً سله الله على الكافرين،^(١)
وكتب إلى خالد أن يقدم عليه فقدم ودخل المسجد وعليه قباء له عليه
أثر الحديد، وقد غرز في سماته أسهما فقام إليه عمر فحطها وأعطاه
القول^(٢) وقال منه وخالد لا يتكلم ظناً منه بأن رأى الخليفة كراى
عمر، ثم دخل على أنى بكر فأخبره الخبر، واعتذر إليه، فعذره وقبل
منه وعفوه في التزويج الذي كانت تعيب عليه العرب من ذلك، وودى
مالكاً من بيت المال

الفصل في أمر مالك

بقى علينا أن نعرف: هل راجع مالك الإسلام حين قدم عليه خالد
أم كان لا يزال مصرأ على رده؟ وعلى فرض إسلامه فهل قتله خالد
قصداً أو متأولاً؟

وفي الحق أن الفصل في أمر مالك لمس الدقة والصعوبة بمكان، لما
يعتور هذه الحادثة من اللبس والغموض وتضارب الرأي والاختلاف،
قال ابن سلام: «وحديث مالك مما اختلف فيه فلم نقف منه على ما نريد»^(٣)
على أن ذلك لا يقعدنا عن إبداء رأينا لعلنا نوفق إلى شيء من الصواب
فبقول

(١) الطبري ج ٣ ص ٢٤٢، ابن الأثير ج ٢ ص ٢٤٢ وشام سعه بشيعة عمده
الدموس المحط وكانت سياسة أنى بكر أنه لا يقيد من عماله ووزعته - الطبري ج ٣
ص ٢٤٢

(٢) الطبري ج ٣ ص ٢٤٢، ابن الأثير ج ٢ ص ٢٤٢

(٣) طبقات الشعراء لابن سلام الجعفي ص ٤٨

أما عن النقطة الأولى فإن مالكا كان ظاهر العداء للإسلام من بدء
الردة حتى قدوم خالد عليه ، ومعاودة أشراف تميم الإسلام صراحة
سواه ، وإغارته على إبل الصدقة التي كانت رحرحان^(١) وتفريقه ما كان
بيده منها ، وإنشاده الشعر الذي يظهر فيه رجوعه عن الإسلام ، وعدم
مبالاته بما يجيء به الغد كقوله :

فقلت خذوا أموالكم غير خائف ولا ناظر فيما يجيء من الغد
بعد أن كلبه الأقرع بن حابس والقعقاع بن معد الدارمي ونصحاء
بالتريث وعدم التسرع بقولهما : إن لهذا الأمر قائما وطالبا فلا تعجل
بتفرقة ما في يدك فما كان جوابه إلا أن قال :

أراني الله بالنعم المندي برقة رحرحان وقد أراني
أن أقرت عيون فاستفيئت عائم قد يحود بها ناني
حويت جميعها بالسيف صلنا ولم ترعد يداي ولا حاني
تمشي يا ابن عوذة في تميم وصاحك الأقيرع تلحاني

الخ ما قال^(٢) كل ذلك يدل في بادية الرأي على عدم إسلامه ثم
ما باله يأمر قومه بالتفرق حين سمع بقدوم خالد ولماذا لم يقدم بين يديه
الصدقة حتى في آخر فرصة ويلاقيها خالداً كما فعل وكيع بن مالك وسماعه
وهما من أشراف تميم — ليدرأ عن نفسه وقومه القتل وليكون أعذر له
عند الناس .

(١) رحرحان ماء دون نطل محل حراره الأدب ج ٢ ص ٢٠ طبع مير

(٢) راجع طقات الشعراء لاس سلام احمي ص ٤٨ وما بعدها وحراره الأدب

ج ٢ ص ٢٠ وما بعدها من طبعة مير

على أن شهادة من شهد بإسلامه^(١) من المسلمين وفي مقدمتهم أبو قتادة
تجعلنا لا نجزم بالرأى السابق لعيننا بصدق شهادة أي قتادة ولا موجب
لأن يكذب، وما كان لمثله أن يقدم على مخالفة أمره بل ويتركه في جهاده
ويذهب لشكايته للخليفة من غير أن يكون مشتتاً من رأيه جازماً به ولم
يتبين بعد خطأ شهادته. كما أنه من البعيد أن يحضر أبو بكر خالداً - وهو
القائد الأعلى للجيش - لأمر مطنون. وما كان لعمر أن ينال من خالد
ما نال حتى إنه طلب من أبي بكر أن يقبده بمالك وهو برىء من دمه أو
قتله كافراً مهما كان بينهما من عداوة شخصية. وقد ودى أبو بكر مالكا
من بيت مال المسلمين ورد السبي وهذا يحمل في طيه أن مالكا قتل مسلماً
وأن خالداً لم يكن مصيباً في سبيهم.

لكن من الجائر أن يكون أمر أبو بكر خالداً بالقدوم حشية أن يكون
في الجيش من يرى رأى أي قتادة ويخرج على خالد أو يكره القتال تحت
لوائه كما أن قدوم أي قتادة المدينة قد أشاع الخبر بين أهلها بالصيغة التي
رواها لهم مع أدنى إلى تشدد عمر وطلبه أن يقيد خالداً. فتحت هذه
المؤثرات طلب أبو بكر قدوم خالد ليسمع رأيه كما أننا نلاحظ أن عمر
لما آلت إليه الخلافة لم يرحم خالداً ولم يقتله ولا يظن بحال أن عمر الشديد
في الحق لدى لا يبالى بغير الله. وقد أصبح الأمر بيده يترك خالداً
يمشي على الأرض وعليه حد زنا أو مهدر الدم قصاصاً. ثم إن أبا بكر

(١) من المحسن أن يكون الأمان من مالك وتابعيه انتهاء الفضل وفرقا من السيف
كما من فرعون حين شرفه الله في الآخرة بعد عصيته من وكنت من الكافرين.

قد ودى مالكا وحده ولم يد أحداً من قتل على شاكلته^(١) ومن غير مرأ
حكم من قتل معه حكمه . ولو كان أبو بكر يرى أن هؤلاء قتلوا مسلمين
لوداهم إن لم يقتصر من قاتلهم ولعل ودى مالك ورد السبي كان تطيياً
لقلب أخيه متم بن بويرة وقومه وتخفيفاً عنهم من مصيبتهم بقتل عميدهم .
ونحن إزاء هذا الغموض ونطرق الاحتمال إلى كل من طرفي الإثبات
والنفي لا يمكننا أن نرسل القول بإسلام مالك ولا بقتله مرتداً وكل
ما يمكن أن نقوله بشيء من التسامح والتساهل هو : إن مالكا راجع الإسلام
وعن القطة الثابتة نقول : إن المؤرخين قد ذكروا فيها عدة روايات
منها . ما سبق أن ذكرناه : من أن خالداً قال : دافقوا أسراكم^(٢) يريد
أدفعوهم - وكانت الليلة باردة - ولكن القوم فهموا أنه يريد اقتلوهم
فقتلوهم .

ومنها أن عمرو بن العاص قال لخالد : يا أبا سليمان إن رأيت عيبك
مالكاً فلا تزايله حتى تقتله^(٣) .

فإن صحت الرواية الأولى فلا ذنب على خالد في قتله لأن الناس فهموا
حسباً أنه يريد قتله . وسدوا لنا أن هذه الرواية لا يعتمد عليها ولا اعتد
خالد بذلك عن نفسه . ولم يكن هناك معنى لذهاب أبي قتادة لآلئ بكر
ولما قامت حول خالد كل هذه الضجة

(١) كان معه من أصيب مع مالك حمسه وأربعين رجلاً من بني هان - حرابة
الأدب ج ٢ ص ٢١ طبع مطبع

(٢) إكرام الأسارى أمر معروف عن المسلمين حتى إن أحدهم لؤثر أسيره على
نفسه ويصفحه ثم يده . وصنع المسلمين مع أسارى بدر حبر شاهد

(٣) طبقات لشعراء لسان سلام ص ٥٠ طبع لندن

والرواية الثانية . على فرض صحتها لا تصلح مبرراً للقتل لأن
خالداً لا يتلقى أوامره من عمرو بن العاص وليس فيها ما يشير إلى أن
ما قاله عمرو لخالد صادر عن رأى الخليفة
والذى يصلح في رأينا أن يكون عذراً لخالد هو : —

١ . الأشعار التي قالها مالك مطهراً فيها رجوعه عن الاسلام وعدم
مبالاته بالمسلمين وبما يجيء به الغد^(١)

٢ . وصية أبي بكر التي سبق ذكرها . فهي تنص على مقاتلة من لم
يفر بالركاة . ومالك قد التوى بالركاة فقتاله إذن طاعة لأمر الخليفة^(٢)

٣ . كتاب أبي بكر لخالد بعد أن فرغ من طليحة الأسدى الذى
يقول فيه : « . حد في أمر الله ولا تثنين ولا تطفرن بأحد قتل المسلمين
إلا قتله وبكلى به غيره . ومن أحببت من حاد الله أو ضاده ممن ترى
أن في ذلك صلاحاً فاقتله »^(٣)

٤ . إن خالد لما حاوره ووراده سمع مالك بالصلاة والتوى بالركاة
فقال خالد أما علمت أن الصلاة والركاة معاً لا تقبل واحدة دون الأخرى
فقال مالك : قد كان صاحبكم يقول ذلك . قال خالد : أو ما تراه لك صاحباً
والله لقد هممت أن أصرب عنقك ثم تجاوزاً لا في الكلام فقال له خالد :
إي فأتلك فقال له أو بذلك أمرك صاحبك قال وهذه بعد تلك . وقد فهم
خالد أن ذلك منه إكثار للنسوة وهذا العذر الأخير ذكرته معظم كتب

(١) طبقات الشعراء لاسلام ص ٥٠

(٢) الطبري ج ٣ ص ٢٤٢

(٣) الطبري ج ٣ ص ٢٣٣

التاريخ الموثوق بها بل هو مجتمع عليه كما قال ابن سلام في طبقاته^(١)
ورعاً قيل: إن كل واحد من هذه المعاذير لا يعدو عن أن يكون
شبهة والشبهة لا تجيز القتل في شرعة الاسلام. فنقول: لو سلمنا أن كل
واحد منها شبهة لكنها شبهة قوية - ولا سيما في مثل موقف مالك المتردد -
تجعل لخالد عذراً في قتله على أنه إن لم يصلح كل واحد من هذه المعاذير
بانفراده مبرراً للقتل عند كثير من الباحثين فإنها مجتمعة متضامة مراعاة
فيها صدورها من رجل مرتد لم يكن عنده من الاخلاص لدينه والوفاء له
ما يجعله مستمسكاً به متفانياً فيه مدافعاً عنه، بله أن يرتد عنه وينأونه تصلح
عذراً عند كثير منهم إن لم يكن عند عامتهم

هذا وإن أبا بكر قد حكم الحكم الذي نستطيع في غير ما تخرج أن
نجزم بصحته وصوابه حين رد على عمر بقوله: تأول فأخطأ فارفع
لسانك عن خالد،^(٢) إذ يبعد أن يحكم من غير تثبت واقتناع. وإذا
نحن علمنا أنه رضى عنه بل وولاه تواله توال قتال مسيلة سهل علينا أن نعرف
أن خالداً اعتذر لدى الخليفة بعذر مقبول وأنه لم يقتل مالكا عن قصد
وعمد. ولو لم يكن لخالد عذر مقبول فلا أقل من أن يعزله عن الامارة
إن لم يقتض منه

والتيجة إذن أن له عذراً وأنه كما قال أبو بكر: تأول فأخطأ
بقيت مسألة أخرى لها اتصال بقتل مالك تلك هي زواج خالد بامرأة

(١) الطبري ح ٣ ص ٢٤٣. طبقات الشعراء لاسلام ص ٤٩. الاصابة ح ٦

ص ٣٦ المختصر لأبي العدا ج ١ ص ١٥٨

(٢) الطبري ح ٣ ص ٢٤٢. المختصر لأبي العدا ج ١ ص ١٥٨

مالك بعد أن قتله وقد شنع الناس بها على خالد وإذا نحن جارينا هذا
الفريق في أن هذا الأمر حرم وأنه كبيرة فذلك لأن السيئة إذا بدت من
دهماء الناس لا يعابها، ولا يشعر الناس بحدوثها وهي هي تصدر من
العظيم فتبدو بارزة ظاهرة كأنها النقطة السوداء في الثوب الباصع البياض،
وهكذا، حسنات الأبرار سيئات المقربين.

وهذه الحادثة يحوطها أيضا شيء من اللبس والغموض : فلم يكشف
لنا التاريخ شيئا قاطعاً في أمرها : فبينما يذكر بعض المؤرخين أن خالداً
اشتراها من النبی، ثم تزوجها يقول لنا البعض الآخر : إنها اعتدت بثلاث
حيض وتزوجها^(١). ولو كما يجزم شيء في أمر مالك لانبجى الموقف
وسهل الحكم وإذا نحن سالكننا مسلك من يقول : إن مالكا قتل كافراً
وإن خالداً اشترى زوجته من النبی، لكان أمر زواجه بها لا شيء فيه .
والمسألة لا تندو مقنعة بقناع من الغموض إلا على أساس اسلام مالك
ومهما يكن الأمر فلم يكن من الحسن زواجه بها في وقت القتال لأن ذلك
كانت تعيه العرب : ولذا فاما نرى أباً بكر يعنفه على هذا الزواج ثم يأمره
بطلاقها لكننا لا نعرف بالضبط متى كان طلاقها ومن المؤكد أنها كانت
معه في واقعة البتامة وأن بعض جنود مسيدة تمكنوا في حولة من دخول
فسطاط خالد وبه أم تميم وهذا يفيدنا أن طلاقها كان بعد هذه الواقعة .
هذا ولا يفوتنا أن نقول إن بعض المؤرخين يذكر أن امرأة مالك
هي السبب في قتله لجمالها وفرط حسناتها قال إليها خالد ووقعت في نفسه

(١) المحصر لآل الفداء ج ١ ص ١٥٧ ، طبقات الشعراء لابن سلام ص ٥٠ ،

الطبرى ج ٣ ص ٢٤٢

ويستدل بما روى عن مالك من أنه قال لها . لم يقتلى غيرك . وإنا نربأ
بخالد وهو الصحابي الجليل — أو أى صحابي آخر ليس فى منزلته أن
يقتل امرأ لأمر ديوى بل شهوى . ورد خالد على مالك — حين سمع
منه مقالته التى قالها لامرأته كاف لدحض هذا القول . إذ قال له . بل الله
قتلك برجوعك عن الاسلام .^(١)

ولعل خالد — وقد قتل روحها — رأى أن يجر كسرهما . وأن
يخفف عنها مصيبتها : فتزوجها حراً لها بما أصابها وتطييباً لخاطرها حتى
تستعيز عن زوجها الشاعر الفارس المطاع بالعائد الماهر العظيم

(٣) مسيلة الكذاب

كان بنو حنيعة قد وفدوا على النبى صلى الله عليه وسلم وفيهم مسيلة
وحين قدموا المدينة خلفوه فى رحالهم يحفظ لهم ظهرهم . ثم ذهبوا إلى
النبى صلى الله عليه وسلم فأسلموا وأعطاهم ما أعطاهم وذكروا له مسيلة
فأعطاه كواحد منهم وقال : « أما إنه ليس بشركم مكانا يحفظ ضيعة أصحابه »
ولما رجعوا إلى ديارهم ادعى مسيلة الذوة وقال للوفد : ألم يقل لكم أما
إنه ليس بشركم مكانا . ما ذلك إلا لأنه يعلم أنى قد أشركت معه . وصار
يسجع لهم السجاعات وأحل لهم كثيراً من المفاسد كاختر والزنا : فاتبعته
بنو حنيعة . وظاهرته على أمره . وأرسل إلى النبى صلى الله عليه وسلم يقول
له : « من مسيلة رسول الله إلى محمد رسول الله سلام عليك فانى قد

أشركت في الأمر معك وإن لنا نصف الأرض ولقریش نصف الأرض
ولكن قریشاً قوم يعتدون، فكتب إليه النبي صلى الله عليه وسلم: بسم
الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى مسيلة الكذاب سلام على من
اتبع الهدى أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة
للمتقين^(١)

ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم استشرى شره وعظم أمره
وكان وقود فتنة هارٍ الرجال بن عفوه^(٢) - الذي كان قد هاجر إلى
النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ القرآن وفتنه في الدين - وكان النبي صلى
الله عليه وسلم بعثه معلماً لأهل اليمامة، وليشغب على مسيلة، وليشدد
من أمر المسلمين، ولكنه بدلاً من أن يقوم مما ندب له أيد مسيلة في
ادعائه السوء، وشهد له بأنه سمع محمداً يقول: «إن مسيلة قد أشرك معه؛
فصدقه أهل اليمامة، واستجابوا له: فكان أعظم فتنة على بني حنيفة من
مسيلة. وكان مسيلة يحله وينتهي عند أمره.

ولما عقد أبو بكر الألوية لحروب الردة عقد لعكرمة بن أبي جهل إلى
اليمامة لقتال مسيلة وأردفه بشر حيل بن حسنة وأراد عكرمة أن ينهز
بفخرها فتعطل ولم ينتظر شرحيل وواقع بني حنيفة فنكبوه وحين بلغ
أبو بكر خبر هزيمته كتب إلى شرحيل أن يتمهل ريثما يأتيه المدد مع خالد

(١) الطبري ج ٣ ص ١٦٧

(٢) الطبري ج ٣ ص ٢٤٤، ابن الأثير ج ٢ ص ٢٤٤

ولكنه بادر خالداً بقتال مسيلة فنكب كسابقه فعنفه خالد ولامه حين
قلم عليه (١)

ولما رضى ابوبكر عن خالد وقبل عذره من قتل مالك وجهه إلى اليمامة
لقاتل مسيلة وأوعب معه المهاجرون والأنصار وعلى الأنصار ثابت
ابن قيس بن شماس وعلى المهاجرين أبو حذيفة وزيد بن الخطاب وعلى
كل قبيلة رجل؛ فتعجل خالد حتى قدم على أهل العسكر بالبطاح وانتظر
البعث الذي ضرب بالمدينة (٢)

لما قدم البعث على خالد نهض حتى أتى اليمامة ثم أمده أبو بكر
بسليط ليكون ردهاً له من أن يأتيه أحد من خلفه . ولما بلغ مسيلة
دنو خالد منه خرج في أربعين ألف مقاتل فعسكر بعقرباء (٣) ثم التقى
الجمعان وعلى مقدمة المسلمين خالد بن الوليد المخزومي وفيها شرحبيل
وعلى المجنبتين زيد وأبو حذيفة وجعل مسيلة على مجنبيه محكم اليمامة (٤)

(١) الطبرى ج ٣ ص ٢٤٤ - وكان الواجب عليه أن ينعط بعكرمة وأن ينتظر
خالداً لإجاة الأمر الخليفة إن لم يكن الواجب الحرب يحتم عليه ذلك ، ولكن إذا أراد
الله أمراً أصابه .

(٢) الطبرى ج ٣ ص ٢٤٤

(٣) منزل من أرض اليمامة في طريق الساح قرب من قرقرى وهو من أعمال
العرض ... نزل بها مسيلة لأنها في طرف اليمامة ودون الأموال وجعل ريف اليمامة
وراء ظهره ... ياقوت ج ٦ ص ١٩٤

(٤) ورماه عبد الرحمن بن أبى بكر بسهم فقتله - الطبرى ج ٣ ص ٢٤٨ من الأثير

ج ٢ ص ٢٤٧

والرجال بن عنفوة، وهو أول من لقي المسلمين^(١)

دارت رحى الحرب واشتد القتال. وصبر الفريقان، وتراموا على الموت
ونزل بالناس ما لم يروا مثله قط: وغدا النصر لأصبر الفريقين. وأكرم
الجندين، وأسوسهم للحرب

رأى خالد هذه الحال. وأدرك أن استمرارها في غير مصلحته
وخشى أن يهزم أخلاط العرب فيوهوا أهل النجدة من المهاجرين
والأنصار ويحتل نظام الجيش وتكون الهزيمة: فأداه رأيه وحسن سياسته
وممارسته الحروب إلى أن يميز الناس فقال: «امتاروا أيها الناس لنعلم بلاء
كل حي ولنعلم من أين تؤتى». فلما امتازوا قال بعضهم لبعض: اليوم
يستحي من الفرار. فما روى يوم كان أعظم نكابة من ذلك اليوم.

لم يكتف خالد بهذا التدبير الموفق حين رأى أن بني حنيفة لا يبالون
بمن يقتل منهم وعرف أنها لا تركد إلا بقتل مسيبة، فدعاه للمباررة
فأحابه فعرض عليه أموراً مما يشتهيها، فأعرض بوجهه متظاهراً بأنه
يستشير شيطانه، فركبه خالد وصاح في الناس: دبوكم فلا تقيلوهم،
فركوهم فكانت الهزيمة، ونادى بحكم اليمامة: يابني حنيفة الحديقه الحديقه
فدخلوها وأغلقوا عليهم بابها

لم يشأ المسلمون أن ينتهى الأمر عند هذا الحد، وفي بني حنيفة بقية
تصلح للقتال، ولا سيما أن رأس الفتنة مازال حياً، فقال البراء بن مالك
يا معشر المسلمين ألقوني عليهم فاحتمل حتى أشرف على حدار الحديقه

(١) انظر ج ٣ ص ٢٤٨ وقته زيد بن الخطاب - ابن الأثير ج ٢ ص ٢٤٥.

وموج الحدار للدلاذلي ص ٩٤

وقابل على الباب حتى فتحه للمسلمين فدخلوا عليهم حديقتهم . واقتتلوا قتالا شديداً ، فقتل مسددة ^(١) وولت بنو حنيفة . وأحدهم المسلمون بسيفهم من كل جانب . وقتل منهم نحو من أحد وعشرين ألفاً : سبعة آلاف يعقوباء ، ومثلها في الحديقة . وفي الضب نحو من ذلك ^(٢)

كان خالد قد أسر جماعة من مرارة الحنفي وهو معرس ^(٣) في سرية يطلب ثأراً له في بني عامر . فقتل أصحابه واستجابه كرهمة لشرفه في بني حنيفة إذ رأى أصحابه يحودون بأنفسهم دونه وأدرك من كلامهم أن في استبقائه مصححة للمسلمين سواء . أكانت لهم أم عديهم . وحين انتهت لموقعة وأدال الله المسلمين قال جماعة لخالد : هلم إلى الصلح على ماوراء فصالحه على كل شيء . إلا الرجال . فقال جماعة أنطاك فأشاورهم . فذا ذهب إليهم لم يجد في الحصون إلا النساء والصبيان ومشيجة قاسية . فألسمهم الحديد وأمرهم أن يشرفوا من الحصون حتى يراهم المسلمون فتم الخدعة . ثم رجع إلى خالد وقال له : قد أوا أن يحجزوا ما صنعت وقد أشرف لك بعضهم لنقضاً على ، وهم مني براء

رأى خالد الرجال — فيما يرى — على الحصون عليهم الحديد . فالحصون — في نظر العين مسودة — وقد سهكت المسلمين الحرب ، وطال اللقاء : وأحبوا أن يرجعوا على الظفر ، ولم يدروا ما كان كائناً لو

(١) اشترك في قتله وحشى (مولى جبير بن مطعم) وقتل حمزة عم النبي ﷺ ورجل من الأنصار - الطبري ج ٣ ص ٢٤٨ . ابن الأثير ج ٢ ص ٢٤٧ . فوج البلدان للبلاذري ص ٩٥ ، ٩٦

(٢) الطبري ج ٣ ص ٢٥٢ ،

(٣) الطبري ج ٣ ص ٢٤٦

كان فيها رجال وقتال ، وقد قتل من المهاجرين والأنصار من أهل قصة المدينة يومئذ ثلاثمائة وستون ^(١) فصالحه خالد على الذهب والفضة والسلاح ونصف السبي وبذلك انتهى أمر بني حنيفة ، وكان قتل هذا العدد الكبير من المهاجرين والأنصار وأهل السابقة وحماط القرآن مدعاة لأن يجمع أبو بكر رضى الله تعالى عنه القرآن خوفا من الضياع بموت حفاظه .

بعد انتهاء الصلح جاء كتاب من أبي بكر يأمر خالدا بقتل كل محتلم ، ولكر القضية كانت قد انتهت ، فمن لم يذبح ، ساء حالهم عليه راجعت بنو حنيفة الاسلام ، وأرسل خالد وفدأ منهم إلى أبي بكر ، فلما قدم الوفد عليه قال لهم : ويحكم ما هذا الذى استزل منكم ما استزل ؟ قالوا يا خليفة رسول الله قد كان الذى بلغك مما أصابنا كان امرأ لم يبارك الله عز وجل له ولا لعشيرته فيه ، ثم سأهم عن بعض أسجاع مسيلة فذكروا له شيئا منها فقال : سبحان الله ! والله ما خرج هذا من إل ولا فاجر فأين يذهب بكم .

أما وقد انتهى أمر بني حنيفة بمراجعتها الاسلام ، فانه يحسن بنا أن نبحث عن سبب ما كان لمسيلة من فضل قوة وثبات لم يتح لغيره من المتبئة حتى كان أكثرهم ثباتاً ، وأشدهم مراساً ، فمن هذه الأسباب :
١ — شهادة هار الرجال بانه سمع محمدا يقول : إن مسيلة قد أشرك معه مما جعل أهل اليامة يصدقونه ويستجيون له ، فكان منهم من يقاتل على زعم أنه تحت لواء نبي

٢ — كانوا يقاتلون عن بلادهم وأحسابهم يعلم ذلك من قول شرحبيل بن مسيلة الكذاب : « اليوم يوم العيرة ! قاتلوا عن أحسابكم وامنعوا نساءكم »

٣ — القوم يقاتلون عن بلادهم أهلها ، وأعلم بشعائنها . وآخر بارضها .

٤ — ازدادوا نشاطاً بعد أن نكروا عكرمة ، وازدادوا قوة على قوة حينما خذلوا جيش شرحبيل ، فأصبحت لهم بذلك جرأة وضراوة على جيوش المسلمين وسرت فيهم روح لم توجد في غيرهم من جنود المتنبيين مما أدى إلى أن يقفوا في وجه خالد — وهو ما هو — وكادوا أن يهزموه لولا لطف الله بالمسلمين

وإذا كان مسيلة قد نكب جيشين من جيوش المسلمين ، وأصبح لحده ضراوة على قتالهم ، وعدوا لا يتهيبونهم ، والروح المغزوبة فيهم في أحسن درجاتها ، وهم في ناديتهم ، وأعلم شعائنها وثناياها فضلاً عن أن عددهم عظيم يكفي للقضاء على أكبر جيش للمسلمين في ذلك الوقت ، فما هو السر إذن في انكساره ، أو ما هي العوامل التي ساعدت المسلمين على النصر ؟ من هذه العوامل :

- ١ — أمر خالد الناس بأن يمتازوا ، ليتبين أهل العزم ، حقا لقد كانت ذرة موفقة ، فقد تبين أهل العراثم . واستحيا أهل الشرف من الهزيمة
- ٢ — وقوف خالد بين الصفوف يطلب المبارزة وهو كالأسد المصور ، لا يخرج إليه أحد إلا صرعه ، حين رأى المسهور ذلك تدامروا وتراموا على الموت

٣ لما برز مسيلة الخالد وعرض عليه خالد بعض الأمور تظاهر مسيلة باستسارة شيطانه ، فلم يترك خالد هذه الفرصة تضيع منه وهو القائد الماهر ويعلم أن مسيلة هو قلب الحيش - فركبه وساعفه المسلمون ، فانهزم مسيلة وتاعه جنده ، فكالت الهزيمة ، وليس في ذلك ما يعاب على خالد لأن أحدهما لم يأخذ من صاحبه أمناً ، فالحالة بينهما خداع ومغالبة

٤ كان يوارر خالد كثير من أهل النجدة والغناء الذين باعوا أنفسهم في طاعة الله . وطلدوا ما عده أمثال حذيفة الذي كان يذمر الناس بقوله : « يا أهل القرآن زبوا القرآن ، ليعال » . ويريد بن الخطاب الذي كان يقول : « عضوا أخصركم ، وعضوا على أصراسكم أيها الناس ، واضربوا في عودكم وامضوا قدماً » : فصادفت مهارة خالد وسياسته الحربية نفوساً دهاها ولست سراً

٥ كان أبو بكر قد أمد خالداً بسليط ليكون ردها له اثلاً يؤتى من حقه : فكان مسلمون يفتلون وهم آمنون على ظهورهم . وجهدهم مصروف لمواجهة عدوهم

٦ كان حصص من ناصر مسيلة إنما ناصره للعصية فقط : وهو يعتمد كنهه أو على الأقل يشك في أمره وإن أرحح أن جاب كبراً من جده كان سنوهم التمشك في أمره . والشك في مثل هذه الأحوال كاف برأية قلوبهم . وقصور عرائشهم

هد إلى الأسباب العامة التي كانت تتوافر في كل جيش من حيوش المسلمين في كل فرد من أفرادهم التي سهلت لخالد سبل النصر والظفر فم خالد بعد أن انتهى من أمر بني حبيقة بواد من أودية اليمامة يقبل له الوبر حتى جاءه أمر في بكر ، لتوجه إلى لعراق لفتح بلاد الفرس

فتوحه في العراق

(١) ثلاثة (٢) مدائن (٣) لوجه (٤) المدائن
 واست (٥) بحر (٦) الحيرة (٧) الأنبار (٨) عين
 بحر (٩) دولة الخلد (١٠) الحصيد والخصاص
 (١١) المصيح (١٢) الثني والزميل (١٣) العراض

الأبله

في أواخر السنة الحادية عشرة بعد ما هدأت الحال في معظم الجزيرة،
 وقد راجع أغلب العرب المربدين الاسلام بدأ أفراد من المسلمين يغيرون
 على أطراف العراق من ناحيتي الحيرة^(١) والأبله فاذا طلبوا أمعوا في
 الصحرا، ونوعلوا فيها؛ فيأمون من الطلب، وأصبحت لهم بذلك ضراوة
 وحرارة على الاعاره على أطراف البلاد الخاضعة للفرس^(٢)

أرسل أحد أولئك وهو المشي بن حارثة^(٣) إلى أبي بكر يعلمه ضراوته
 بفارس ويسأله أن يمدد بجيش لغزو الفرس وحين وصل كتابه إلى
 أبي بكر كان خالد قد فرغ من أمر بني حيفة، ومقيما في وادي الورد؛
 فكانت الفرصة ساححة أمام الخليفة لئلا يفاق عين الردة، ومنكس أعلام

(١) الحيرة مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة — معجم البلدان ج ٣
 ص ٣٧٦ والأنبار مدينة على لفرات في عين بغداد بينهما عشرة فراسخ — معجم
 البلدان ج ١ ص ٣٤١

(٢) راجع لظري ج ٤ ص ٢ الأحبار الطوائف ص ١١٧، فتوح البلدان ص ٢٥٠

(٣) وقيل إن المشي هذه المدينة على أن بكر فولاه على من قبله — راجع الطبري

ج ٤ ص ٣ والبلادي في فتوح البلدان ص ٢٥٠

الفتنة لفتح السواد ، والبدء في إزالة امبراطورية الأكاسرة
 ففي المحرم ^(١) من اثنتي عشرة أرسل يأمره بغزو فارس ، وأن يبدأ
 منها بشغل الآلة . كما أمر عياض بن غم أن يغروها من الشمال وأن يبدأ
 بالمصيخ ^(٢) وأمرهما أن يستنهضا من قاتل أهل الردة ، وألا يستعينا
 بمرتد ، وأن يسيرا بمن يحب ، ولا يستكرها أحدا : فانفض عهما كثير
 من معهما فاستمدا أبا بكر فأمد عياضا بعبد غوث الحميري ، وأمد خالداً
 بالقعقاع بن عمرو : فقبل له : أتمد رجلاً قد ارضى عنه جنوده برجل
 فقال : لا يهزم جيش فيهم مثل هذا ^(٣)

وقبل أن يسير خالد إلى العراق كتب إلى هرمز - صاحب ثغر
 الآلة - كتاب إنذار بقول فيه : أما بعد فأسلم تسلم ، أو اعتقد لنفسك
 وقومك الدمة وأقرر بالحزبة وإلا فلا تلومن إلا نفسك : فقد جئتكم
 بقوم يحرقون الموت كما تحبون الحياة ^(٤)

سار خالد في عشرة آلاف وانضم إليه المثنى ^(٥) وأصحابه في ثمانية

(١) الطبري ج ٤ ص ٢٠٢ . اس الأثير ج ٢ ص ٢٦١

(٢) هي بن حوران والقلت . معجم البلدان ج ٨ ص ٧٩

(٣) الطبري ج ٤ ص ٤٠٤ . اس الأثير ج ٢ ص ٢٦٢

(٤) الطبري ج ٤ صفحة ٥

(٥) قال الطبري : . . . فبدأ قدم انكسار على حلال سأمير العراق كتب إلى حرمله
 . سلى والمثنى ومدعورا بالحقاقه وأمرهم أن يواعدوا جنودهم الآلة وذلك أن أما بكر
 من حاله في كسبه إذا دخل العراق أن بدأ هرح أهل السد والهد وهو يومئذ
 الآلة ليوم قد سمع أنه حشر من به وبن العراق حشر ثمانية آلاف من ربيعة ومصر
 إلى أنصين كما سمعهم فقدم في عشرة آلاف على ثمانية آلاف من كان مع الأمراء الأربعة
 معي بالأمراء الأربعة المثنى ومدعورا وسنة وحرمله فلقى هرمز في ثمانية عشر ألفاً
 اه ج ٤ ص ٥

آلاف وحين قارب العدو جعل جيشه ثلاث فرق^(١) ولم يحملهم على طريق واحد : فرقة مع المشي وهي المقدمة ، وتلتها فرقة عليها عدى بن حاتم وخرج خالد بعدها وواعدهما الحفير ليحتمعوا به ، ويصدموا عدوهم سمع هرمز عمير خالد فكتب إلى أردشير : ملك الفرس ، بالخبر وتعجل في سرعان أصحابه يريد الكواظم^(٢) فعلم أن المسلمين تواعدوا الحفير^(٣) فسقهم إليه ، وجعل على مقدمته الأحويص : قناذ وأوشخان ، وهما من أولاد أردشير الأكبر ، وتبعي هرمز وأصحابه ، واقتربوا بالسلاسل لثلاث يفرقوا ولما بلغ خالد أنهم يمموا الحفير عدل عنها إلى كاظمة فسبقه هرمز إليها ، ونزل على الماء ، واختار المكان الملائم لجيشه ، وحاء خالد فنزل على غير ماء : فقل له أصحابه في ذلك فقال : . . . حطوا أثقالكم ثم جالدوهم على الماء ، فلعمري ليصيرن الماء لأصبر الفريقين ، وأكرم الجندين^(٤)

(١) اس الأثر ح ٢ ص ٢٦٢

(٢) الكواظم : حوض على سفح الجبل في صدق البحر من صخرة بها وبين الصخرة مرحلتان وفيها ركنا كثيرة ومؤه شرب وقد أكثر لشعرا من مدحها ، فمن ذلك .

يا هذا البرق من أكف ناصفة . . . سعى على قصرات المرح والعشر

معجم البلدان ح ٧ ص ٢٠٨

(٣) الحفير : ماء لجهة يمين البصرة رتبة أمية . . . معجم البلدان ح ٣ ص ٢٠٤

(٤) بعض الرواة ذكر أن أول صدق حيدر : . . . عيا ودرود و . . . والبس والبعض يذكر أن خالد بدأ بالأسود وهو . . . حتره لأن لأحمر في ذلك أكثر ولأنه الموافق لكتاب أبي بكر الخلد . . . لنداء شعر الهند . . . ونصه . . . إلى العراق حتى تدخلها وأبدأ بفرج الهند وهي الآلة . . . الطبري ح ٤ ص ٢ وراجع أيضا صحيفة ٧ من هذا الحزب . وهو ما يجب أن يكون من الوجهة الخيرية حتى لا يبركوا وراهم .

لاقى المسلمون أعداءهم ، وخرج هرمر فدعا خالداً للبارزة واتفق
مع أصحابه على الغدر به . فبرز إليه خالد وتضاربا : فاحتضنه خالد ولم
يشغله حمل أصحاب هرمر عليه عن قتله . وحف الفقعاق بن عمرو التيمي
خمل عليهم في جماعة من المسلمين ، فأزاحوهم ، وشدوا عليهم فهزموهم :
ومح الله المسلمين أكتافهم إلى الليل

نادى خالد بالرحيل . وسار بالناس واتبعته الأتفال حتى نزل بموضع
الجسر الأعظم من لصرة (والصرة لم تكن إذ ذاك) فبعث المثنى بن
حارثة في آثار القوم . وبعث معقل بن مقرن المزني إلى الأبله فجمع
الأموال والسيار

أرسل خالد إلى بكر المفتح وأحمس ، ونقله أبو بكر قلنسوة هرمر
وهي مفصصة بالجوهر وفيه ثمة لف لآله قد تم شرفه ^(١)
المذار ^(٢) التي

وصل كتب هرمر إلى أردشير يخبر خالد ، فأجابه بقارن بن

عبد و قد وصده بكر بن حبيب بنه هو وعبد بن غم لفتح العراق بقوله :
وإذا أحجمنا حيرة وقد قصصنا مساح عرس وأمتنا أنت يؤتى المسلمون
من حنهم . ولولا أن خالد ساق حبيب هرمر حلقه وقد أطلق المؤرخون
على أنه مضرب المثل في الحث وانه حر بعرب ، ولأيناله أثرا في أعمال السيف
في ظهور المسلمين ورت كانت شبه القاتل بارأى الأول هي أن الآلة فتحت زمن
عمر على يد غنم بن عوان وسكن ثبث أشبه بمكن حملها على أنها فتحت في زمن عمر
وصى الله عنه مساح ليدنه وفيه أن أصا للادري . يجمع ص ٢٥٠ وما بعدها
(١) كان أهل فارس يحلون قلائدهم على قوس أحاسهم في عشايرهم ؛ فمن تم
شرفه فجميعه فبسه نه منه أفع . فكان هرمر من شرفه ، فكانت قيمتها مائة ألف
فعلها أبو بكر حده أ ، لادري ح ٤ ص ٦

(٢) المذار في مساح بين وسط والصرة وهي قصة مدسان يساهو من الصرة مقدار =

قرياس وفصل قارن من المدائن حتى إذا انتهى إلى المذار لقيه فلال جيش هرمز فتدامروا وقالوا : « إن افترقتم لم تحتمعوا بعدها أبداً »
 فالجمعوا أمرهم وعسكروا بالمذار وكان قباز وأوشحون قد يحيا فيس بجاء
 من جيش هرمز ، فستعملهما قارن على مجيئه

وصل خبر اجتماعهم إلى خالد ، فخرج حتى التقى بهم وهو على تعبئة
 فاقتلوا على حق وحفيظة ودعا قارن للبارزة فاستبق إليه خالد ومعقل^(١)
 ابن الأعشى ، فسبقه معقل إليه فصرعه^(٢) واهزم الفرس وقتلت منهم
 يومئذ مقتلة عظيمة قدرت بثلاثين ألفاً ، ولولا أنهم صموا السفر إليهم ،
 والماء منعت المسلمين من طلبهم لأفروهم عن آخرهم . وقد عم المسلمون
 بهم مغام كثيرة حتى رادسهم الفارس على ثلاثين ألفاً ، واحدوا الحرية
 من الفلاحين ، وصاروا دمة لهم . وأقام خالد بالمذار وقسم النقي ونقل
 من الأحمس أهل اللاء وعت بقيتهم إلى أنى بكر مع سعيد بن العمان ،
 ونحسح المسلمون وصارت كل واقعة أنكى على الفرس من التي قبلها .

— أربعة أم — و٣٠ فر عبد الله بن علي بن أبي طالب وأنها طبع شعبة خلا
 طبعه شيء . الأندلس معجم البلدان ج ٧ ص ٣٣ : و « شي بكه » نونه وسكون
 ثيه و « محقه » و « شي من كل » أو « حل معطيه » و « شي سم لكل » و « يوم
 شي حاد على الفرس » و « البصرة مشهور » و « انصدح » عمرو
 و « حن و « حن » الكوطه هرمز » و « شي » و « قارن » الخوارق

معجم البلدان ج ٣ ص ٢٥

- (١) هو أن كان معقل بن الأعشى بن الساس وقل عاصم بن عمرو الأوشحان .
 وقيل عدي بن حاتم قد — لصدي ج ٤ ص ٧
 (٢) كان شرف قرياس قد انتهى ولم تقاس المسلمون بعده أحد من انتهى شرفه
 في الأناجم — نظري ج ٤ ص ٧

الوجلة (١)

وصل نأ نكة الفرس في المذار إلى أردشير ، فبعث الأندرزغر
على رأس جيش عظيم ، وأردفه بجيش آخر عليه بهمن جاذويه وفصل
الأندرزغر من المدائن (٢) حتى انتهى إلى كسكر ومنها إلى الوجلة . وخرج
بهمن جاذويه سالكا وسط السواد وحشر من بين الحيرة وكسكر من
العرب والدهاقين واجتمع هؤلاء وأولئك بالوجلة وتتام جمعهم وأنحب
الأندرزغر ما هو فيه من كثرة ، فأجمع السير إلى خالد

بلغ حالدا - وهو بالثني - تجمع الفرس ونزولهم الوجلة خلف سويد
ابن مقرن على من وراءه ، وليحمي ظهره ، ويحتفظ بما فتح ، وأوصى من
حلف بالخذر والحيلة وسار هو قاصدا الأندرزغر ومن اجتمع عليه
بالوجلة وحمل جيشه فرقا ثلاثا . تقدم هو باحداها يلقي بها عدوه والثنتين
جعلهما كميناً له في ناحيتين وعلهما سر من أني رهم وسعيد بن مرة
التقى الجمعان في صفر واقتلوا قتلاً شديداً حتى نفذ الصبر واستنطا
خالد كمينه وهما على ذلك إذا بالكمين يكتشف الفرس من ناحيتين فانهزموا

(١) لوجه بأرض كركم بما لي له وفيها بقول القعداع بن عمرو

ولم أقوم مثل قول رأسه حتى وخت الدهر أحى وأحيا

وقس به ونس في كل مجمع به صمصع الدهر اخوع وككما

معجم البلدان ج ٨ ص ٣٣٣

(٢) مدائن مسكر الملوك من لاسره ناساية وغيرهم معجم البلدان

ج ٧ ص ١٣٣

(٣) كركم ما فتح ثم السكون وكوف آخر دوراء معناه من الررع كوره واسعه

وقصبتها له بواسطة قصبة أي بين الكوفة وانصره معجم البلدان ج ٧ ص ٢٥١

وولوا الأدبار ، فأخذهم خالد من بين أيديهم والكمين من خلفهم ومضى
الأندرزغر في هريمته حتى مات عطشاً ، ولم يتعرض خالد للفلاحين بسوء
ودعاهم إلى الجزاء والذمة فأجابوا وتراحعوا

وأصيب في هذه الموقعة كثير من نصارى العرب من بكر بن وائل
فيهم ابن لجابر بن بجير وابن لعبد الأسود العجلى ، فعضب لهم نصارى
قومهم ، وكاتبوا الفرس وواطؤوهم على حرب المسلمين فكان ذلك سبباً
في واقعة اليس

اليس^(١)

في هذه الموقعة انضم نصارى العرب إلى الأعاصم وصاروا عوناً
للفرس على المسلمين وكان عليهم عبد الأسود العجلى وعلى الفرس جابان
وكان قد أمره بهمن جاذويه ألا ينارل العرب إلا أن يعجلوه وأن يكفكف
جلده حتى يلتقى الملك فيحدث به عهداً ثم يلحق به

بلغ خالد أن تجمع نصارى العرب من بني عجل ، تيم وضيعة وعرب الضاحية
فنهدهم وكل همهم متحه لمواقعتهم ولا علم له بجابان وانصمام الفرس
لجوع العرب

أقبل خالد وهو على تعبته ، وقد أعد القوم طعامهم فأظهروا عدم
الاكتراث بخالد والتهاون بأمره . وتداعوا إلى الطعام ، وتوافوا إليه
يبد أن خالد لم يدعهم يهنأون بطعامهم بل أجهضهم عنه واقتتلوا أشد

(١) اليس بورن فليس والسين مهمة ... الموضع الذي كانت فيه الواقعة بين
المسلمين والفرس في أول أرض العراق من ناحية النادية - معجم البلدان ج ١ ص ٣٢٨

القتال وكان على محنتي حابان عدد الأسود والأبجر وقد زاد في كلب
الأعداء وشدتهم ما يتوقعونه من لحاق بهم جاذويه هم في مدد كبير
وحرهم المسلون . فكشفوهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة قدرت
بسعين ألفاً منهم من أمغيشيا . وأمر خالد في قتلهم حتى اختلط دمهم
بالنهر^(١) . ووجههم المسلون على ضعامهم ودمهم خالد . وبعث إلى
أبي بكر بالفتح والاحماس وبقدر النوى وأهل اللاء مع أحد بني عجل
واسمه « حذل »^(٢)

ومن طرف ما يذكر أن المسلمين حينما قعدوا لعشائهم جعل من لم
ير الأرياف ولا يعرف الرقاق يقول : ما هذه الرقاق البيض فيحييه
مارحاً من قد عرفها قالوا : هل سمعتم برقيق العيش ؟ فيقولون نعم .
فيقولون هو هذا . فسمى الرقاق . وكانت العرب تسميه القرنى وكانت هذه
الوقائع التي تقدمت في صفر من سنة ١٢ ما عدا الآلة فاتها كانت في المحرم .

أمغيشيا^(٣)

بعد أن فرع خالد من أليس نهض حتى أتى أمغيشيا وقد جلا عنها

(١) كان حين قد سر إن مجه انه أكفهم ألا يستقي منهم أحدا قدر عليه حتى
يجري بهم دمهم فبما تمكن منهم وكل به من يضرب أعناقهم في النهر ، ولما لم تجر
دمائهم شرع به القمع من عمره . وأشاه له أن يرسل الماء على الدماء برا يمينه تجرى
دما عيط . فسمى به الدم بسك الشئ إلى اليوم الطبرى ج ٤ ص ١١

(٢) كان هذا المحلى دليلاً صار ما ولما قدم على أبي بكر وأخبره بما صنع المسلمون
أمر له بخارية من ذلك التي الطبرى ج ٤ ص ١١

(٣) أمغيشيا مسح أوله وسكون شيه والعين المصحفة مكسورة وباء كنه والشير =

أهلها وأعجلوا عما فيها وتفرقوا في السواد . فأمر بهدمها وهدم كل شيء كان في حيزها (وكانت مصر الحيرة وكانت أليس من مسالحها وعندها ينتهي فرات بادي) وأصابوا فيها ما لم يصيدوا مثله منذ وقعة ذات السلاسل ، فقد بلغ سهم الفارس ١٥٠٠ درهم سوى أنقال أهل البلاء ولما وصلت الأخماس والفتح لآني بكر وبلعه ما صنع خالد والمسلمون قال : « يا معشر قريش ... عدا أسدكم على الأسد فعله على خراذيله أعجزت النساء أن ينشئن مثل خالد » (١)

وهذه القولة من أبي بكر من أحسن المدح لحالد ، فهي تبين لنا الكثير من نواحي عظمته وتكشف في جلاء ووضوح عن تقدير أبي بكر له واعتقاده فيه أنه وحيد متفرد

وكان الاستيلاء على أمغيشيا توطئة لفتح الحيرة

الحيرة (٢)

بلغ الأراذبة مرزبان الحيرة ما صنع خالد فعلم أنه غير متروك فاستعد

معجزة وياه وألف ... قال أبو مفرح الأسود بن قطة

لقيا يوم أليس وأمغى	ويوم المقة آماد النهار
فلم أر مثلها فصلات حرب	أشد من إحاحاحة الكدر
قتلنا منهم سبعين ألفا	بقية حريمهم تحت الأسار
سوى من ليس يحصى من قبيل	ومن قد عال حولان العمار

معجم البلدان ج ١ ص ٣٣٦

(١) الطبري ج ٤ ص ١١

(٢) الحيرة بالكسر ثم « لسكون وراء مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة ... وبالحيرة : الحورق قرب مها نجا إلى الشرق على نحو ميل ، والسدير في وسط البرية التي يدهاوين الشام كانت مسكن ملوك العرب في الحاهيه من زمن نصر ... ويقال =

أوتياً للحرب ، وقدم ابنه أمامه ، وخرج على أثره وعسكر خارج الحيرة
وأمر ابنه بسد الفرات ، وتفجير الأنهار التي تأخذ منه
خرج خالد من أمعشيا ، وحمل الرجل في السفن مع الأنفال والأتقال
فلم يعجأ المسلمين إلا السفن جواح ، فارتاعوا لذلك فأخبرهم الملاحون
أن الفرس قد فجروا الأنهار وسدوا الفرات ، فسلك الماء غير طريقه ،
فتعجل خالد في جريدة من الخيل نحو ابن الأزازبة وصحى ، خيلا من خيله
على فم العتيق وهم آمنون من الغارة في تلك الساعة ، فأنامهم بالمقر^(١)
ثم سار من فوره وسبق الأحبار حتى لقي ابن الأزازبة وجنده على فم
فرات بادقلى فاقتلوا ، فأوقع بهم خالد وفجر الفرات ، وسد الأنهار
فسلك الماء سبيله .

قصد خالد الحيرة ، وسار حتى نزل الخورتق فعبر الأزازبة الفرات
هارباً من غير قتال لما دهمه من مصاب ابنه وموت أردشير ، ولما تلاحقت
جموع المسلمين بالخورتق خرج بهم خالد حتى عسكر بين العزيين والقصر
الأيض (وهو موضع عسكر الأزازبة) وأهل الحيرة متحصنون في

= ها الحيرة الروحاء قال عاصم بن عمرو

صحا الحيرة الروحاء جلا ورجلا فوق أناج الركاب
حصرا في نواحيها قصورا مشرقة كأصراس الكلاب

معجم البلدان ج ٣ ص ٢٧٦

(١) المقر بالفتح ثم السكون . موضع قرب فرات بادقلا من ناحية البر من
جهة الحيرة كانت به وقعة للمسلمين وأميرهم خالد ... قال عاصم بن عمرو:

لم تريا غداة المقر قنا بأهبار وساكنها جهارا
قد نام به ثم اكفأنا إلى فم الفرات بما استجارا

معجم البلدان ج ٨ ص ١٢٤

قصورهم فاجال عليهم الخيل في عرصاتهم^(١) ووكل بكل قصر رجلا يحاصر من فيه ويفاتلهم ، وعهد إلى أولئك القواد أن يدعوهم فان لم يقلوا أجلوهم يوماً ثم ياجزؤهم ففعلوا واختار القوم المناذرة ، وكان أول الأمراء بدءاً للقتال ضرار بن الأزور^(٢) فإنه حين رآهم عمدوا الرمي المسلمين بالحزف أمر بأن يرشقوهم بالسل وناعه الأمراء على مثل ذلك ، فافتحو الدور والديرات ، وأكثروا القتل ، فنادى القيسيون والرهان بأهل القصور ما يقتلنا غيركم ، وهدى أهل القصور أن قد قلنا واحدة من ثلاث : فكمرا عما ، وبلغوا حالداً فزل نقباء الحيرة إلى أمراء المسلمين : فأرسلوهم إلى خالد وهم على مواقفهم .

وكان أول الرؤساء طلباً للصلح عمرو بن عبد المسيح وتبعه بقية الرؤساء فأرسلهم الأمراء إلى خالد ومع كل واحد منهم ثقة ليصالح عليه أهل الحصن ، فخلا خالد بأهل كل حصن على حدة ولأمهم وعما قال لهم : « ويحكم ما أنتم » أعرب فما تقمون من العرب أو عجم فما تقمون من الانصاف والعدل ،^(٣) وقال لهم اختاروا واحدة من ثلاث : الدخول

(١) العرصات جمع عرصة بورق صرته وهي كل بقعة من الدور واسعة ليس فيها بناء - مختار الصحاح

(٢) وكان محاصراً للنصر الأبيض وفيه اياس بن ربيعة الطائي وكان ضرار بن الحطاب محاصراً قصر العديس وفيه عدي بن عدي ، ضرار بن مقرن المزي محاصراً قصر بني مارب وفيه اس أكال والمثني محاصراً قصر ابن قبيصة وفيه عمرو بن عبد المسيح - الطبري ج ٤ ص ١٢

(٣) تلك سياسة رشيدة تدل على الكياسة والمهارة وتشعرنا بأن هذا سياسي حاهر يتأق للأمر كما هو قائد لظن بحرب

في الاسلام أو الحزبة أو المنابذة فقد والله أنيتكم بقوم هم على الموت
أحرص منكم على الحياة ، فاحتاروا الجزية وصالحوه على ١٩٠ ألف
وأهدوا له الهدايا

أرسل خالد بالفتح والهدايا إلى أبي بكر فقبلها على أن تكون من
الجزاء وكتب إلى خالد: أن احسب لهم هديتهم من الجزاء وخذ بقية
ما عليهم فقبوها أصحابك ، وكتب لهم خالد كتاب صلح هذا نصه: ^(١)

« بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عاهد عليه خالد بن الوليد عدياً
وعمر بن عدى وعمرو بن عبد المسيح وإياس بن قبيصة وحيرى بن أ كأل
وهم بقباء أهل الحيرة ورصى بذلك أهل الحيرة وأمرهم به ، عاهدهم
على تسعين ومائة ألف درهم فقل في كل سنة جزاء عن أيديهم في الدنيا
رهباهم وقسيسهم إلا من كان منهم على غير ذى يد حيسا عن الدنيا
أثاركا لها وعلى المنعة فإن لم يسمعهم فلا شيء عليهم حتى يسمعهم ، وإن غدروا
بفعل أو بقول فالدمه منهم بريئة ، وكتب في شهر ربيع الأول من سنة ١٢
ومن طريف ما يحكى أن رجل اسمه شويل كان قد سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يبشر المسلمين بفتح الحيرة فسأله كرامة بنت عبد المسيح
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هي لك إذا فتحت عنوة فلما فتح
خالد الحيرة وطلب أهلها الصلح جاء شويل هذا إلى خالد يطلب الوفاء

(١) - الطبرى ج ٤ ص ١٤ - وقال القعقاع بن عمرو في أيام الحيرة:

سقى الله في بالمرات مقيمة وأخرى أثناج الجاف الكواف
فحن وطننا بالكواظم هرمرأ وبالننى قرنى قارن بالجوارف
ويوم أخطأ بالمصور تناعت على الحيرة الروحاء لإحدى المصارف

الطبرى ج ٤ ص ١٥

بما وعده إياه رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد له جماعة بأن ذلك كان
 فجعل خالد في صلحهم تسليم لرامة فشق ذلك على قومها . وأطموا
 الخطر فقالت لا تحطروه ولكن اصبروا ما تحادون على امرأة بلغت ثمانين
 سنة فانما هذا رجل أحقر رأي في شيبتي فطار أن الشباب يدوم بدعوها
 إلى خالد فدفعها خالد إليه فقالت ما أرك إلى عذور كما ترى : فادنى
 قل لا إلا على حكى . قالت فلك حكك مرسلًا فقال : است لأم شويل
 إن نقصتك من ألف درهم فاستكثرت ذلك لتخذه ثم أتته بها فرجعت
 إلى أهلها فتسامع الناس بذلك فبعوه فقال : ما كنت أرى أن عدداً
 يزيد على ألف فقل خالد أردت أمراً وأراد الله غيره بأخذ بما يظهر
 وندعك ونيتك كاذبا كنت أو صادقا^(١)

ولما صالح خالد أهل الحيرة جاء صلوبا بن نسطونا صاحب قس
 الناطف حتى دخل على خالد فصالحه على باقيا وماروسما^(٢) وضمن له
 ما عليهما وعلى أرضيهما من شاطئ الفرات على عشرة آلاف دينار
 سوى خريزة كبرى وكتب لهم كتابا هذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من خالد بن الوليد لصلوبا بن
 نسطونا وقومه إني عاهدتكم على الخزية والمنعة على كل ذي يد باقيا وسمما

(١) الطبرى ج ٤ ص ١٦

(٢) وذكر ياقوت في معجمه أنهم قاتلوا خالدا ليلة حتى الصباح . فلما رأوا أنه
 لا طاقة لهم بحربه طلبوا الصلح : فصالحهم وقال في ذلك صرار بن الآرور .
 أرفقت سابقا ومن يلق مثل ما لقيت سابقا من الحرب بأرق

وباقيا بكسر الون باحبة من نواحي الكوفة - معجم البلدان ح ٢ ص ٥٠ وماروسما
 الواو والسين ساكسان : ناحيتان من سواد بغداد - معجم البلدان ح ٢ ص ٣٤

جميعا على عشرة آلاف دينار سوى الخزنة : القوي على قدر قوته والمقل
على قدر إقلاله في كل سنة وإنك قد نقبت على قومك وإن قومك قد رضوا
بك وقد قبلت ومن معي من المسلمين ورضيت ورضى قومك فلك الذمة
والمنعة فان منعناكم فلنا الجزية وإلا فلا حتى تمنعكم . شهد هشام بن الوليد
والقعقاع ابن عمرو وجريز بن عبد الله الحميري وحنظلة بن الربيع . وكتب
سنة اثنتي عشرة في صفر ، ^(١)

كان الدهاقين يترصون بخالد وينظرون ما يصنع أهل الحيرة فلما استقام
ما بينهم وبين خالد أته الدهاقين فصالحوه على ما بين الفلاليج ^(٢) إلى
هرمز جرد على ألف درهم إلا ما كان لآل كسرى ومن لف لهم وأبى
الدخول في الصلح فابى للمسلمين ولا يشمله الصلح . وهاك نص كتاب
صلحهم : ^(٣)

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من خالد بن الوليد لزاد بن
بهيش وصلوبا بن نسطونا إن لكم الذمة وعليكم الجزية وأتم ضامنون لمن
نقبت عليه من أهل البهقباذ الأسفل والأوسط على ألفي ألف تقبل في كل
سنة عن كل ذي يد سوى ما على باتقيا وسمما وإنكم قد أرضيتموني
والمسلمين وإنا قد أرضيناكم وأهل البهقباذ الأسفل ومن دخل معكم من أهل
البهقباذ الأوسط على أموالكم ليس فيها ما كان لآل كسرى ومن مال ميلهم

(١) الطبري ج ٤ ص ١٦

(٢) الفلاليج بالفتح وفلاليح السواد قراها إحداها فلوحة - معجم البلدان ج ٦
ص ٣٩١ . وهرمز جرد ناحية كانت بأطراف العراق - معجم البلدان ج ٨ ص ٤٦٠

(٣) الطبري ج ٤ ص ١٧

شهد هشام بن الوليد والقعقاع بن عمرو وحرير بن عبد الله الحميري
وبشير بن عبيد الله بن الخصاصية وحنظلة بن الربيع . وكتب سنة اثنتي
عشرة في صفر ، ^(١)

فتح خالد جانباً كبيراً من العراق ، وغلب الفرس على حير شق السواد
وجعل الحيرة مقراً للقيادة العليا . ومركز الأعمال الحربية ، ومعقلاً
لجيوش المسلمين وأن له أن ينظر فيما فتحه نظر تنظيم وتدير . ويرتب
أموار البلاد التي غلب عليها فبوهن عزم الفرس وبفوضى على أملهم في إعادة
شيء مما فقدوه . فتسالحه وعماله لجاية الخراج ، وحماية الثغور . وهذه
المناسبة يرى من الحسن أن يذكر كلمة عن عمال خالد وأمرائه :

عمال خالد وأمرؤه ✓

كان عمال الخراج في زمنه : عبد الله بن وثمة الصري عن الفلاليج
وجرير بن عبد الله بن أبي أسامة وشبير بن الخصاصية بن النهرين
وسويد بن مقرن المزني عن ستر وأطس بن أبي أسامة عن ربيعة بن
وأما أمراء الثغور فكانوا صرار بن الأزور وصرار بن الخطاب
والثبي بن حارثة وصرار بن مهران . والقعقاع بن عمرو وسر بن
أبي رهم وعنينة بن الهاس بن لؤي السبي ^(٢) في عرص سلطانه

(١) ظهر أن يح هذا الكتاب ، لأنه قد ورد فيه خبر صرار بن أبي أسامة عن ربيعة بن
كثير بن عبد الله بن أبي أسامة في شهر ربيع الأول سنة ١٨ هـ .
الشر من وضعه أو وفاة وليس من صرار بن عبد الله بن أبي أسامة .

(٢) وقد حكي الخراج بن حديد في حصاره . الخراج ح ٤ ص ١٨

(٣) انساب الكسرى في وسكون ثابته وأحمد بن محمد بن كاهن وهو كوفه من بلاد

الكوفة . وانساب البصائر . بصرة فيه وثبة كثيرة . معجمه ص ٥ ح ١٩٠

أراد خالد أن يتقدم إلى الفرس وأن يعذرهم من نفسه بعد ما صدمهم
مرار وعرفوا حديثه ويمن بقيته لعل مهم من يثوب إليه رشده ويعاوده
عقله فيعطى يده ويأمن ويأمن قومه ، ^١ أراد أن يمر عيشهم ويحل عزائمهم
فمعت إليهم بكتابين هما أشد من الصواعق وأمر على أنفسهم من كل
ما لا قوه منه: أحدهما للخاصة والآخر للامة . وقال لمرة الحيرى حين بعثه
لملوك فارس: اذهب إليهم فلعن الله أن يمر عيشهم أو يسلبوا أو ينيبوا .
وهذا نص كتاب الخاصة .

بسم الله الرحمن الرحيم من خالد بن الوليد إلى ملوك فارس . أما
بعد فالتدبيرة التى حل بظلمكم . ووهن كيدكم . وورق كامتكم واولم يعمل
ذلك لكم كان شر لكم فادخلوا فى أمرنا ندعكم وأرضكم ونجوزكم إلى غيركم
والا كان ذلك وأنتم كارهون على غلب على أيدي قوم يحبون الموت كما
تحبون الحياة .

وقال لهنزيل حين وحه به إلى المرازمة : اللهم أزهِق روحهم . وهذا
نص كتبهم .

بسم الله الرحمن الرحيم من خالد بن الوليد إلى مرازمة فارس
أما بعد فأسدوا تسلبوا وإلا فاعتقدوا من ادمه وأدوا الجزية . وإلا فقد
حشركم هوم يحبون الموت كما تحبون شرب الخمر . ^(١)

وفى هذا الوقت الذى كان يمتخرفه المسلمون فيما دون دجلة ، كان
أهل فارس يموتون أشير بختين فى الملك مجتمعين على قتال خالد متدبسين
وكانوا بذلك ستة والمسلمون يحرقون ما دون دجلة ولبس لأهل فارس

فيما بين الحيرة ودجلة أمر وليس لأحد منهم ذمة إلا الدين كاتوه واكتبوا
منه وسائر أهل السواد جلاء محضون ومخربون^(١)

ولم يكن لأهل فارس هم إلا المدافعة عن هرسير^(٢) فلما أن جاءتهم
كتب خالد أجبا أن يفرغوا من تنازعهم واحتلافهم وأن يجمعوا كلمتهم
على رحل يختارونه : فولوا عليهم الفرخ راد بن الندوان (ولم يكن من
بيت الملك) إلى أن يجدوا من آل كسرى من يجتمعون عليه

ولما استقام لخالد أمره واطمأن على الثغور استخلف على الحيرة
الققعقاع بن عمرو وسار لاغثة عياض بن غم الذي بعثه أبو بكر لفتح
العراق من أعلاه وعلى مقدمته الأقرع بن حابس فسلك الفلوجة^(٣) حتى
نزل بكر بلاه^(٤) وعلى مسلتها عاصم بن عمرو فأقام بها أياماً ثم نادى بالرحيل
حتى انتهى إلى الأنبار.

الأنبار^(٥)

لما بلغ أهل الأنبار نبأ خالد تحصنوا وامتنعوا وحدثوا على أنفسهم
وأشرفوا من الحصن ووافاهم خالد على مقدمة الجيش فأطاف بالخذق

(١) الطبري ج ٤ ص ١٨

(٢) بالفتح ثم الصم وفتح الراء وكسر السين المهمة وياء ساكنة وراء . من نواحي

سواد بغداد قرب المدائن - معجم البلدان ج ٢ ص ٣١٤

(٣) الفلوجة لأرض المصنعة بزرع - معجم البلدان ج ٦ ص ٣٩٨

(٤) كـ لاء . موضع قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما وهي في طرف البرية قريبا

من الكوفة - معجم البلدان ج ٧ ص ٢٢٩

(٥) الأنبار مدينة على الفرات في عرقى بغداد سبعا عشرة فراسخ - معجم البلدان

وَأَنْشَبَ الْقِتَالَ لَأَنَّهُ كَانَ لَا يَصْبِرُ عَنِ الْحَرْبِ إِذَا رَأَاهَا أَوْ سَمِعَ بِهَا وَقَالَ لِرِمَاتِهِ : إِنْ أَرَى أَقْوَامًا لَا عِلْمَ لَهُمْ بِالْحَرْبِ فَارْمُوا عِيُومَهُمْ وَلَا تَحْرُوا سَوَاهِيَهُمْ فَأَصَابُوا فِيهِمْ أَلْفَ عَيْنٍ . فَصَاحِبِ الْقَوْمِ : ذَهَبَتْ عِيُونَ أَهْلِ الْأَنْبَارِ فَرَأَسِلَ شِيرَازُ صَاحِبِ سَابَاطٍ - وَكَانَ أَعْقَلَ أَجْعَمِيٍّ - وَمُنْذُ وَأَسْوَدَهُ وَأَقْنَعَهُ فِي النَّاسِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ حَالِدًا فِي الصَّلَاحِ عَلَى أَمْرٍ لَمْ يَرْضَهُ وَعَمِدَ حَالِدٌ إِلَى الْأَيْلِ الْعِجَافِ (١) فِي حَيْشِهِ فَنَحَرَهَا وَرَمَى بِهَا فِي أَصِيقٍ مَكَانٍ فِي الْخَنْدَقِ فَأَقْعَمَهُ ثُمَّ اقْتَحَمَهُ عَلَى جِسْرِ مِنْ نَدَاكَ الرِّذَايَا وَصَارَ مَعَهُمْ دَاخِلُ الْخَنْدَقِ فَأَرْزَوْا (٢) إِلَى حَصْنِهِمْ فَطَلَبَ شِيرَازُ الصَّلَاحَ عَلَى مَا أَرَادَ حَالِدٌ . عَلَى أَنْ يَحْكُمَهُ وَيُلْحِقَهُ بِمَأْمَنِهِ فِي جَرِيدَةِ حَيْلٍ لَيْسَ مَعَهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْمَنَاعِ شَيْءٌ . فَوَفَّى لَهُ حَالِدٌ وَانْتَهَى بِدَلَالَةِ أَمْرِ الْأَنْبَارِ وَحَاءٌ مِنْ أَحْوَالِهَا كَذَلِكَ فَصَالِحُوه

١ . فِقَادَةُ حَالِدٍ لِمُقَدِّمَةِ الْحَيْشِ وَطَوَافِهِ بِنَفْسِهِ حَوْلَ الْخَنْدَقِ لِتَعْرِفَ مَوْضِعَ الضَّعْفِ فِيهِ ثُمَّ إِشْغَالَهُ لِلْقِتَالِ تَوَافُؤُهُ لَا يَصْبِرُ عَنِ الْحَرْبِ إِذَا رَأَاهَا أَوْ سَمِعَ بِهَا ثُمَّ فَرَّاسُهُ فِي تَعْرِفِ قُدْرَةِ عَدُوِّهِ عَلَى الْحَرْبِ وَحَبْرَتِهِ بِهَا فَيَتَحَرَّى نَاحِيَةَ الضَّعْفِ فِي عَدُوِّهِ فَيُضْمِرُهَا وَيَخَارِبُهَا بِنَوْعِ السِّلَاحِ الَّذِي لَا يَحْسُنُهُ وَهُوَ بَعْدَ ذَلِكَ لَا يَقْوَاهُ أَنْ يَعْمِدَ إِلَى الْحَبْلَةِ لِلنَّكَايَةِ بِعَدُوِّهِ كُلِّ هَذَا يَكْشِفُ لَنَا عَنْ كَثِيرٍ مِنْ وَاحِدِي تِلْكَ الْمَهَارَةِ الْحَرْبِيَّةِ الَّتِي ائْتَمَّازَ بِهَا وَبِهَا سَتَقَامُ لِحَالِدٍ مِنَ الْأَنْبَارِ اسْتَحْدَفَ عَلَيْهِ الزُّبُرْقَانُ بْنُ بَدْرٍ وَتَوَحَّحَ إِلَى

(١) عَجَفٌ جَمْعُ عَجَفٍ . وَهِيَ شَرِيَّةٌ - مَخْرَجُ الصَّحَاحِ - وَالرَّدَى كَقَبِيٍّ مِنْ تَهْلِهِ

٢ . صَوْنٌ وَضَعِيْفٌ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . وَهِيَ بِ. جَمْعُ ر. - الْقَادُوسُ الْحَيَّةُ

(٢) أَرَى لَهُ لِحَاً وَاسْتَحْدَفَ - قَدَمُوسُ الْحَصَى

عين التمر

وكان بها يومئذ مهران بن سهرام حواري في جمع عظيم من العجم ،
وعقبة بن أبي عقبة في جمع عظيم من العرب من البكر وتغلب وإياد ومن
لأفهم وحين سمعوا بمسير خالد إليهم قال عتبة لمهران : « إن العرب
أعلم بقتال العرب فدعنا وخالد قال صدقت لعمرى لأنتم أعلم بقتال
العرب وإنكم لمثلنا في قتال العجم » فخدعه وعرره به وورطه ليتقى به
عز ذلك على من معه من العجم فقالوا له : كف هول ما فلت لهذا
الكتاب . وكان العجم يحقرون العرب فقال لهم دعوني فاني لم أرد إلا
ما هو خير لكم وشر لهم : « فخدحكم من قتل ملوككم وقتل حاكمكم
فأتبعته بهم فان كانت لهم على خالد فهي لكم وإن كانت لأخري لم يسلعوا
منهم حتى يوافقوا لهم ويحسن أفياءهم ويضعفون » فخدعوا له رأيه
نزل عقبة لخالد على الطريق وصار كالحفير فمهرن ندى اعصم بالحصن
وبينه وبين عتبة مقدار عدوة وروحة وفقد خالد على تعبته و وكل نفسه
حواري ثم حمل على عقبة ودهو بعدل صدوقه واحتضنه فأحده أسيرا
واسمزم جنده وأتبعهم المسلمون وأمعنوا في أسرهم

سمع الخبر مهران فترك الحصن وهرب في جنده من غير قتال والتجأ
فلال عقبة إلى الحصن فافتحموه وانصدوا له وزل خالد على الحصن

١١١ عن ابن سعد وفيه من الألف من السكتين . وعني على صرف يرميه
افتحموا المسلمون في أمة أبي بكر حتى صدقوا به سنة ١٢ - معجم البلدان

^١ وحاصره وعفة أسير معه وكان من في الحصن يرحون أن يكون خالد
كفيره من مغيرة العرب لا يلبث أن يتركهم متى ظفر بالغنائم والأموال
فذا رأوه غير تاركهم ضلوا الأمان فأرأى على حكمه فلبوا فدفعهم إلى
المسلمين وصرب علق عفة وضرحه على الجسر ليؤيسهم من الحياة،
ثم انثنى عليهم فضرب أعنفهم جميعا واستلم الحصن وغنم كل ما فيه ووجد
في يمينهم أربعين غلاما يتعدون لا يجيل فقال ما أتم قالوا رهن فقسمهم
في أهل البلاء وكان منهم من أعقب رجلا عطيا كان لهم شأن يذكر في
دولة الاسلام . منهم نصير أبو موسى بن نصير . وسيرين أبو محمد بن
سيرين ، وجران مولى عثمان

أرسل خالد الوليد بن عفة بالفتح والاحماس إلى أنى بكر فوحه
أبو بكر مددا لعاض بن عيم . فقدم عليه وهو محاصر دومة الجندل وأهلها
محاصروه وقد أخذوا عليه الطريق فقال له : الرأي في بعض الحالات
خير من جند كثير اعث بنى حاد واستمده ففعل وقدم رسول عياض
على خالد مستغيثا علف فراعته من عين التمر : ففعل خالد إلى عياض
بكتاه المشهور . من خالد إلى عاص إياك أريد

لبث قليلا أتاك الخلائد يحمل آسادا عليها القاشب

كتائب يتبعها كتائب

استحلف خالد على عين . عويم بن الكاهل الأسلمي وخرج في

تعبته التي دخل بها العين يريد دومة الجندل :

دومة الجندل (١)

ولما بلغ أهل دومة سير خالد إليهم استنفروا أشياعهم . من بهرا .
 وطلب وغسان وتوخ والضحعم ومن قبل قد أتاهم وديعة في كلب
 وهراء ومسائده ابن وبرة بن روماس وأتاهم ابن الحدر جان في الضجاعم
 وابن الأيهم في طوائف من غسان وتوخ ، وأشحوأ عياصا وشجوا به
 وكان عليهم رئيسان . أكيدر بن عبد الملك ، والحدودي بن ربيعة فلما
 دنا منهم حاله اختلفوا فقال أكيدر : أما أعلم الناس بخالد لا أحد أيمن
 طائرا منه ولا أحد في حرب ولا يرى وجه خالد قوم أبدا قلوبا أو كثروا
 إلا انهزموا عنه فطبعوني وصالحوا القوم وأتوا عليه فقال : لن أملككم
 على حرب خالد فشأنكم فخرج لطيته (٢)

علم خالد بخروج أكيدر فبعث إليه عاصم بن عمرو فعارضه وأتى
 به خالد فصرع عنه حرا ، عذره و... الله لأنه كان قد عاهد النبي صلى الله
 عليه وسلم من قبل فعدر

مضى خالد حتى نزل على أهل دومة وعليهم الجودي بن ربيعة ووديعة

(١) دومة الجندل لهم أوله وفتحهم وقد أسكر ابن دومة الفصح . وهي على سبع
 من أهل من دمشق ثم وبين مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم . وقت أبو عبيد
 الكوفي : دومة الجندل حصن ووري بين الشام والمدينة قرب جبل طي . وأهل
 كسب انفتوح مجموع على أن خالد بن الوليد عم دومة أيام أبي بكر عند كونه . لعراق
 سنة ١٢ وقل أكيدر لأنه كان قد فخص وارتد . معجم البلدان ج ٤ ص ١٠٦ . ١٠٧
 (٢) رأى أكيدر حذار بن صائب مبي على حرة ساعة . فقد كانت له مع خالد
 موقعة قبل ذلك حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم وهو سوك فقتل أخاه وأسره وجاء
 به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصالحه وورده إلى بلده .

الكلبي وابن رومانس الكلبي وابن الأيهم وابن الحنرحان وكان موفد
 خالد بحيث جعل دومة بينه وبين عياض بن غنم وكان الذين أمدوا أهل
 دومة من نصارى العرب محيطين بالحصر لأنه لم يتسع لهم

لم يحف عى القوم ماحل مهم . فرتبوا أنفسهم . فمرص الجودى
بوديعة لخلد وان الحدر حاد واس الأيهم لعياض فأمكن انه المسلمين من
الفريقين فأسر خالد الجودى والأقرع وديعة والتحا بقية الناس إلى الحصن
فلم يحذهم وأوصده من فيه دورهم . فطلوا تحت السيف حرداء وأحار
عاصم بن عمرو ومن معه من نهم حذهم من كلب ^(١)

وأعمل حديد سيفي بدين التحاوي الحصص حتى أفاهم وسد بهم
أبوابه وصرع علق خوذتي والأسرى ما عدا ساري كلب الأمان عاصم
وبني نعيم هم ثم أفلح الحصص وقتل من فيه

أمر حاله لأفريق من حارس الرجوع إلى الأناضول وأقدم هو دعوة
فكانت بمدة مدته مناع لأنه حرم وضهره نظوب وكذلك ضم عرب
الجزيرة وصره وهو مدو عدم مصرع عفة فكانوا الأناضول
ليكونوا معهم على حاله عفة خراج ردمه من بعد دومة روره
يريد أن الأناضول مدو حصدا أو حارس فوصل بهم إلى روره من
بدر وهو على ذلك - فاستند اجتماع حليم حليم على الخيرة فمده
بأعد من فيكي السعدى وأمره بخصه ويعبوة من الخعد الدرق وأمره
بالخمس وقد لهما إله ريتي مسد وقدم نخرج ومعاهما وحالا بينهما

[illegible]

وبين الريف فترصا بالمسلمين اجتماع من كاتهما من ربيعة ثم يصادمونهم
فصار جمع خالد إلى الخيرة وبلغه الذي كان عمل نارسال القعقاع وأنى ليلي
المروزبة وزرمر فسبقاهما إلى عين التمر

وصل خالد أ كتاب من امرئ القيس الكلبي بأن الهذيل بن عمران
قد عسكر بالمصيخ وربيعة بن شرقد عسكر بالشئ وبالبحر غضباً لعنة
وأتهما يريدان زرمر وروزبة فاستخلف عياض بن غنم على الخيرة ونهد
وعلى مقدمته الأقرع بن حابس فسلط طريق القعقاع وأنى ليلي إلى الخنافس
حتى قدم عليهما عين التمر، فعت القعقاع إلى الحصيد وجعله أميراً على
الناس وأبى ليلي إلى الخنافس وأمرهما أن يزجوه ويدفعوهم كي يجتمعوا
هم ومن تاشب إليهم فيصدمهم المسلمون صدمة واحدة ويفرغوا منهم.
ولكن يظهر أنهم فطنوا لنية المسلمين بهم : فلم يجتمعوا ولم يمكنوهم
من أنفسهم

رأى القعقاع بن عمرو أن زرمر وروزبة لم يتحركا فصار يريد الحصيد

الْحَصِيدُ (١)

وكان روزبة رئيس من به من العرب والعجم فلما علم بقصد القعقاع
إليه استمد زرمر فأمده بنفسه واستحلف على عسكره المهودان والتقى

(١) الحصيد بالفتح ثم بالكسر ويا ساكة ودال مهملة موضع في أطراف
العراق من جهة الجزيرة... قال القعقاع بن عمرو

ألا ألقا أساء أنت حليها فضى وطرا من روزمر الأعاجم
غداة صبحنا في حصيد جموعهم بهندية تغرى فراخ الجاجم

الجمعان فقتل المسلمون منهم مقتلة عظيمة من بينهم رزمهر وروزنة^(١)
وعصموا منهم مغنم كثيرة والتجأ فلال الحصيد إلى :

الخنافس

فسار إليهم أبو ليلى من معه ومن انضم إليه فلما أحس به المهودان
هرب هو وجنده ومن التجأ إليه وأرزوا إلى المسيح وبه الهذيل بن
عمران فاستولى المسلمون على الخنافس بغير قتال وبعثوا إلى خالد بالخبر

المسيح^(٢)

انتهى خبر الحصيد والخنافس إلى خالد فواعد قواده القعقاع بن عمرو
وأبا ليلى وأعد وعروة ليلة وساعة يجتمعون فيها إلى المسيح فتوافوا إليها
في موعدهم وبيتوا الهذيل ومن أوى إليه من ثلاثة أوجه فأناموهم وامتلاً
المضاء رممهم كأنهم عم مصرعة وأولت الهذيل في نفر قليل من أصحابه
أصاب جرير بن عبد الله وهو في المعركة يوم المسيح رجلين كانا
قد أسلما ومعهما كتاب من أبي بكر بإسلامهما وهما : عبد العزى بن

(١) رزمهر قتله القعقاع وروزنة قتله عصم بن عبد الله الضبي - الطبري ج ٤ ص ٢٤

(٢) المسيح قال الطبري هي بين حوران وأملت وذكره في بعض رواياته
وتأنيده ابن الأثير بصاد وفي آخره حاء وهو غلط كما يعلم من معجم البلدان إذ يقول
المسيح نضم الميم وفتح الصاد المهملة وياء مشددة وحاء معجمة يقال له مسيح بن البرشاء
وهو بين حوران وأملت وكانت به وقعة هائلة لخالد على بني نعلب . فقال التعلي :

هيا ليلة ما ليلة المسيح .. وقال القعقاع بن عمرو :

سائق ما يوم المسيح نعلبا وحل عالم شيئا وآخر جاهرا

طرمهم فيها طروقا فصيحوا أحاديث في أفتاء تلك القبائل

أبي رهم وليد بن جرير ولما بلغ أبا بكر قول عبد العزى ليلة الفارة:
 أقول إذا طرق الصباح بعبارة سبحك اللهم رب محمد
 سبحان ربّي لا إله غيره رب السلا د ورب من يتورد
 وداهما وأوصى بأولادهما وكان عمر يعقده على خالد بقتلهما وقتل مالك
 ابن بويرة فيقول أبو بكر «كذلك بلغني من ساكني أهل الحرب في ديارهم»
 وفي الحق إنه كان للرجلين متسع من الأرض يأمان فيه وليس
 بهما من ضرورة تضطرهما إلى المقام في مستنقع الموت وفي وصف أعداء
 دينهم والمشاقين لأهل الاسلام. ومن طرأ أنه يصع صنيعهما ولا يكون
 موطناً نفسه على أن يكون طعاماً للسيوف فقد طرأ عجزاً وليس لعمرو حق
 في الاعتداد بهما على خالد (١)

الثني والزميل (٢)

فرغ خالد من أمر المصيح فامر القعناع وأبا ليلى أن يرتحلا أمامه
 وواعدهما ليلة ليغيروا على ربيعة بن بجير التغلبي وقد نزل الثني والبشر
 ورتب الاغارة عليهما من نواح ثلاث كما فعل باهل المصيح ثم خرج واجتمع
 باصحابه فبيته ومن اجتمع له وإليه وجرّد فيهم السيف فلم يفلت منهم مخر

(١) تاريخ الحلفاء لأستاذنا الشيخ عبد الوهاب البحار ص ٨٧

(٢) الثني بالفتح ثم الكسر وباء مشددة تلفظ الثني من الدواب. وهو علم
 لموضع الجزيرة قرب الشرقى شرقى الرصافة. قال أبو بكر:

طرفاً بالثني بنى بجير يأتنا قبل تصديده الديوك
 فلم نترك بها أرما وعجما مع النضر المؤزر بالسهوك

وبعث بالحسن مع العيمان بن عوف الشيباني^(١)

ولما انتهى خالد من التي قصد الزميين وفيه عتاب بن فلان في عسكر
صنم وقد سبق إليه الخضر عريضة وأوى إليه الهذيل حين يحا من المصيخ
فبيتهم بمثلها غارة شعواء من ثلاث جهات فقتل منهم مقتلة عظيمة لم يقتلوا
قلها مثلها وقسم النخ في الناس وبعث بالأنحاس إلى أبي بكر مع الصاح
ابن فلان المزني

عطف خالد من البشر إلى الرصاف^(٢) ومها هلال بن عقة فأرفض
عه أصحابه حين سمعوا بدنو خالد منهم واضطر هلال لأن يغادرها فلم
يلق المسلون بها كيذا

الفراض^(٣)

بسط خالد سلطانه على سواد العراق وأبلى في عرب الجزيرة وبال
منهم ثم قصد الفراض (وهي تخوم الشام والعراق والجزيرة) حتى
يحفظ ظهره ويأمن من أن يكون وراءه عورة حتى إذا قدر له أن يحتاز
السواد إلى فارس كان آمنا مطمئنا على ما فتحه^(٤)

فلما اجتمع المسلون بالفراض اغتاضت الروم واهتاحت واستعانت
بمن يليها من مسالح الفرس فدوا سراعا لأنهم حاقون حاقدون على خالد

(١) اشترى على كرم الله وجهه من السبايا بنت ربيعة بن بحير العلبي فولدت له
عمرا ورقية - الطبري ج ٤ ص ٢٥

(٢) الرصاف موضع الرصافة قبل بناء هشام إياها - معجم البلدان ج ٤ ص ٢٥٩

(٣) الفراض محوم الشام والعراق والجزيرة في شرق الفرات - معجم البلدان

ج ٦ ص ٢٥٠

(٤) تلك سياسة حكيمة وهي توافق إرشاد أبي بكر لخالد وعياض حسبما بعثهما

لمفتح العراق - راجع الطبري ج ٤ ص ٥

والمسلمين الذين أذلّوهم وكسروا شوكتهم كما استمدوا العرب من تغلب وإياد والنمر فأمدوهم وهم لم ينسوا بعد مصارع رة سائهم وأشرافهم فاجتمعت على المسلمين في تلك الموقعة جيوش الروم والفرس والعرب ثم ما هدوهم حتى إذا صار الفرات بينهم قالوا : إما أن تعبروا إلينا أو نعبركم : فلم ير خالد أن يزج بجيش المسلمين في تلك المخاطرة التي قد آمن فأجابهم : أن عبروا إلينا فقالوا : ابتعدوا حتى يعبر فأبى خالد وقال : بل اعبروا أسفل منا فعبروا أسفل منهم فلما تناموا قالت الروم : امتازوا حتى نعرف اليوم ما كان من حسن أو قبيح من أين يحيى^(١) ، فامتازوا ونشبت المعركة فاقتتلوا قتالا شديدا طويلا وحقت الهزيمة على حيوس المؤمنين فقال خالد لأصحابه : ألحوا عليهم ولا ترفهوا عنهم فقتلوا منهم في المعركة وفي الطلب مائة ألف^(٢) . وكانت هذه الواقعة آخر حروب خالد في العراق

أقام خالد على الفراض عشرة أيام بعد الموقعة ثم أذن بالرحيل إلى الحيرة لخمس بقين من ذي القعدة وأمر عاصم بن عمرو أن يسير بالجيش وجعل شجرة بن الأعمر ساقه له وأظهر هو أنه سائر في الساقة يد أنه ترك الجيش ومضى إلى الحج

- (١) يشه هذا ما صعبه خالد في حربه لمسيبة الكذاب حيث أمر أن يمتار الناس فكان لعمله هذا أثر محمود في النصر ، راجع تفصيل ذلك في حربه لمسيبة
(٢) وفي هذه الموقعة يقول القعقاع بن عمرو :

لقيا بالفراض جموع روم وفرس غمها طول السلام
ألبا جمعهم لما التقيا وبيتا يجمع بين روم
فاقتت جنود السلم حتى رأينا القوم كالعم السوام

حج خالد

فخرج متكئاً في عدة من أصحابه يعتسف البلاد حتى أتى مكة على
السمت فأتى له من ذلك ما لم يتأت لدليل ولا ريبال ، فقد جاز طريقاً
من طرق الجزيرة لم ير أعجب ولا أصعب منه ، فكانت غيبته عن الجند
يسيرة فما توافى إلى الحيرة آخرهم حتى وافاهم مع صاحب الساقة قدما معا ،
ولا يعلم بحجه إلا من أفصى إليه بذلك من الساقة ولم يعلم الجند بحجه
حتى رأوه وأصحابه مخلقين رؤوسهم ومقصرين

علم أبو بكر بحجة خالد وتركه للحد وهو خير بآثر ذلك في نفوس
جنده وحدث أعدائه ، فأكبر ذلك واعتده إعجاباً منه بنفسه وبما أتبع له
من الظفر واعتزازاً بمن يحاوره من عدوه واستصعافاً لشأنهم^(١) فكتب
إليه كتاباً قاربه فيه وباعده وهما به بحجه وعائبه وتصادف أنه في ذلك الحين
أرسل أمراء المسلمين الذين وجهوا لفتح الشام إلى أبي بكر يستمدونه
فرأى أن يصيب غرضين بحجر يطهر عتبه على خالد في صورة محبة كما
يرسل بحجة ومدداً للمسلمين ويرمى الروم بالأسد الذي رمى به فارس
فينسبهم به وساوس الشيطان فيقوض عرشهم كما زلزل عرش الأكاسرة
من قبل فكتب إليه مع عبد الرحمن بن حميل الحمصي^(٢) .

ه أن سر حتى تاتي جموع المسلمين بالبروك فأنهم قد شجوا وأشجوا
وإياك أن تعود لمثل ما فعلت فيه لم يشج الجموع من الناس يعون الله
شجيك ولم يزعج الشجى من الناس نزعك فليتناك أبا سليمان الية والخطوة

(١) تاريخ الاسلام لأسد الشرح عبد الوهاب العجار ص ٩١

(٢) لأحد لطوان ص ١١٢

فأتمم يتمم الله لك ولا يدحلك عجب فتحسرو وتذل وإياك أن تذل
يعمل فإن الله له المن وهدو ولى الجزاء» (١)

والآن بعد أن انتهى من فتوح العراق وقلل أب يسير خالد إلى
الشام يحسن بنا أن نلقى نظرة على تلك الفتوح لتبين مدى أثره فيها وما كان
لها من عائدة مادية وأدبية لجيوش المسلمين

أثر خالد في فتوح العراق وفائدة ذلك للمسلمين

كان العرب يطربون إلى الفرس نظر إجلال وتبرير مطمع نظر
الواحد منهم أن يعف باب كسرى وأن يؤذن له ليسجد بين يدي
« شاهنشاه » ولقد بلغ من احتقار الفرس للعرب أنهم حتى بعد أن أوقع
بهم خالد في عدة وقائع لم يعنوا بالعرب ولم يكثر ثوابهم ويظهر ذلك
تماماً بنا في موقعة اليريس فقد هأوا طعماهم ولم يأسهوا بجيوش العرب
أمامهم.

أتاهم خالد فأراهم أن تلك الأمة بعد ما أراد الله بها من الخير ما أراد
بارسال نبيه واتباع ديه استعدت لتأخذ بدورها وأن تدبل لنفسها وأنه
يجب أن يذعن الفرس طوعاً أو كرهاً لارادتها وأنه قد آن للفلاحين
والمستضعفين أن يعرفوا أنهم من جنس البشر وأن لهم حقوقاً وعليهم
واجبات شأنهم في ذلك شأن أولئك الذين كانوا يظنون في أنفسهم أو

(١) الطبرى ج ٤ ص ٢٦، ٢٧ واندطر لكتاب أنى نكر هذا يرى فيه من
الحكمة وبعد النظر ما ينبئ عن سداد رأى الخليفة ومعرفة بالرجال وأن تأديبه لقواده
تأديب حازم حكيم لا يشوبه إلا الإخلاص وحب المصلحة كما أنه اشتمل على وصف
لخالد هو والحقيقة صنوان.

يظن لهم غيرهم أنهم = ولو من ناحية الالتزامات للمجتمع على الأقل -
طبقة فوق المستوى العادي لسواد الناس فعرفهم خالد بأن الناس من آدم
وآدم من تراب

ولقد كان إرسال خالد لفتح العراق بدء ظهور الدولة الإسلامية في
مصاف الدول العظمى كما كان إيذاً ما بتقلص سلطان الأكاسرة فزواله فيما
بعد لا جرم فقد طهرت تلك الأمة وأتيح لها أن تخلف ملوك الأكاسرة
على رقعة فسيحة من أراضيها فاقطعت تحت قيادة خالد حوض نهر الفرات
من شمال الأبله إلى الفراض وغلبت الفرس على خير شقي السواد
وتبججت في ريف العراق

ظن الفرس في بادئ الأمر أن غارة العرب عليهم ربما كانت تحت
تأثير عوامل اقتصادية ومعيشية وأنهم سرعان عند ما تقع أيديهم على شيء
من الغنيمة والسلب ما يرجعون إلى باديتهم ويعودون من حيث أتوا
ولكن تتابع الغزوات وتوالي الفتوح بهم إلى حطهم وجعلهم يفتحون
أعيهم ويخرجون منها القذى ليروا تلك الأمة الناهضة . وحق على دولة
الفرس وقد آتت على شيخوختها أن تسلم زمامها أو تفنيها أمة العرب
يقودها خالد بن الوليد

كان خالد في فتوحه حازماً حكيماً إذا فتح بلداً لا يجوزها إلى غيرها
حتى يجعل عليها أميراً لحمايتها وإقامة القسط فيها وآخر يجبي خراجها وحتى
يحفظ طهره ولا يترك وراءه عورة ومن ثم يتقدم لغيرها مطمئناً على
ما فتحه ، وإذا تم له الفتح أمن الفلاحين وشملهم بعطفه ورعايته ومعهم
من يريد لهم سوء فكانوا لذلك يرحبون بقدومه ويسرون له ولا يمانعونه

ويحاربونه إلا مكرهين ، فهم يفضلون حكمه على حكم الفرس الذين
أذلّوهم واستعدّوهم ولم يجدوا منهم إلا غاطلة عليهم وإعانتا لهم ، وبمنسبة
مأفته بهؤلاء كانت شدته وقسوته على السادة والمحاربين فانه كان لا يصبر
عن الحرب إذا رآها ولا يدع الجيوش متواقمة ينظر بعضها إلى بعض
وتركد نار الحماس من نفوسهم بل سرعان ما يظهر بين الصفوف طالبا
رئيس القوم فيقتصره ، فيقع الرعب في قلوب من وراءه وقل أن يطول
أمد الحرب بعد ذلك ، فإذا تمكن منهم أخش في قتلهم ولم يجد الرأفة منهم
إلى قلبه سيلا . فكان عمله في الحالين مدعاة لانهاج المستضعفين وتنقيصا
ونسكدا على المحاربين وسببا في فشلهم وإلحاق الرعب في قلوبهم

كان الواجب على مرارة فارس ورؤسائها بعد ما عرفوا حالدا في
موقفين أو ثلاث أن يعتروا ويتعطوا - والعامل من انعط بغيره
ولا يبالوا به وقد تبين لهم حدة سيفه ولا سيما وأنه يجعل لهم نوعا من
الاختيار يجعلهم بمحاجة من الموت . أفما كان في الناس رجل رشيد
يحثهم على المسامحة ويدل ما يريد به يحقن على الناس من الدم الممار ؟ إن
الابتعاد عن خالد نهاية الحرم . وليس الانحراف عن طريقه أو إعطائه
ما يريد ضعفا أو جبنا بل إن ملاقاته والوقوف في وجهه تهلكة وتغدير
على أن القوم الذين كانوا يجمعون له ويرصدونه أو يهدون إليه
كان يكون لهم شه عذر لو أن الذي يقع في يده محاربا يجد منفذا إلى
النجاة أو طريقا إلى السلامة فيكون القوم قد أقدموا على طمع في الفوز
أو أمل في النجاة إن حاسمهم الظفر فلم يخنهم عفو المستصر (١)

ويظهر أنهم فعلوا ذلك لما هو عائق بنفوسهم من العزة والكبرياء
والتهاون بالعرب واحتقارهم مما جعلهم يتجادون في منازلة خالد ومقاتلته
واستعظما لأن يكونوا تحت سلطان العرب ورحمتهم

رمداد ليسطر التاريخ خالد صفحات من المجد ما زال لها في نفوس
المسلمين أثر أي أثر . على أن ما تقدم ليس كل ما استفاده المسلمون من
فتوح خالد فانه فضلا عن تلك الأموال والمغانم التي أحذوها - والتي
بينها في مواضعها - فهاك أمر له خطره وقيمه ؛ ذلك ان جنود
المسلمين الذين فتحوا العراق تحت إمرة خالد قد ضروا وجروا على منازلة
الفرس وأصبحوا لا تهيبونهم ولا يخشون بأسمهم . فكان ذلك تمهيدا
للفتح الذي حلت بعد ، والتي قضت على دولة الأكاسرة

وفصلا عن ذلك فان جنود المسلمين قد اعتادوا رؤية الحيوش المنظمة
داب العدة والعدد وحروا أساليب الحروب معهم فتارة يبازلوهم وهم
في حصونهم وأخرى يفصل بينهم نهر وآونة يصالحونهم بالسيوف ومرة
يقضون عليهم يائسا وهم يأمنون كل هذه الأحوال المتغيرة في ملاقات الأعداء
وطرق خالد في معالجتهم وما كان يتكره من أساليب المدافعة قد أفادتهم
وحصرتهم بالحروب وهون القتال وأوجدت مهم جنودا مدربين وقوادا
مبرزين يحوضون عمار الحروب على نور من مواقع خالد ويهزمون
جحافل الحيوش على قس من أساليبه

أقام خالد في العراق سنة وشهرين من المحرم سنة اثنتى عشرة إلى صفر
من سنة ١٣ كان له فيها من الوقائع زهاء خمس عشرة موقعة وفي جميعها
يصادمه عدوه بأضداد جيشه ومع ذلك فقد نال من عدوه وأثنى في

جنده وكان في كل وقائعه ظافرا منتصرا لم تهزم له راية ، ولم ينثن سيفه
عن ضربته ، وفعل في تلك المدة القصيرة وفي سنته هذه ما لم يفعله أكبر
قائد في مثل عدد جنده وفوق عدوه في عدده وعدده حتى لقد كان اسمه
يسبقه إلى كل منة أريدها ، مدة سيفه تعمل عملها في كل قوم أجمع
السير إليهم وكان ظهوره بين الصفوف بمثابة مدد وسكينة لجيوش المسلمين
كما كان خورا ورعبا وتحلخلا واضطرابا في صفوف المخالفين

ويظهر لنا عظيم ما قام به خالد في سنته وما كان لهذه الفتوح من اثر
في نفوس جنده ما قاله ابن الهيثم ^(١) السكاني عن ابيه . كان أهل الأيام
من أهل الكوفة يوعدون معاوية عند بعض الدي يبلغهم ويقولون :
ما شاء معاوية نحن أصحاب ذات السلاسل - وهي أولى وقائع خالد في
العراق ويسمون ما بينها وبين الفراض ما يذكرون ما كان بعد احتقاراً
لما كان بعد فيما كان قبل ^(٢)

فتوحه في الشام

كان البدء في فتح الشام متأخراً عن العراق . فان أول لواء عقده
أبو بكر لحرب الشام كان في أول سنة ثلاث عشرة لحالد بن سعيد ثم
عزله ^(٣) - بتأثير عمر - قبل أن يسيره وجعله ردها للناس بتيما ^(٤) ثم

(١) الطبري ج ٤ ص ٢٧

(٢) وهذه الرواية رشح أيضا رأيا من أن حالدا ابتدأ في حرب العراق
بذات السلاسل

(٣) وولي مكانه يزيد بن أبي سفيان فهو أول الأمراء الذين خرجوا إلى الشام
وخرجوا في سبعة آلاف - الطبري ج ٤ ص ٢٨

(٤) تيماء . بالفتح والمد ليد في أطراف الشام بين الشام ووادي القرى على طريق =

اهتم أبو بكر بالشام، واعتزم الجدد في أمر الروم، فاستنصر الناس وحثد الجنود وعقد الألوية لأربعة من كبار القواد وهم: يزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة وأبو عبيدة بن الجراح وعمرو بن العاص^(١) وعين لكل واحد منهم طريقه والجهة التي يغزوها ويوليها بعد الفتح: فجعل يزيد دمشق وشرحبيل الأردن ولأبي عبيدة حمص وعمرو بن العاص فلسطين^(٢)

فصل الأمراء وساروا حتى وصلوا الشام فنزل يزيد اللقاء وشرحبيل الأردن وأبو عبيدة الجابية وعمرو العرة. ولما علم الروم بنزول الأمراء كانوا هرقل وهو بالقدس فخرج عنها حتى نزل حصا فاعد الجنود وعي العساكر وأراد أن يشعل كل قائد عن أصحابه ويضعفه عن يكون بأرائه لكثرة حده وفصول رجاله فأرسل إلى كل قائد أضعاف ما معه من الجدد فهاهم المسلمون، ورأوا التريث حزماً، وراسلوا عمرا وأبا بكر أن ما لرأي؟ فأجابهم عمرو: «ان الرأي لثنا الاجتماع وذلك أن مثلنا إذا اجتمع لم يعلب من قلة وإذا نحن تفرقنا لم يبق الرحل منا في عدد

حاج الشام ودمشق والألبان امرد حصن السعول من عدياء اليهودي مشرف عليها فلما كان يقال لها نباء اليهودي معجمه السند ح ٢ ص ٤٤٢

(١) وهم على هذا الترتيب في خروجهم للشام الطبري ج ٤ ص ٣٩ ومؤلا اقواد قرشون ماعدا شرحبيل فانه كندى أو أردى وهو شرحبيل ابن عبد الله بن المطاع ابن عمه ومن كندة ويقال من الأردن. وحسنه أنه راجع الطبري ج ٤ ص ٣٩، وفتوح أسدال سلاوى ص ١١٤

(٢) والناظر في هذا التعيين وتخصيص كل بحجة يتأمر عليها ليدرك مقدار وثوق المسلمين بنصر الله لهم واعتزازهم بمعوته حتى إن خليفتهم يعين الولاية قبل أن ينفصلوا من بلادهم وقيل أن يلاهاوا عدوهم

يقرن فيه لأحد ممن استقبلنا وأعد لكل طائفة ما^(١) فأتعدوا اليرموك ليحتمعوا به ووافاهم كتاب أنى بكر بمثل مشورة عمرو ، بأن احتمعوا فتكونوا عسكرياً واحداً والقوا زحوف المشركين بزحف المسلمين فانكم أعوان الله والله ناصر من نصره وحاذل من كفره ولن يؤتى مثلكم من قلة وإنما يؤتى العشرة آلاف والزيادة على العشرة آلاف إذا أتوا من تلقاء الذوب فاحترسوا من الذوب واحتمعوا باليرموك متساندين^(٢) وليصل كل رجل منكم بأصحابه^(٣) .

بلغ ذلك هرقل فكتب إلى قواده وبطارفته ، أن احتمعوا لهم وانزلوا بالروم منزلاً واسع العطن ، واسع المطرد ، صيق المهرب ، ولم يخف على هرقل أن جيش المسلمين فيه حدهم وحدهم وأهم قد جمعوا فيه كل ما أمكنهم وفي طبيعتهم أهل القوة والعدا ، وأن المعركة التي ستدور بين جيشه وجيوش المسلمين معركة فاصلة إن كانت له لم يفلح العرب بعدها ولم يجرؤا على عرو بلادهم مرة أخرى وإن كانت عليه فسلام على سوريا ولذا قاله قد اهتم بهذا الجيش وعين له الأمراء والقواد ويدهم القسيسون والرهان يحرصون ويشجعون ونزلوا الواقصة^(٤) وهي على صفة اليرموك وصار الوادي خندقاً لهم وهو لهب لا يدرك وأراد قواد الروم أن يستفيق عسكريهم ويأمنوا بالمسلمين حين يروا قتلهم وكثرة جموع

(١) الطبري ج ٤ ص ٣١

(٢) الطبري ج ٤ ص ٣١ ورأى عمرو وأنى بكر كلاهما يقوى ما سخره بعد من أن اليرموك سابقة على أجنادين

(٣) الواقصة ، واد بالشام في أرض حوران ، رآه المسلمون أيام أبي بكر عني

اليرموك لغزو الروم — معجم البلدان ج ٨ ص ٣٨٩

قومهم فترجع إليهم أفدتهم وتسكن نفوسهم ولما نزلوا منزلهم هذا اتقل المسلمون عن جمعهم فزأوا بخدائهم وعلى طريقهم وليس لهم طريق إلا عليهم فقال عمرو: «أيها الناس أنشروا حصرت والله الروم وقلبا جاء نخصور بغير ، دفاؤوا برئتهم وعلى مقدمهم صفرا وشهري ربيع من سنة ١٣ لا يقدر من الروم على شيء ولا يخلصون إليهم : الواقصة من ورائهم والخندق من أمامهم وكلما خرجوا خرقة نال المسلمون منهم^(١)

كان المسلمون في مدأ أمرهم (في صفر) عدد مارأوا تلك الجوع الكشيفة استمدوا أبابكر وأعلموه الشأن فقال حين بلغه ذلك : « خالدها . » والله لأسين لروم وساورس الشيطان بخالد بن الوليد^(٢) فبعث إليه واستحثه في السير وكتب إليه الكتاب^(٣) الذي قدمنا (عقيب حجه ورجوعه ، إلى الحيرة ، لأعائه المسلمين بالشام وأن يخلف على العراق المشي في حارثة في نصف الجيش ويسير هو في الصف الثاني^(٤) فادا فتح الله على المسلمين الشام رجع إلى عمله بالعراق . وحين تهيأ للسير استأثر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى المشي إلا أن يكون الأمر على ما كتب أو كرههم يزل به خالداً حتى أرضاه من أهل النجدة

(١) الطبري ج ٤ ص ٣١

(٢) الطبري ج ٤ ص ٤٠ وهذه القولة من أبي بكر شهادة كبرى لها قيمتها

(٣) الطبري ج ٤ ص ٢٦ - ٤٠

(٤) الطبري ج ٤ ص ٤٠ - ٤٢

والقناعة من لم يكن له صفة (١)، ولقد كان إرسال خالد إلى الشام توفيقاً من الله لأبي بكر لأنه كان صاحب اليوم الذي حصلت فيه الصدمة الأولى وتتابعت الفتوح بعده (٢)

سار خالد من الحيرة حتى انتهى إلى قنطرة (٣) ثم إلى القنطرة (٤) ومنها إلى سوى لأنه إن دار مع الطريق المألوفة وضرب حول المقازاة استقل الروم فيضطر لما رزتهم فيحبسه ذلك عن عياث المسلمين (٥) فالتمس الأدلاء فدل على رافع بن عميرة الطائي فقال له في ذلك فقال : إنك لن تطيق ذلك بالخيال والاثقال والله إن الراكب الممرد ليحافها على نفسه وما يسلكها إلا مغرور، إنها لخمس ليال جياذ لا يصاب فيها ماء مع مضلتها فقال له ويحك إبه والله إن لي بد من ذلك إبه قد أتتني من الأمير عزيمة بذلك ثم بأمرك قال : استكثروا من الماء من استطاع منكم أن يصر أذن ناقتة على ماء فيجعل فيها المهادك إلا ما دفع الله أخى عشرين لجزوراً عظاماً سماه مسال فناه بهن فعمد إليهن رافع فطأهن حتى إذا أجهدهن عطشاً أوردهن فسرهن حتى إذا تملأن عمد إليهن فقتلهن ثم كعبهن

(١) الطبري ج ٤ ص ٤٢

(٢) تاريخ الإسلام لاستدنا الشيخ عبد الوهاب النجار ص ٩٥

(٣) فراهيم، للكلب - الطبري ج ٤ ص ٤٤ - وه - باقوت في معجمه : واد للكلب باسماءة من ناحية العراق ج ٧ ص ٤٤ - وسوى ماء لهرام على الجانب الآخر للمقازاة من بين الشام - البصري ج ٤ ص ٤١ - وهان باقوت - سوى بضم أوله والقصر . ماء لهر . من دحة السباوه - ج ٥ ص ١٥٧

(٤) يقال فور الرجل له إذا ركبها المقازاة . قال في المحار المارة واحدة المقاور . من فور فهو بر أي هلك وقف الأصمعي سميت بذلك نظراً إلى السلامة والعوز

(٥) الطبري ج ٤ ص ٤٠

لثلاثا يجتزون ثم أخلى أديارهن ثم قال لخالد سر فسا ر خالد معه مغذا بالحيول
والإتقال فكلما نزل منزلا اقتطأ أربعاً من تلك الشرف فأخذ ما في أكراشها
فسقاه الحيل ثم شرب الناس مما حلوا سحهم من الماء فلما خشي خالد على
أصحابه في آخر يوم من المفازة قال لرافع بن عزيمة وهو أرمذ ويحك
يا رافع ما عندك قال أدركت الرى إن شاء الله فلما دنا من العلين قال للناس
انظروا هل ترون شحيرة من عوسج كقعدة الرجل قالوا ما نراها قال
إن الله وإياه راجعون هلكنم والله إدد وهنكت لأبلكم انظروا
فطلوها فوجدوها قد قطعت. وبقيت منها بقية فلما رآها المسلمون كبروا
ولم يرفع رافع ثم قال احفروا في أصلها فحفروا فاستخرجوا عينا فشربوا
حتى روى الناس فتصلت بعد ذلك لخالد الممازل . وفي ذلك يقول
شاعر المسلمين :

لله عينا رافع أنى أهندي فوز من قراقر إلى سوى
حمسا إذا ما سارها الحبش بكى ما سارها قلبك من إنس يرى^(١)
انتهى خالد إلى سوى فطلع على قوم يشربون الخمر وبين أيديهم
حفة وحرأوص معهم يقول :

ألا عدلنى قل جيش أنى نكر لعل منا يانا قريب وما ندرى
أطر حول المسلمين وخالد سيطر قكم قبل الصباح من البشر
فما هو إلا أن فرغ من قوله حتى دهمهم خالد قبيل نصبح وهم لا يظنون
أن أحدا يأتيهم من هذه المفرة^(٢) في مثل ذلك الوقت وشد رجل على

(١) انظر ج ٤ ص ٤١ ٤٥ الآتى ج ١ ص ١٤٢ . عبور الأحرار ج ١

ص ١٤٢ ١٤٣

(٢) الآتى ج ١ ص ١٤٣

حغنيهم فضرب عنقه فاذا رأسه في الجفنة ونال المسلمون منهم وأصابوا
من أموالهم . ثم أتى أرك^(١) فصالحوه فجازها إلى تدمر^(٢) فتحصن منه
أهلها ثم صالحوه فأتى القرينين^(٣) وقاتل أهلها وظفر بهم وغنم منهم ثم
قصد حوارين^(٤) فقاتل أهلها وهزمهم وسبى منهم ثم أتى قصم^(٥) فصالحه
بنو مشجعة من قضاة ثم سار حتى وصل ثنية العقاب^(٦) ناشراً راية
سوداء كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم تسمى العقاب . ثم أتى
مرج راهط^(٧) فأغار على غسان وهم في فسخهم فقتل منهم وسبى وأرسل
سرية إلى كنيسة بالغوطة فالت منهم ثم سار حتى وصل بصرى^(٨) فقاتل

(١) أرك بفتحين وصم من دريد همرته : مدينة صغيرة في طرف برية حلب قرب
تدمر وهي ذات بعل وريتون . وهي من فتوح خالد بن الوليد في أحياره من العراق
إلى الشام — معجم البلدان ج ١ ص ١٩٥

(٢) تدمر بالفتح ثم السكون وصم الميم مدنه قديمة مشهورة في برية الشام بينها
وبين حلب خمسة أيام — معجم البلدان ج ٢ ص ٣٦٩

(٣) القرينان اسم لقرية كبيرة من أعمال حمص في طريق البرية — معجم البلدان
ج ٧ ص ٧٠

(٤) حوارين بالصم وتشديد الواو وبخلف في الراء فهم من يكسرهما ومنهم
من يفتحها وياء ساكنة ونون . من قرى حلب — معجم البلدان ج ٣ ص ٣٥٨

(٥) موضع بالبادية قرب الشام من نواحي العراق مر به خالد بن الوليد رضي
الله عنه لما سار من العراق إلى الشام فصالحه بنو مشجعة من التميم من النمر — معجم
البلدان ج ٧ ص ١١٣

(٦) ثنية العقاب بالضم . ثنية مشرفة على غوطة دمشق يطؤها انفاصد من دمشق
إلى حمص — معجم البلدان ج ٣ ص ٢٤

(٧) مرج راهط . موضع في الغوطة من دمشق في شرفه — معجم البلدان ج ٤
ص ٢١٧ ، ج ٨ ص ١٦

(٨) بصرى من أعمال دمشق وهي قصة كورة حواران — معجم البلدان ج ٢ ص ٢٠

منها ثم صالحوه فكانت بصرى أول مدينة بالشام فتحت صلحا على
يبن خالد وجد العراق وبعث بالأخماس إلى أبي بكر ثم سار فطلع على
المسلمين في ربيع الآخر وصادف أن جاء باهان مددا لجيوش الروم
ومعه القسيسون والرهبان يذمرون الروم ويحرضونهم على القتال
فاستبشر المسلمون بخالد وفرح الروم بياهاهم

وقبل البدء في حروب الشام يرى أن يحدد مركز خالد من حيث
القيادة العليا لجيوش الشام وهل كان أميرا على أمراء الجيوش جميعا أم كان
أميرا على جنده الدين جاء بهم من العراق فقط مثله مثل غيره من أمراء
الأجناد الذين أرسلوا لفتح الروم.

هل كان خالد قائدا عاما لجنود الشام؟

احتضمت رواية المؤرخين في مركز خالد بالنسبة للقيادة العامة فذكر
الطبري في بعض رواياته أن أبا بكر ولأه القيادة العليا لجيوش الشام
ومن ذلك قوله : فوجه أبو بكر خالد بن الوليد أميرا على الأمراء الذين

٢٠٨ = ولعصر الرواة يذكر خالدًا وحدها أما عبدة وشر حبل ويريد فتحوها معا
ثم ساروا بها إلى قيسية مدد لعمر بن العاص ونحن نخدر أن خالدًا وحده في
جند العرب هو الذي تولى فتحها لما هو مشهور من أن خالدًا هبط على جند المسلمين
بأبير موك وكما نعلم من كتب أبي بكر وغيرها وفي ذلك يقول شاعر جند العراق :

دنا نجمع النصارى فلم ندع	لعسان أنبا فوق تلك المناحر
صدقة صاح الخوارج ومنه	سوى نصر يخدمهم بالوادر
وجئنا إلى بصرى وبصرى مقيمة	فألقينا بالخشيا والمقادر
فصص بها أبوابها ثم قست	بنا عيسى في أبير موك جمع العشائر

بالشام ضمهم إليه ^(١) وقوله في موضع آخر : وكان بالشام ابو عبيدة
وشرحيل ويزيد وعمرو كل رجل منهم على جند وعليهم خالد بن
الوليد ^(٢) ويقول المقدسي : ثم بعثه إلى الشام وأمره على جميع من
بها من المسلمين

على أن الأخذ بهذه الروايات لا يستقيم ويترجح القول الذي يرى
أنه أمير على جند العراق فقط لأمرها :

١ - أن خالداً إنما جاء مدداً للأمراء الشام ومعيّاً لهم لا أميراً عليهم
٢ - ذكر الطبري أنه حينما اجتمع الأمراء وتساعدوا لقتال الروم
كان كل أمير يصلي بجنده اتباعاً لأمر أبي بكر وربما صلى البعض حلف
البعض فلما جاء خالد نزل بإحبة وصلى بجنده على حده ولو كان أميراً
على الأمراء لصلى بهم وبجندهم

٣ - خطابه المشهور للأمراء بأن يتداولوا الإمارة وأن يدعوه
يتأمر عليهم في غده معناه أنه لم يكن أميراً عاماً وإلا فلا معنى لخطابه
ومشورته بتداول الإمارة وطبقة أن يكون أميراً عليهم

٤ - ما قاله البلاذري من أنه لما قدم خالد بن الوليد على المسلمين
بصرى اجتمعوا عليها وأمروا خالداً في حزمها . وهو صريح في أنه لم
يكن رئيساً على الأمراء من قبل أبي بكر ولكن الأمراء هم الذين أمروه
عليهم لعرفاتهم بمقدرته وخبرته بالحروب

(١) الطبري ج ٤ ص ٣٩

(٢) الطبري ج ٤ ص ٥١

موقعة اليرموك^(١)

كان المسلمون يقاتلون الروم وهم على تساند كل أمير يلي قتال من وجه إليه وهي خطة في مثل عدد جيش المسلمين لا تنيلهم من عدوهم نيلا فقد كان كل أمير لا يقرن ممن باذائه وأعد له ، فجموع الروم كانت متكاثفة عظيمة بلغت أربعين ومائتي ألف على مارواه الطرى بينما جموع المسلمين كانت تبلغ ٣٦ ألفا والمكث من المؤرخين يقول إنها ٤٦ ألفا ومهما يكر أمر الاختلاف في عدد الجمع فإن جود المسلمين كانوا في قلة بالنسبة للروم

جاء خالد فوجد أمراء المسلمين يقاتلون الروم على تساند يصل كل أمير بجنده على حدة فعسكر هو أيضا على حدة وصلى بجنده ووجد المسلمين متضايقين والروم نشاط عمد باهان ولما أن جاءهم خالد نازلوهم فنالوا منهم وألجأوهم إلى حنادقهم فلزموا عامة شهر والقسيسون والرهبان يحضونهم ويذمروهم وينعون لهم الصراية حتى أحسوا نحر حوا بعد الشهر في جمادى الآخرة في تعسة لم ير الراؤون مثلها قط ولكن إلى حتوفهم وإلى القتال الذي لم يكن بعده ما يشبهه

(١) اليرموك : واد ساحية الشام في طريق الغور يصب في نهر الأردن ثم يمضي إلى البحيرة المنة معجم البلدان ح ٨ ص ٥٠٥ وهو نهر معقد وهبته الطبيعة أسراراً وألغازاً يسع من مرتفعات حوران ويصب في الأردن جنوبي بحيرة طبرية دأبىال قلته وعلى نحو ثلاثين ميلا من التقائه بالأردن يكون في الطرف الشمالى فتحه على شكل نصف دائرة تحيط بهل مقبض صالح لمعسكر جيش كبير ، وضفاف هذا النهر وعرة مجدرة وعند مصيق هذه الفتحة عتق يكون مدخل هذه الأرض المنسطة التي في الداخل . وهذه القعة تسمى الواقعة ذات الشهرة العظيمة في الوقائع الإسلامية — الأمير على ص ٣٧

أحسن المسلمون بخروجهم فارادوا الخروج متساندين فلم يرق ذلك
 في نظر خالد ورأى أن تلك حطة أجدى على الروم من أمدادهم وأشد
 على المسلمين من عدوهم ؛ إذ كف يقاتلون قوماً مجتمعين على رأى
 وفي نظام وتعبئة وهم على تساد لأن في ذلك من الوهن واختلاف الرأى
 وتجريء قوة لمسلمين تعدد الأمراء ما يضل أمد القتال ولا ينبتهم
 من عدوهم خصوصاً وأنه أدرك ما فيه الروم من نظام ومقدار تحسبهم
 وتحرقهم لقتال المسلمين وأن ما فيه لمسلمون أمر يقتضى الحزم والتدبر
 واجتماع الكلمة والقبض على أزيمة الجيش كله ورتبته ترتيباً معارفاً لما
 ألقه العرب يتكافأ مع الظلم الذي تبيأ لهم فيه عدوهم فقدم فيهم خطيباً
 فحمد الله وأشفي عليه ثم قال : إن هذا يوم من أيام الله لا ينبغي فيه الفجر
 ولا البغي أخلصوا جهادكم وأريدوا الله بعملكم فان هذا يوم له ما بعده
 ولا تقاتلوا قوماً على نظام وتعبئة على تساد وانتشار فان ذلك لا يحل
 ولا ينبغي وإن من وراءكم لو يعلم علمكم حال يديكم وبين هذا فاعملوا فيما
 لم تؤمروا به بالذي ترون أنه الرأى من واليكم ومحتة قالوا هات فما
 الرأى ؟ قال : إن أبا بكر لم يعش إلا وهو يرى أناساً ستناسروا وعلم
 بالذي كان ويكون لقد جمعكم إن الذي أنتم فيه أشد على المسلمين مما غشيتهم
 وأنفع للمشركين من أمدادهم ولقد علمت أن الدنيا قد فرقت بينكم قاله
 الله فقد افرد كل رجل منكم بلد من البلدان لا ينتقصه منه إن دان لأحد
 من أمراء الجند ولا يزيد عليه إن دانوا له . إن تأمير بعضكم لا ينتقصكم
 عند الله ولا عند خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم همدوا فان هؤلاء

قد تهيأوا وهذا يوم له ما بعده إن رددناهم إلى خندقهم اليوم لم نزل نردهم
وإن هزمونا لم نفلح بعدها فهدوا فلتتعاور الامارة فيمكن عليها بعضنا
اليوم والآخر عدا والآخر بعد غد حتى يتأمر حكم ودعوى إليكم اليوم،
فأمروه وهم يرون أنها كخرجاتهم وأن الأمر أطول مما صاروا إليه ^(١)
على خالد الحيش تعنة لم تعنها العرب قبل ذلك : فجعله ٣٨ كردوسا ^(٢)
وقال : إن عدوكم قد كثر وطفئ وليس من التعنة تعنة أكثر في رأى
العين من الكراديس جعل القلب ١٨ كردوسا وعليه أبو عبيدة وفيه
عكرمة بن أنى جهل والققعاق بن عمرو وجعل الميمة ١٠ كراديس وعليها
عمرو بن العاص وفيها شرحبيل بن حسنة ، وجعل الميسرة ١٠ كراديس
وعليها يزيد بن أنى سفيان . وجعل على كل كردوس رجلا ياتمر بأمر
من فوقه رئيس الميمة أو الميسرة أو القلب وكان رؤساء الكراديس
من أهل النخدة والماء أمثال الققعاق بن عمرو وعكرمة بن أنى جهل
وعياص بن غم وهاشم بن عتبة وعبد الرحمن بن سيف الله ^(٣) إلى
أمثالهم ممن عرف بالشجاعة والاقدام

لم يكف هذا النظام الديع حالدا بل جعل للحيش طليعة ^(٤) وعليها
قباث بن أشيم وقاضيا وهو أبو الدرداء وقارثا وهو المقداد (كان يقرأ

(١) الطبرى ج ٤ ص ٢٣

(٢) وقد خص الطبرى في صدقته ٢٣ . ٤٤ من ح ٤ رؤساء هذه الكراديس
تفصيلا واضح والكردوس اصطفاة من الحيش وكان الكردوس يزيد قليلا عن الألف

(٣) وكان عمره بذلك ثمان عشرة سنة الطبرى ج ٤ ص ٢٣

(٤) واسطر إلى حد ما قريب يرى أنه لا يعرف كثيرا عما عليه حال الجيوش في زماننا
إذا تعاصيد عن أنواع الأسلحة التي استحدثت

عليهم سورة الجهاد . الأنفال ، كما كان يفعل لنبي صلى الله عليه وسلم
من بعد بدر عند لقاء العدو) وصاحب أقباض وهو عبد الله بن مسعود
وواعظا وهو أبو سفيان فكان يسير في الجيش ويقف على الكراديس
فيقول : الله الله إنكم زادة العرب وأنصار الاسلام وإيهم زادة الروم
وأنصار الشرك اللهم إن هذا يوم من أيامك اللهم أنزل نصرك على عبادك .
فأنت ترى أن خالدا لما تولى إمرة الجيش لم يدع أمرا يزيد في قوة المسلمين
ويؤقط فيهم الحساس ويذمرهم ويألبهم للقضاء عدوهم كما أنه من الناحية
الأخرى يوقع الرعب في قلوب أعدائه ويحل عرائضهم إلا فكر فيه
وفعله في ذلك اليوم

أمر خالد مجتني القلب أن ينشبا القتال وكان عليهما القعقاع وعكرمه
نخرجا في حماس وأنشبا القتال والقعقاع يرتجز :

يا ليتني ألقاك في الطراد قل اعترام الحاحفل الوراد
وأنت في حلتك الوراد

وعكرمة يجاوبه بقوله :

قد علمت بهيمة الجوارى أنى على مكرمة أحامى ^(١)

التحم الناس وتطارد الفرسان وخرست الألسن وصمت الآذان
الا عن قعقة السيوف وزئير الفرسان . ثم خرج قائد القلب من جيش
الروم وهو « جرحه » حتى كان بين الصفيين ونادى ليخرج إلى خالد
نخرج إليه خالد وأقام أنا عبيدة مكانه فواقعه بين الصفيين حتى اختلفت

(١) الطبرى ح ٤ ص ٣٤ - وكانت هذه الأراجيز تعمل فعب في النفوس وشير
حاسهم وتهيج كامن وجداسهم فكانها الموسيقى في استئثار النفوس وتشجيع القلوب

أعماق دانتهم ما وقد آمن أحدهما صاحبه فقال جرجه : يا خالد أصدقني
ولا تكذبنني فإن الحر لا يكذب ولا تحادعي فإن الكريم لا يحادع
المسترسل بالله هل أنزل الله على نبيكم سيما^(١) من السماء فأعطاكم فلا تسلمه
على قوم الالهزمتهم قال : لا . قال فيم سميت سيف الله قال إن الله عز وجل
بعث فينا نبيه صلى الله عليه وسلم فدعانا ففرنا عنه وبأينا عنه جميعا ثم إن
بعضا صدقه وتابعه وبعضنا باعده وكذبه فكنت فيمن كذبه وباعده
وقال له ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به فتابعناه فقال أنت سيف
من سيوف الله سلمه الله على المشركين ودعالي بالبصر فسميت سيف الله
بذلك وأنا من أشد المسلمين على المشركين قال صدقتني ثم أعاد عليه جرجه
يا خالد أحبرني إلى ما تدعوني قال إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا
عده ورسوله والاقرار بما جاء به من عند الله قال فمن لم يحكم قال فالجزية
ومعهم قل فإن لم يعطها قال يؤذنه بحرب ثم نقاتله قال فما منزلة الذي
يدخل فيكم ويحكم إلى هذا الأمر اليوم قال منزلتنا واحدة فيما افترض
الله علينا شربنا ووضعنا وأولنا وآخرنا ثم أعاد عليه جرجه : هل لمن دخل
فيكم اليوم يا خالد مثل مالكم من الأجر والذخر قال نعم وأفضل قال وكيف
يساويكم وقد سبقتموه قال : إنا دخلنا في هذا الأمر وبايعنا نبينا صلى الله
عليه وسلم وهو حي بين أظهرنا تأتيه أخبار السماء ويخبرنا بالكتب ويرينا

(١) بعض بعض اقوم أشاعوا في بلاد الشام أن حالدا في يده سيف نزل من
السماء يهرم به أعداءه . أعطاه له رسول الله وأحدوا ذلك بما اشتهر به بين المسلمين
أنه سيف الله ويظهر أن ذلك القائد — ويسميه الطبري جرجه بن توذر ولعله جورج
ابن يودور — كان معربا العربيه لأنه كلم حالدا بدون ترجمان . تاريخ الاسلام
لأبى داود الشيباني عند الوهاب الجار ص ٩٩

الآيات وحق لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا ان يسلم وينابغ وإيكم أتم
لم تروا ما رأينا ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والالحاح من دخل
في هذا الأمر مكم بحقيقة وية كان أفضل ما قال حرجه بأنه لقد صدقتي
ولم تحادعي ولم تألهي قال بالله لقد صدقتك وما لي اليك ولا إلى أحد مكم
وحشة وإن الله لولي ما سألت عنه فقال صدقتي وقلب الترس ومال مع
خالد وقال علي الاسلام فقال به خاد إلى فسطاطه فثن عليه قرعة من ماء
ثم صلى ركعتين

ولما مال ذلك القئد مع خالد طر الروم أمها من قائدهم حملة فحملوا
فأزالوا المسلمين عن موافقهم إلا المحامية وعليهم عكرمة والخارث بن هشام
وركب خالد ومعه حرجه - والروم حلال المسلمين - فصدى الناس فثابروا
واثراحت الروم إلى موافقهم وحرب المسلمون وظهرت العرب ثم من أهل
الهمزم وزحف بهم خالد حتى نصافوا بالسوف فصرب فيهم خالد وحرجه
من لدن ارتفاع النهار إلى جنوح الشمس للعروب ثم أصيب حرجه
ولم يصل صلاة سجد فيها إلا الركعتين التين سلم عليهما وصلى الناس
الأولى والعصر إيماء (١) وتضعض الروم ومهد خالد ناقب حتى كان
بين حيلهم ورجلهم وكان مقاتلهم واسع المطارد ضيق المهرب فيما وحدث
خيلهم مدهبا ذهبت تشتد بهم في الصحراء وأفرج هذا المسلمون وما يجر حوها
فذهبت ونهرقت في البلاد وتركوا رحلهم في مصفهم ففد خالدوا المسلمون
على الرجل فمضوهم فكأنما هدم بهم حائط ففتحوا في حديقهم وفتحهم

(١) ثم أحر الناس الصلاة حتى صلوا بعد الصبح الطلبي - ٤ ص ٢٥

عليهم فعمدوا إلى الواقصة فهووا فيها. وقد تنهات فيها على ما ذكره الطبري.

١٢٠ ألقا سوي من قتل في المعركة وقد استمر القتال الهار كله ومعظم

الليل ولم يطلع الصبح الا وخالدا في رواق رئيس جند الروم.

وكانت هذه الموقعة أول فجع أتى عمر بعد وفاة أبي بكر بعشرين ليلة^(١)

عظم على قواد الروم ورؤسائهم أن يروا هزيمتهم بأعيانهم فمضوا

أن يريحو أنفسهم من عار الهزيمة والدل فتحللوا برأسهم ينتظرون الموت

وقالوا لا تحب أن نرى يوم السوء اذ لم نستطع أن نرى يوم السرور

واذ لم نستطع أن نجمع النصرانية فأصيبوا في تذلهم^(٢)

كان لكثير من شجعان المسلمين وفرسانهم أثر يذكرون في تحمس

المسلمين وإقدامهم وصبرهم وشانهم : وهذا عكرمة كان يقول : قالت

رسول الله في كل موضع وأمر اليوم أشم ينادي : من يبيع على الموت :

فديعه الحارث بن هشام وصرر بن الأروار في أربعائة من حوذه المسلمين

وهم سبهم فقتلوا ثم فسطط خالد حتى أشتوا جميعا حراحا وقتلوا

إلا من رأى^(٣) وأتى خالد بعد ما أصبحوا بعكرمة جريحاً فوضع رأسه

على شجرة. وولده : عمرو بن عكرمة فوضع رأسه على ساقه وجعل

تمسح عن وجهه ما ويقطر في حلوقهم الماء ويقول كلار عم ابن الحنتمه

(١) ومع أبي فاحت في من عمر فقد ذكرها ص من فوح خالد في رمن أي بكر

لأب تيات في عهد

(٢) وهذه العدة لم تزل إلى اليوم في بعض لفائل العرب إذا هم الحش عمر

لرؤسائه إلى السمل واسطروا الموت ليربحوا أنفسهم من عار الهزيمة . تاريخ الخلفاء

للأسد . الشيخ عبد الوهاب البحار

(٣) الطبري ج ٤ ص ٣٦

أنا لاستشهد^(١)

وكما كان للشجعان والمرسان نصيب يذكر في هذا اليوم كان أيضا للنساء نصيب غير مندور : فكن يقمن بسقى الماء ومداواة الجرحى واستهاض الهمم وإثارة الخماس في قلوب الرجال بل وقاتنن في حولة قادين ما عليهن وفعلن ما في مكنتهن^(٢)

استشهد من المسلمين في هذه الموقعة نحو ثلاثة آلاف بينهم كثير من أهل الحدة والغناء وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد شهد اليرموك منهم ألف بينهم نحو مائة ممن شهد ندرا^(٣)

في أثناء الموقعة جاء اليريد يحمل وفاة أي بكر وعزل خالد عن الإمارة وتولية أبي عبيدة وحين رأى الناس رسول عمر سألوه عما وراءه فأحبرهم بالسلامة والامداد وأسر إلى خالد بالحر وبقاؤه للحناء فحمد له رأيه واستحسسه وأخذ الكتاب منه فوضعه في كسائه ولم يدعه والناس فيهمهم فيه لثلاثين قبة حتى إذا ما انتهت الموقعة سلم الكتاب لأبي عبيدة وسلم عليه الإمارة.

انتهى حشر الهزيمة إلى هرقل وهو دون حصص فارتحل عنها وحملها بينه وبين المسلمين وأمر عليها أميرا وحمله فيها كما كان أمر على دمشق وودع سوريا الوداع الأخير بقوله : سلام عليك يا سوريا سلاما لا لقاء

(١) يريد من خمسة عشر خط

(٢) الطبري ج ٤ ص ٣٦

(٣) الطبري ج ٤ ص ٣٤ . ان لا يدر ج ٢ ص ٢٨١

بعده وقد أكثر الشعراء القول في هذه الموقعة . فمن ذلك قول القعقاع
ابن عمرو :

ألم ترنا على اليرموك فزنا كما فزنا بأيام العراق
قتلنا الروم حتى ما تساوى على اليرموك مفروق الوراق
فضضنا جمعهم لما استحالوا على الواقصة البتر الرقاق
غداة تهافتوا فيها فصاروا إلى أمر تعصل بالدواق^(١)

كانت هذه الموقعة من المواقع الفاصلة في تاريخ الشرق وبشارة أدق
بين المسلمين والروم فقد نلص سلطان الفياصرة عن رقعة فسيحة وظهر
سلطان الاسلام وتابعت بعدها فتوح المسلمين في بلاد بني الأصغر
إن ما حصل في تلك الموقعة يصلح تطبيقا عمليا على فنون القتال وقيادة
الجيش وهو درس حليل لمن يريد أن يمهر في فن التعبئة وملاقاة الأعداء :
ذلك إن حالدا جاء إلى الشام والمسلمون يقاتلون عدوهم على تساند في
حين أنه يرجع إلى رأى واحد وهو فوق ذلك لديه من العدد والعدد
أضعاف ما عند المسلمين وفي نظام وتعبئة لا قبل للجوش المسلمين بها
ماداموا على حالهم من التسدد وها ظهرت تلك المواهب وذلك الاستعداد
الطرى للحروب يساعده تلك المهارة والخبرة الحربية التي استفادها
حالد من بيئته وطول ممارسته لملاقاة الأعداء فإدى في المسلمين وخطهم
وبين لهم خطأ قتالهم على تساند وأن حال المسلمين في مثل موقفهم لا يصلحها
لا توحيد القيادة ورجع الأمر لرئيس واحد يصدر الجيش كله عن رأيه
وكان ما أراد وأمر على رأيه فواد المسلمين فقسلم إمرة الجيش وعاه تعبته

حالية لاعهد للعرب بها فكان صاحب اليوم المشهود
ولقد عرف الضابط العظيم المرحوم سليم بك الجزائري^(١) (مدرس
في السوقيات في مدرسة أركان الحرب في الاستانة بعد سنة ١٩٠٨)
لخالده فضلته في الحروب وخبرته بأساليبها فكان دائماً يقرر القاعدة في
من تعسفة الجيوش ويصرب لذلك المثل بفعل خالد بن الوليد في إحدى
وقائعه ثم بغيره من قواد أوروبا ذوي المهارة الحربية

وما أشبه حال المسلمين في تساددهم بحال جيوش الحلفاء في الحرب
العظمى كل دولة لها قائدها يصدر أمره لجنده تبعاً لرأيه فلما عصتهم الحرب
ونال منهم الألمان ابتدأوا يصكرون في إنقاد موقفهم وأحيراً تأسوا
بخالده ووجدوا قيادتهم وسوا أنفسهم في سبيل عايتهم فكان النصر
في جانبهم

على أن هناك فرق بين الحالتين بخالد اصطاع هذا الأمر وحده والحلفاء
لم يستطيعوا ذلك إلا بعد أن عقدوا المجالس العسكرية واجتمع رجال
حربهم مرات عدة ودامت المفاوضة بينهم في ذلك أكثر من ستين^(٢)
وخالد لم يترقب في مدرسة للحرية والحلفاء تخرج رجالهم من أرفى مدارس
الحرية في العالم وخالد رأى هذا الرأي منذ ثلاثة عشر قرناً مضت
والحلفاء عرفوا ذلك بعد مضي هذا الوقت الطويل ولولا أن الحلفاء

(١) سليم بك الجزائري ضابط عظيم من أبناء ملاحري الجزائر الذين برلوا باسم
مع الأمير عبد القادر الجزائري المحمد الشهير وقد تعين مدرساً لهن سوقيات بمدرسة
أركان حرب الدولة العثمانية وكان من صحباء حملت ذلك الصراح المشهور في أيام
الحرب العظمى . أم عن أسرار الشجع عبد الوهاب النجار

(٢) صحيفة الجهاد العدد ١٤٦

كأوا محتلفي الأغراض والغايات وخالد والمسلمون من أمة واحدة
وغايتهم واحدة لقنا إن المستوى الفكري الحربي لخالد والمسلمين - ولو
في هذه الموقعة على الأقل - أرقى وأسبق للمستوى الفكري الحربي للحلفاء
نظر رحل يومئذ إلى الروم فقال ما أكثر الروم وأقل المسلمين فقال
خالد: ما أقل الروم وأكثر المسلمين إنما تكثر الجنود بالصبر وتقل
بالخذلان لا بعدد الرجال والله لو ددت أن الأشقر براء من توجيه وأنهم
أضعفوا في العدد،^(١)

ولعمري إن الإنسان ليحار في وصف هذه النفس الكبيرة وثقتها
بأنصر حتى في أشد الأهوال وأحرج المواقف. ما هذا اليقين وما هذه
القوة النفسية؟ قائد يرى أنه لا قرن لعدوه في عدده ويصير نظامه وبديع
رتبه وتعبئه ثم يستهين به إلى هذا الحد ويقول: إنما تكثر الجنود
بأنصر اللهم إن هذا نور الإيمان وهدى الاسلام يهدي به الله من اتبع
رصواه سبل السلام

لم يتشأ خالد وقد حرج إليه قائد من فواد الروم يسأله عن سبب تسميه
سيف الله أن يعمي عليه الأمر أو يحدعه ويكذب عليه - وكان في مكنته
ذلك - أنت نفسه إلا أن بصارحه ويعلمه بالواقع ولم يقه أن يحجب إليه
للاسلام ويدعوه إليه - رغم ما هو فيه من شدة - فكان ذلك سببا
في إسلام الرحل وهدايته وهكذا يصرب لنا خالد مثلاً أعلى من أمثلة
انصراحة والحق والبدعوة إلى الدين

(١) الأشقر اسم فرسه وكان قد حرق في مسيره وتقويره من قراقرم إلى سوي - راجع

وإذا أردت أكثر من هذا فاستمع إلى درس الضحية والجهاد في الوقت الذي ينتظر الدس له فيه أعظم المشوكة والجزاء وأسمى مراتب التقدير والرضى فاجأه أمر الخليفة بالعزل — والمركة في أشدها — فما غضب ولا حقد ولكه بقى على ووهته من البجدة والاقدام والجد في الجهاد والبأس في مناصلة العدو ولم تصعب حميته ولم تحمد حذوة إحلاصه لديه بل ظل « جندياً في نفس قائد ، وفائد في صورة حدى » يقود الجيش ويمد به برأيه وتديره ويصنع الأفعال حيب في قتال الروم وهو يعلم أنه معزول ونتيجة الحرب قد أُلقيت على عائق سواء حتى هزم عدوه وطهر به لو كان هذا العزل لقائد من قواد زماننا لخبثت نفسه وفسدت سريره وعمل على أن يحدل من يحلظه وربما نرخص الدوائر بتلك الأمة التي لم تعرف له حقه

تلك نفس لا تعد في الصفوف المألوفة من نفوس البشر تلك هي نفس خالد بن الوليد الذي لم يكن في يوم من الأيام إلا فائداً يعزله عمر بن الخطاب ويصيح جندياً محرداً من صفوة الرياسة والامارة فما وى ولا وهى ولا حان ولا ضعف ولم يلفت لحنه لأبى بكر ولا لبعضه لعمر ولكنه التفت لديه وإمامه فقال : الحمد لله الذي قضى على أبى بكر الموت وكان أحب إلى من عمر والحمد لله الذي ولى عمر وكان أبعض إلى من أبى بكر ثم الرمنى حه (١)

والدين يذكر ونما صنع مسترء تشرشل حين عزل من وزارة البحرية أيام الحرب الكبرى وأنه ذهب إلى ميدان القتال جندياً فرداً يعرفون

اليوم أنه إنما كان يتمثل بخالد وأن هذه العظمة الخلفية التي تظهر في
أفراد الأمة العظيمة كانت للإسلام قبل الانجيز بأربعة عشر قرناً، وهي
هي سه نحاح أولئك ونحاح هؤلاء، ونحاح من يوهبها من الأمم^(١)
الهم إن نفساً تحمل هذا الإحلاص لدينها وتبقى على ما عرفتها
من بأس وقوة لدى النفس المؤمنة التي تطب رصوان الله وكفى وسواء
عليها أن تحاهد في الله تحت لواء غير لوئها أو تعزو ولها السلطان، تلك
هي النفس المطمئنة الراضية المرضية التي تقول الله فيها، فادخل في عبادي
وادخلني حتى.

وبانتها، هذه الموقعة تنهى الأعمال الجليلة والفتوحات العظيمة التي
تمت في عهد أبي بكر رضي الله عنه على يد خالد وكان في جميعها موقفاً
مسدداً، وضع ثقة الحبيبة، ومعتنح عصره، بدأ يتبدى بتولية عمر وعزل
خالد عن الإمارة ويظهر فيه خالد مظهر الحدي الكريم الذي وهب
نفسه وحنانه لدينه وأمنه

(١) أفضحية صحبه الأهرام بعد ٦٦٨٠ - مقادير إقصيه لأسد اشع
محمد سبيل القاصي، محكمة بعد اشعة

الباب الرابع

أعمال خالد وفتوحه

زمن عمر رضي الله عنه

- (١) فتح دمشق (٢) حذر (٣) مرج اردن
(٤) حمص (٥) الحاضر (٦) قيسري (٧) الخلاف
عنه وبين عمر و... (٨) الساحة الجديدة له
(٩) ساحة وحوالي (١٠) له (١١) و...

دمشق (١)

انتهت موقعة اليرموك بهزيمة الروم وتهاقهم في الواقصة وعزل خالد وتامير أي عبيدة . وحين انتهى أبو عبيدة من أمر اليرموك فقسم الأنفال وبعث بالأخماس والوفود إلى المدينة استخلاف على اليرموك بشير بن كعب الحميري حتى لا يعتال بردة ولا تقطع الروم (٢) عليه موارده وسار حتى نزل بالصفرو وهو يريد اتاع القالة فأناه الخبر بأنهم اجتمعوا بفحل وأن مدداً من حمص أتى أهل دمشق فكتب إلى عمر يستطلع رأيه في البداة بأي الناحيتين : فحل أو دمشق . وأقام بالصفرو

(١) دمشق بكسر أوله وفتح ثامه هكذا رواه الجمهور والكسر لغة فيه وشين معجمة وآخره قاف اييد المشهورة قصة الشام - معجم البلدان ج ٤ ص ٧٢

(٢) الطبري ج ٤ ص ٥٦

ينتظر رأى عمر فأما جوابه بقول فيه : « أما بعد فابدأوا بدمشق فاهدوا
لها فانها حصص الشام ويبت تملكتم واشغلوا عنكم أهل لخل بخيل تكون
بازاتهم في محورهم .. »

صدع أبو عبيدة بالامر وأرسل الى لخل عشرة قواد عليهم حمارة
ابن مخش وبعث ذالك الكلاع حتى كان بين دمشق وحصص ردها كذلك
سرح عاتمة بن حكيم ومسروقا حتى كان بين دمشق وفلسطين وبذلك
أمر أبو عبيدة من وصول المدد الى دمشق فسار بمن معه حتى حاصروا
دمشق وبرزوا على أبوابها : فبرز عمرو بن العاص باب « الفراديس »
ونزل شر حبل باب « نوما » وقبس بن هيرة باب « المريج » وأبو عبيدة
باب « الجاية » ونزل حاد بالباب الشرقي وشد المسلمون الحصار عليها
واستمروا على ذلك نحو امر سبعين ليلة وهم يحاولون فتحها بالزحف
والترامي والمجانيق وأهدوا مدعصون بها يرحون العياث ويأملون في
محنة هرقل فلد ينسوا من العياث وأيقنوا أن الامداد لا تصل اليهم سقط
في أيديهم وأبلسوا في أمرهم وزاد في وههم أنهم كانوا يظنون قفول المسلمين
إذا برل الرد ولكن خاب ظهم وانقطع رجاؤهم

كان حاد لا ينام ولا يقيم ولا يبيت إلا على تعبته ولا يخفى عليه من
أمر عدوه شيء عيوبه داكية وهو معنى بما يليه فلعنه أنه ولد لبطريقهم
مولود وأنه صنع طعاما ودعى القوم يأكلون ويشربون وهم عافون عن
مواقمهم وكان قد اتخذ أوهاقا وأحبالا كهية السلايم فلما أمسى ذلك
اليوم اتهم هذه الفرصة ومنهض فيمن معه من جنده الذين قدم بهم من
العراق وتقدمهم هو والضعاق بن عمرو ومذعور بن عدي في أمثالهم

وقالوا : إذا سمعتم تكديرا على السور فارقوا إليه واسهّدوا للباب فلما انتهى إلى الباب الذي يليه فيمن معه من أصحابه رموا بالحبال الشرف - وكان على ظهورهم القرب التي قطعوا بها الخندق - فما أن ثنت لهم وهقان حتى تسلق فيهما القعقاع ومدعور ولم يدع أحولة إلا أثساها - وكان المكان الذي اقتحموا منه أحصص مكان يحيط بدمشق أكثره ماء وأشده مدخلا - وتوافقوا لذلك حتى إذا استولوا على السور حذر خالد عامة أصحابه وانحدر معهم وخفف من يحصى المرتقى لمن يرتقى وأمرهم بالتكبير فكبر الذين على رأس السور فهد المسدون ومدل إلى الحال بشر كثير فوثبوا فيها وانتهى خالد إلى أول من يليه فقتلهم وانحدر إلى الباب فقتل البوابين وثار أهل المدينة وفزع الناس فأحدوا مواقعهم ولا يدرسون ما الشأن وتشاعل أهل كل ناحية بمن يابهم وقطع خالد ومن معه أغلاق الباب بالسيوف وفتحوا للمسلمين وأعملوا السيف في المقاتلة حتى لم يبق مما يلي باب خالد مقاتل والنحا من أقات إلى أهل الأبواب التي تلي غيره كان المسدون قد دعوا أهل دمشق إلى المتساطرة فابوا وأعدوا فدا استحر فيهم سيف خالد عرضوا ما رفضوا وندأوا الصلح فأجابهم المسلمون وقبلوا منهم وفتح الروم الأبواب للمسلمين وقالوا لهم : ادخلوا وامنعونا من أهل ذلك الباب فدخل أهل كل باب بصلح مما يابهم ودخل خالد مما يليه عنوة فالتقى خالد والقواد في وسطها هذا استعراصا وانتهايا وهذا صلحا وتسكينا فأجروا ناحية خالد مجرى الصلح فصار صلحا . وكان صلحهم على المقاسمة الدينار والعقار وعلى كل رأس دينار واقسم المسدون أسلامهم فكان أصحاب خالد فيها كأصحاب بقية القواد

وجعلوا على كل حريب أرض حريبا إلا ما كان للبلوك ومن صوب
إليهم فوقف فياً^(١)

غزوة فحل^(٢)

انتهى المسلمون من أمر دمشق وتبعاً لرأى الخليفة وما يوجب الحزم
قصدوا فحل إذ من الخرق أن يتجهوا إلى حمص أو غيرها من بلاد الروم
وراءهم تلك القوة العظيمة التي قال عنها المؤرخون : إنها ثمانون ألفاً^(٣)
خصوصاً وأن من فحل جنة الروم وإليهم ينظرون وأن الشام بعدهم سلم
حلف أبو عبيدة يزيد بن أبي سفيان على دمشق وسار يريد فحل وأمير
الناس شرحبيل بن حسنة - إذ هو صاحب السلطان في تلك المنطقة من
قل أي بكر - وهو ممن سبقت له حروب تحت إمرة خالد وقد خبره
وعرف له مقدرته الحربية ولذا فإذ نراه قد جعله على مقدمته^(٤) حين
قصدوا فحل وهذا من غير شك تكريم لخالد - وهو رئيسه القديم
وأستاده في الحروب - وعرفان لفضله عليه

كان الروم قد بثقوا عليهم المياه حينما وجه أبو عبيدة القواد إليهم

(١) انظر ج ٤ ص ٥٨ - وهذه الموقعة بعد من ضمن المواقع التي يتجلى فيها
سوع خالد وقوته في الحروب وحدثها

(٢) تكسر أوله وسكون ثابته وأحرد لام اسم موضع بالشام وكان
يوم فحل يسمى أيضاً يوم نسان - معجم النسان ج ٦ ص ٣٤٠

(٣) انظر ج ٤ ص ٥٩

(٤) وجعل أبا عبيدة وعمرأ على محسبه وعبي الخيل ضرار بن الأزور وعلى
الرجل عياص

وهم في مرج الصفر فأردغت الأرض ثم وحلت واغتم المسلمون لذلك
 في بادئ الأمر ولكن تبين أن ذلك في مصلحتهم إذ قد حسوا عن
 المسلمين بها ثمانين ألف فارس^(١) وعلى نفسها حنت براقش وبعد
 حصار دام طويلاً ظنوا بالمسلمين غرة فهاجموا عليهم واقتتلوا أشد قتال
 ليلتهم ويومهم إلى الليل فلما جن الليل عليهم حاروا وانهزموا وهم حيارى
 وضلوا الطريق وأسديتهم هزيمتهم وحيرتهم إلى الوحل وركبهم المسلمون
 فلم يفلت منهم إلا الشريد. وانصرف أبو عبيدة بخالد يريد حمص

وقعة مرج الروم وأثر خالد فيها

لما وصل إلى هرقل خبر هزيمة جنده في دمشق والأردن وأن نية المسلمين
 اتجهت لقصد حمص أرسل إلى المسلمين جيشاً تحت قيادة توذر الطريق
 وأردفه بآخر مثله وعليه شنس الرومي مدراً له وورداً لأهل حمص
 التقى المسلمون بالجيش في مرج الروم غربي دمشق فكان أبو عبيدة
 بأزاء شنس وخالد بأزاء توذراً وأصبح المسلمون أمامهم شنس والأرض
 خلوا من توذر^(٢)

أتى خالد الخبر بأن توذراً فيمن معه قد سار نحو دمشق فأجمع رأيهم
 وراى أبو عبيدة على أن يتبعه فاقتفى أثره وقد ظن ذلك العرب أنه سوف لا يلقى
 إلا حامية دمشق وأنه سيقص للروم ويكيد للمسلمين ويضع يده على

(١) الطبري ج ٤ ص ٥٧ - فكان أهل غر أول محصور، لشام ثم من بعدهم

أهل دمشق

(٢) يظهر أن تلك مكيدة دبرت بين قائد الروم لليل من المسلمين

دمشق ولم يدر أن خالداً من ورائه وفي أثره وأنه يتحرق لملاقاته فما إن
 نشبت المعركة بينه وبين يزيد بن أبي سفيان - الذي خرج لملاقاته حين
 بلغه مسيره إليه - حتى لحقه خالد وطلع عليهم من خلفهم فأخذتهم
 رماح يريد من أمامهم وسيوف حالد من خلفهم فلم يفلت منهم إلا الشريد
 وقتل خالد توذراً وفي ذلك يقول:

نحن قتلنا توذراً وشوذراً وقبله ما قد قتلنا حيدراً

نحن أزرنا الفيضة الأليداً

وقسم في هذه الموقعة بين أصحاب خالد ويزيد وانصرف خالد
 راجعاً إلى أبي عبيدة وكانت هذه الموقعة في السنة الخامسة عشرة
 للهجرة (١)

حص (٢)

بلغ هرقل ما صنع المسلمون بجده فصار عن حص وأمر عامله عليها
 بالتحصن وأن لا ينازل المسلمين إلا في كل يوم بارد رجاء أن يهلكهم البرد
 | قصد أبو عبيدة حص عن طريق بعلبك وقدم إليها السمط بن الأسود
 الكندي وأرسل خالداً إلى القاع فصار إليها خالد وافتتحها وسار أبو عبيدة
 حتى نزل على حص وجاء بعده خالد فنزل عليها - بعد أن فتح البقاع -

(١) راجع الطبري ج ٤ ص ١٥٣

(٢) بالكسر ثم بالسكون والصاد مهملة بلد مشهور قديم كبير مسود . . . وهي بين
 دمشق وحلب في نصف الطريق . . . وبها دار خالد بن الوليد وقبره وقبر زوجته
 وقبر أمه عبد الرحمن وعبد قبر خالد قبر عناصر من عم - معجم البلدان ج ٣ ص ٣٤٠

وحاصرها المسلمون وشددوا عليها الحصار فلما ذهب الشتاء وانقطع الرجاء طلبوا الصلح فصالحهم المسلمون

الحاضر

بعد أن فتحت حمص أرسل أبو عبيدة خالد إلى قنسرين فلما نزل الحاضر التقى بجيش للروم عليه مياس - وهو أعظمهم عدو هرقل - فقاتلهم قتالا شديدا وقتل مياس وتساقط الروم عليه حتى هلكوا عن آخرهم أرسل أهل الحاضر إلى خالد يعتدرون إليه بأنهم حشروا كرها ولم يكن من رأيهم حربه فقبل منهم وتركهم

قنسرين^(١)

لما انتهى خالد من الحاضر سار حتى نزل على قنسرين فتحصن أهلها منه فقال لهم: «لو كنتم في السحاب لحملنا الله إليكم أو لآنزلكم إلينا^(٢)» فظفروا في أمرهم وذكروا ما لقي أهل حمص وغيرها من اللدان فطلبوا الصلح على مثل صلح حمص فأبى إلا على خراب المدينة وكان ما أراد فأخربها كان هرقل قد ترك حمص إلى الرها فلما أباد خالد الروم بالحاضر وأخرب قنسرين ينس من بقاء الشام في يده فودع سوريا وداع الحزين بقوله: «عليك السلام يا سورية سلاماً لا اجتماع بعده ولا يعود إليك رومي أبداً»

(١) نكسر أوله وفتح ثابيه وتشديده وقد كسره قوم ثم سين مهملة... وهو كورة

بالشام منها حلب بينهما مرحلة من جهة حمص - معجم اللدان ج ٧ ص ١٦٩

(٢) ثقة هائلة نصر الله وهي تكشف لنا عن نفس خالد العفوية

وكانت وقعة خالد بالروم في الحاضر وقسرين مدعاة لأن يغير عمر رأيه فيه ويرضى عنه . قال الطبرى: قلما كان من أمره وأمر قنسرين ما كان يرجع عن رأيه ^(١) وقال فيه قوله المشهورة: « أمر خالد نفسه يرحم إله أبابكر هو كان أعلم بالرجال مني » وهذا رجوع صريح من عمر عن رأيه في خالد وشهادة تعتبر بحق أكبر مدح له لصدورها من عمر

مرعش ^(٢)

بعد أن فتحت قنسرين سار خالد إلى مرعش ففتحها وأجلى أهلها وأخربها وفتح حصن الحدث ^(٣)

الآن وقد انتهى من فتوح خالد وأعماله لا يفوتنا أن نعرض بكلمة عما يردده بعض المعرصين الذين في أعينهم قذى ووراء على قلوبهم كراهة الاسلام وأهله من أن انتصار خالد على دولتي الفرس والروم واقتطاعه جانباً كبيراً من أرضيهما في ذلك الوقت الوجيز لم يكن لثقة المسلمين بأحدى الحسينين ولا بتأييد الله لهم لاظهار دينه ولا لكفاية قوادهم ودربة جنودهم وتآلف قلوبهم وإما كان لأمر عارض تصادف وجوده والعرب في بدء نهضتها ذلك هو ما كانت فيه الدولتان من اختلاف واضطراب في الداخل . وهو كلام يبدو صحيحاً لكن لمن ينظر في بعض من حقائق التاريخ ويأبى إلا أن يغمض عينه عن بعض : لا نأرا أننا كلنا الدولتين

(١) الطبرى ج ٤ ص ١٥٥ . ابن الأثير ج ٢ ص ٣٤٤

(٢) مرعش بالفتح ثم السكون والهمزة مهملة مفتوحة وشين معجمة مدنية في الثغور بين الشام وبلاد الروم . معجم البلدان ج ٨ ص ٢٥

(٣) تاريخ أنى القداء ج ١ ص ١٦٠

تحشد لجوع المسلمين حيوشاً جرارة متصله المدد وهما فوق ذلك لها عهد
تسيير الجيوش وتعتتها ولقد رأينا في بعض المواقع أنهم لما يأسوا بالعرب
ولم يشكوا في القضاء عليهم وكانوا يعتقدون أن العرب إذا ما دارت رحى
الحرب انكسروا راجعين إلى باديتهم ليتواروا فيها

هذه هي الحقيقة التاريخية التي لا مربة فيها وحسب الباطر أن ينظر
إلى موقعة اليرموك والأعداد التي حشدها الروم لملاقاة المسلمين والنخبة
التي خرجوا فيها والتي لم ير الراؤون مثاها قط فانه لا يحدجه شك في صحتها
ولكن بعض المرصى كراهة المسلمين الدين يعز عليهم أن يكون فيهم
أمثال خالد بن ولید وابدأ من الاعتراف بعلية لمسلمين وانتصاراتهم المتوالية
وزلزلة الدولتين على أيديهم في ذلك الوقت الوجيز ذهبوا يتلصسون
المعاذير ويترددون نكثوس الباطل وهي معاذير كما ترى أو هي من باطلهم
ولا بد للحق أن يعلو ولو كره المبطلون

هذا ولا يهوتنا أن نقول إن هذه الوقائع التي حصلت بين المسلمين
والروم في بلاد الشام قد اتفق المؤرخون على حدوثها ولكمهم اختلفوا
في ترتيبها وأزمان حدوثها

ترتيب الوقائع وأزمان حدوثها^(١)

وسنذكر فيما يلي رواية بعض المؤرخين في ترتيبها وما احتراه نحن
لمع بيان وجه الاختيار :

✓ ذكر البلاذري^(٢) أن خالداً اجتمع مع المسلمين في بصرى وأسلم

(١) هذا الفصل وإن كان أنسب وله منتهى في تاريخ الفتح إلا أنه قد رأينا أن
القائمة من اثنتي عشرة جزء في تاريخ خالد

(٢) ص ١١٩ وما بعدها

أمروه في حرها ثم ذكر موقعة أجنادين وأنها كانت في جمادى الأولى
أو جمادى الآخرة من سنة ١٣ وأن من قتل بها عكرمة بن أبي جهل وهار
ابن سفيان وسليمان هشام وعمرو بن سعيد بن العاصي وأخيه أبان وجندب
ابن عمرو والدوسي الخ ثم ذكر بعدها موقعة سماها الياقوصة انتصر فيها المسلمون
وأثام في هذه الموقعة نعى أبي بكر وبعدها كانت فحل ٢٨ القعدة سنة ١٣
ثم مرج الصفر ١٤ محرم سنة ١٤ وأن دمشق كانت في رجب سنة ١٤
ثم بعدها حمص وأن اليرموك كانت في رجب سنة ١٥

واليعقوبي^(١) يقول وأماهم يعني حالدا فافتحوا بصرى وفحل
وأجنادين من فلسطين . وكانت أجنادين يوم السبت لليلتين بقيتا
من جمادى الأولى سنة ١٣ . ثم مرج الصفر ثم دمشق في رجب سنة ١٤
ثم فحل ثم حمص ونراجم أبو عبيدة فسكر المسلمين على اليرموك لما بلغه
ما جمع هرقم وكانت موقعة اليرموك سنة ١٥ وبعدها رجع أبو عبيدة إلى حمص
ورثها الضري فيما عدا روثه عن ابن اسحاق على الوجه الذي ذكرنا .
وسندي ملاحظتنا على هذا الترتيب مبين وجه اختيارنا للطريق
الذي سدكاه

١ - ذكر البلاذري موقعة فحل قبل دمشق وهذا يتنافى مع كتاب
عمر لدى نمر فيه أنا عبيدة بأن يبدأ دمشق لأن فيها قوة الروم « وقد
تقدم نصر الكتاب »

واليعقوبي اضطرب فذكرها مرة قبل أجنادين ومرة بعد دمشق
يوم بر من موافق اليعقوبي على هذا الرأي

والطبرى ذكرها بعد دمشق وهو يوافق رأى اليعقوبى فى أحد موضوعيه
كما يوافق كتاب عمر لابى عبيدة وهو الأوفق من الوجهة الحرية لأن
فى ذلك قصد القوة الكبرى للعدو^(١)

٢ ذكر البلاذرى موقعتين سمى إحداهما الياقوصة وقال إنها التى
جاء المسلمون فيها نعى أبى بكر وسمى الثانية اليرموك وقد رجعتا لمعجم البلدان
وكتب التاريخ التى بين أيدينا فلم يجد فرقا بينهما فالياقوصة ضفة اليرموك
ولم نر من المؤرخين من ذكر أن هذا المكان قد حصل فيه موقعتان .
على أننا قد رأينا كلاما لبعض المؤرخين المحدثين يضمن أن اليرموك
يطلق على مكانين فإن صح ذلك فلا مانع من أن يكون هناك موقعتان
فى كل مكان موقعة ولكنه كلام يعوزه الاثبات

٣ - ذكر البلاذرى واليعقوبى والطبرى فى روايته عن ابن اسحاق
وقعة احنادين قل دمشق وأنها كانت فى جمادى الأولى أو الآخرة
سنة ١٣ وأن اليرموك كانت سنة ١٥

والطبرى فيما عدا روايته السابقة قد عكس وذكر اليرموك سنة ١٣
واحنادين سنة ١٥ ، وقل الحكم برجحان إحدى الروايتين نقرر :

١ إن القتل الدين ذكرهم البلاذرى فى اجنادين هم عيهم الدين
ذكرهم الطبرى فى اليرموك وأن السب الحامل لاجتماع المسلمين باليرموك
على رأى البلاذرى واليعقوبى هو نعيه الحامل على اجتماعهم فى احنادين
على رأى الطبرى

(١) وكذلك فعل الألمان فى الحرب العظمى إذ وجهوا قواتهم الرئيسية إلى الميدان
الغربي ووضعوا فى الميدان اشرقي قوه بسيطة تقف فقط فى وجه العدو

ب إن المؤرخين اتفقوا على حدوث هاتين الموقعتين إحداهما قبل فتح دمشق والأخرى بعدها

ج إن اليرموك واجنادين مكابن مختلفين: فاليرموك واد ساحية الشام في طرف الغور يصب في نهر الأردن ، واجنادين من الرملة من كورة جبرين

ويمكن التحيص الخلاف بين المؤرخين في أي الواقعة كانت قبل دمشق وبحر ميل إلى أن اليرموك كانت قبل دمشق وإن احداث بعدها وذلك :

١ - لأن كتاب أبي بكر الخالد الذي يأمره فيه بالمسير إلى الشام لاغاية المسلمين صريح في ذلك ، أن سرحتي تأتي جموع المسلمين باليرموك »

٢ - صرح بذلك ياقوت في معجمه ج ٨ ص ٥٠٤

٣ - الآيات التي قالها القعقاع بن عمرو حين سار جيش العراق لخدمة المسلمين بالشام تصح بذلك وأهم اجتماع مع المسلمين باليرموك ومنها :

وجئنا إلى بصرى وبصرى مقيمة فالتفت إلينا بالحشا والمعاذر وضضنا بها أبوابها ثم قابلت بنا العيس في اليرموك جمع العشائر
٤ - الطبري فيما عدا روايته عن ابن اسحق ذكر أن اليرموك قس دمشق

٥ - ضعف الطبري ^(١) رواية الواقدي التي تقول: بأن اليرموك

سنة ١٥ إذ يقول ما نصه : « وزعم - يعنى الواقدي - أن وقعة اليرموك كانت في سنة خمسة عشر

على أن روايته عن ابن اسحاق الى تقول بأن احاديث سنة ١٣ ودمشق سنة ١٤ واليرموك سنة ١٥ يرتد آخرها بالمداوة على أولها فقد صرح في أولها بأن عزل خالد كان والمسلمون على دمشق سنة ١٤ وفي نهايتها يقول : « ولم يرل عمر عليه - يعنى خالدا - ساخطاً ولا أمره كارهاً في زمان أنى بكر كله لوقعته ابن نويرة وما كان يعمل به في حربه فلما استخف عمر كان أول ما تكلم به عرله . وهذا صريح في أن العزل كان في بدء خلافة عمر يعنى في منتصف سنة ١٣ مع أنه في صدر روايته يقول . إن عزله كان وهم على دمشق سنة ١٤

٦ - ويقول ابن برهان الدين (٢) : « فإن الصديق رضى الله تعالى عنه تولى وهم في الاستعداد للقتال باليرموك ،

٧ - إن اليرموك من أقاليم الأردن وأجديين من فلسطين والمسلمون بعد فتح دمشق كانت أقدامهم قد ثبتت في إقليم الأردن بأكملة فيما كان إقليم فلسطين لا يزال الكثير من مدنه كبيت المقدس وغيره تحت حكم الرومان وفيه كثير من جنودهم ولما يفتحه المسلمون بعد ، فالمعقول إذن أن جيوش الروم حينما سار بها هرقل يريد المسلمين تجتمع في بلد حاضع لها وبين أقوام ينصرونها ليكون ذلك أسلم عاقبة وأضمن للنصر ولا يعقل أن يحاطر الروم بجيوشهم فيقصدوا المسلمين بالأردن ، وعلى هذا فالموقعة في فلسطين لا الأردن وبعبارة أخرى في أحاديث لا في اليرموك

ولهذا فقد اخترنا أن اليرموك قبل دمشق وأن الموقعة التي بعدها هي أجنادين ولا يبعد أن يكون قد حدث بأجنادين موقعتان. إحداهما قبل اليرموك والثانية بعد دمشق في سنة ١٥ ويكون البلاذري واليعقوبي قد ذكرا الأولى ولم يلتفتا للثانية رغم أنها كانت من المواقع الهامة وهي التي كان لعمر بن العاص فيها القدح المعلى وفيها يقول عمر : قد رمينا أرطوبن الروم بأرطوبن العرب . ويرشح هذا أن الطبري في بعض رواياته ذكر أجنادين قبل اليرموك ثم عقد لها فصلاً خاصاً وذكرها

ثانية بعد دمشق

هذا ولعل اختلاف روايات المؤرخين واضطرابهم في ترتيب الحوادث مرده تنابع الغزوات والوقائع في سى ١٣ و ١٤ و ١٥ وربما كانت ، أفعان في وقت واحد فيذكر أحد الرواة إحدى الواقعتين قبل الأخرى وبالعكس ر'و آخر ثم يأتي من يروى عن كل منهما فيرتبهما ترتيباً زمنياً مختلفاً وربما انقصت بلد فأنعاد المسلمون فتحها فيذكر ر'او الفتح الأول ويعتمد آخر الفتح الثاني فلا بدع إذن أن ينشأ الاختلاف والاضطراب .

النفور بين عمر وخالده ما آل إليه

عمر وخالده في كل شيء كانا على خلاف في نفس
عمر وخالده في كل شيء كانا على خلاف في نفس
عمر وخالده في كل شيء كانا على خلاف في نفس

أسبابه:

وقيل الكلام على الأسباب التي أدت إلى هذا النفور والأحوال التي زادت ورشحته يرى أن لم الإمامة خفيفة مأخلاق كل منهما وفي ضوء ذلك نسير لتعرف أسباب هذا البغض
فمن أخص أوصاف عمر :-

- ١ - حب الحق للحق وتحت كل العوامل والمؤثرات ولا يعدل ذلك عنده أي شيء مهما جل
- ٢ - مصلحة المسلمين عنده في المقام الأول، ورضى العامة عنده هو المهم وسواء لديه أوصى عماله أم سخطوا
- ٣ - الشدة على عماله ومراقبتهم مراقبة شديدة دقيقة حتى إنه كان لا يخفى عليه شيء من أمورهم
- ٤ - يرى أنه لا يحق للعمال التصرف في شيء إلا بأمره ولا سيما ما كان خاصاً بالأمور المالية فقد أثر عنه أنه كان يقول: «أنا ناجر المسلمين»
- ٥ - كان رحلاً منقشفاً ويعجبه من عماله أن يكونوا على مثله ومن رآه أن تظل الأمة العربية على نقشها وبدائها ولا يرغب في أن تنعمس في نعيم الدنيا حتى لا تترك إلى الراحة فاحول^(١)

(١) وفي الحق لو استمرت الأمة الإسلامية على هذه الحطة التي كان يريد لها عمر لما لها الصعف ولوهر

ومن أخص أوصاف خالد :-

١ - حب الحق للحق إلا أنه ربما تساهل في ساعات الحرب في بعض أمور صغيرة إذا رأى مصلحة المسلمين في ذلك وهو تساهل الحكيم الذي أيدته الشريعة الإسلامية حين رأت ألا تقام الحدود في الحرب

٢ - يرى أن العمال والأمراء يحسن أن يكون لهم بعض الحرية والاختيار ، وبالتالي ليس أمر الخليفة واستطلاع رأيه أمراً لازماً في كل الأحوال فلا مانع عنده أن يعمل الأمير برأيه في بعض الأمور التي ربما فاتت فرصتها اسطار الأمر الخليفة

٣ - لا بأس عنده من التسعم والرفاهة ما دام ذلك في حدود الدين

٤ - كان رجل حرب وهدأ يستلزم أن يكون في طاعه شيء من الشدة والقسوة والنصر على الأعداء عنده الغاية تبرر أي وسيلة كانت

من هذا الفهم المحمل يمكن أن نقول إن الرجلين وإن اتفقا في حب الحق وتقديم مصلحة المسلمين لكن لكل منهما وجهة تغاير وجهة الآخر ومبررات تبرر رأيه وفي طاع كل منهما نوع من الشدة فالمعقول إذن أن يصطدما بعد لأحلافهما وأحلاف وجهتي نظريهما في بعض الأمور

ولم يظهر لوجهتي نظريهما أثر في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه لم يكن في زمنه عليه السلام شخصية كائنة ما كانت تضمع في أن يكون لها رأى يفرق برأيه صلى الله عليه وسلم وإيمانه عانة أحدهم أن يسأل عما لا يعرف

فلما جاء زمن أبي بكر 'بدأ أجلاء الصحابة وأهل السابقة والفقه منهم

يدلون برأيهم فيما يجد من أمور وكان عمر في زمن أبي بكر كالوزير له
يستشير به وكثيراً ما يعمل برأيه . ومن هذا الوقت ابتداء دور البغض
والخلاف بين عمر وخالد يظهر في صورة محبة عندما تعرض مناسبة لذلك
بيد أنه لم يتمكن من عزله زمن أبي بكر لأنه كان سهلاً لياً عنده مرونة
لا يقيد من عمله ويرى أن يتغاضى عن بعض الشيء من خطئهم في سبيل
المصلحة العامة التي تعود على المسلمين من أعمالهم وفي الحق أن أبا بكر كان
في حاجة لسيف خالد (لأنه الذي فققأ عين الردة ورلزل عروش الأكراسة
والقياصرة ومهد السبيل للفتوح العظيمة التي تمت بعد) وليس من
السياسة في شيء عزله في زمن أبي بكر بل ولا في زمن عمر . ومن رأينا
أن عمر رضي الله عنه كان متحاملاً على خالد وقد اعترف عمر بسداد
نظر أبي بكر في خالد إذ يقول : « رحم الله أبا بكر هو كان أعلم بالرجال مني »
ولما تولى عمر بادر بعزله وسندكر فيما يلي بعض ما قاله المؤرخون
في أصل العداوة بينهما مما كان له أثر كبير في عزله

أصل العداوة بين عمر وخالد :

ذكر ابن عساکر^(١) وابن برهان الدين أن السبب في هذا البغض
هو تصارعهما وهما غلامان وكسر خالد ساق عمر وأن البغض مازال بينهما
حتى تولى عمر فعزله . ونحن مع اعترافنا بحصول هذا الصراع لو سلمنا
بأن له أثراً ولو ضئيلاً في نفسيهما وهما غلامان فلا نسلم ببقاء هذا الأثر
عند انتهاء زمن الغلومة ولو سلمنا جدلاً أن هذا الأثر لازمهما بعد الكبر

(١) ابن عساکر ص ٧١٠ السيرة الخليفة ح ٣ ص ٢٧٦

فلا نسلم بحال بقاء ذلك بعد إسلامها ولا يمكن أن يعقل هذا رجل رشيد عرف الإسلام وأثره في نفوس الصحابة، وإذا كانت ثارات الجاهلية وما كانت تحمله نفوس العرب من حب الثأر والانتقام يحى أثره بالإسلام أفلا يحى أثر صراع بين اثنين؟ بيد أنه كان بينهما وهما غلامان ورغم أهمهما قرسان. وإذا كان الرجل بعد الإسلام يلقي قاتل أبيه أو أخيه ولا يحمل له غلا في نفسه أفيجعل بعمر أن يحمل غلا لاس خاله خالد بعد إسلامهما لصراع كان بينهما وهما غلامان اللهم إنا لانعقل ذلك على أن قول عمر في خالد حين عرله عن قنسرين فقدم عليه المدينة ونصه: ... يا خالد والله إنك على الكريم، وإنك إلى الحبيب. . . يدل بصراحة على أن عمر لا يحمل في نفسه حقدا لخالد وهو إليه حبيب. الطبرى ج ٤ ص ٢٠٥

ولكن الأسباب الحقيقية التي يؤيدها الواقع وينطق بها التاريخ وتنطبق على خلق الرجلين هي :-

١ - قتل خالد مالك بن نويرة وتزوجه بامرأته الأمر الذي أدى إلى أن يطلب عمر من أبي بكر أن يقيده أو يعزله وما كان في نفسه قبل ذلك مد أوقع بنى حزيمة في زمم النبي صلى الله عليه وسلم يضاف إلى ذلك قتله للرجلين اللذين كانا يحملان كتابا من أبي بكر بإسلامهما وذلك في موقعة المصيح^(١)

٢ - كان فيه تقدم على رأى أبي بكر فلما تولى عمر لم يعجبه ذلك منه^(٢)

(١) راجع الطبرى ج ٤ ص ٥٦. والاصابة ج ١ ص ٩٩

(٢) راجع ابن عساكر ص ٧١٣. والاصابة ج ١ ص ٩٩

٣ — كان لا يرفع حسانا لأني كره ويصنع أشياء لا يراها وكان يغفر له ذلك وعمر على خلاف هذا

٤ — افتتان الناس به واستماتهم تحت أوائه وجهم للقتال تحت رايته نخاف عمر أن يوكل الناس إليه فعزله ليعلموا أن الله ينصر دينه سواء أكان القائد حالدا أم سواء . وقد صرح بذلك عمر وكتب إلى الأمصار : « إني لم أعزل خالدا عن سخط ولا عن خيانة وإنما كن الناس فتوا به تخفت أن يوكلوا ويبتلوا به فأحدثت أن يعلموا أن الله هو الصانع وألا يكونوا لعرض فتنة » (١)

متى كان العزل ؟

اختلف المؤرخون في عزله متى كان؟ فالمعض (٢) يقول : أن عزله كان والمسلمون على حصار دمشق، وفرق يرى أن عزله حصل في أثناء موقعة البرموك (٣)

فمن قال بأنه عزل والمسلمون على حصار دمشق يتعلل بأن خالدا كان أمير القتال وأن كتاب الصلح مذيّل بامضائه وهو دليل كما ترى لا يكفي لأن إمرة القتال وإمضاء الكتاب ربما كانا لكفاءته في القتال ومراه على كتابة العهد وفضلا عن ذلك فإن في هذا الفريق من يقول : إن المسلمين حاصروا دمشق قبل وفاة أبي بكر بأربعة أيام وهو رأى غريب ومنه من يروي العزل بصيغة تشعر بالضعف كالبلادري حيث يقول : « وقوم

(١) الطبري ج ٤ ص ٢٠٦

(٢) رواية الطبري عن ابن اسحاق ج ٤ ص ٥٥ ، اللادري ص ١٢١

(٣) وعلى هذا الرأي معظم روايات الطبري وهو ما ذكره ابن الأثير

يقولون إن ولاية أبي عبيدة الشام أتمته والناس محاصرون دمشق فكتمها
 خالداً» ومهم من آخر روايته يتناقض مع أولها. فبيدما يقول إن عزل خالد
 كان والمسلمون على دمشق سنة ١٤٤ براه في نهاية روايته يصرح بأن أول
 ما بدأ به عمر هو عزل خالد وعلى هذا لم يسلم لهذا الفريق رأى صحيح.
 على أن كل دليل يؤيد الرأي الذي يختاره ينقص هذا المأى
 والفريق الذى قال إنه عزل والمسجون على اليرموك هو الفريق
 الذى نرى رأيه وتأييده وطريقنا فى تأييده أمران :

١ - نصوص تاريخية منها :

- ١ - ما ذكره الطبرى فى عدة روايات^(١) ومن ذلك قوله : « وذاوا
 بالياقوصة . . . فاجبروا أبا عبيدة وفاة أبى بكر وولايته حرب الشام
 وضم عمر الأمراء إليه وعزل خالد ابن الوليد .
- ٢ - وقول ابن الأثير فى أثناء كلامه عن اليرموك : « وإنما جاء (يعنى
 البريد) بموت أبى بكر وتأخير أبى عبيدة »^(٢)
- ٣ - وقول معجم البلدان فى صدد كلامه عن اليرموك : « وجاء
 البريد يومئذ بموت أبى بكر وخلافة عمر وتأخير أبى عبيدة على الشام كله
 وعزل خالد »^(٣)

٤ - ما قاله صاحب السيرة الحلبية من أن الصديق رضى الله عنه
 توفى وهم فى الاستعداد للقتال باليرموك . ولما ولى سيدنا عمر أرسل

(١) راجع الطبرى ج ص ٣٨٠ ٤٦٠ ٥٥

(٢) اس الأثير ج ٢ ص ٢٨٣

(٣) ج ٨ ص ٥٠٤

ليريد بعزل خالد و رواية أنى عبيدة بن الجراح عن العسكر^(١)

ب أدله بأرجحية يعتمد على شيء من التدبر . ص ١٠٠ :-

١ كان أول ما بدأ به عمر عزل خالد ونولية في عبيدة مكانه وقد روى الداءة العزل جميعه^(٢) المؤرخين بما لا يدع مجالاً لمسك وإذا كان العزل أول ما بدأ به عمر وكانت اليرموك - كما تقدم - هي فتحة الوراق في زمن عمر . فادن يكون العزل الذي هو أول الأعمال في أول الوقائع اعنى اليرموك

٢ ذكر البغوي^(٣) أن عمر كتب لأبى عبيدة بخبر وفاة أبى بكر مع يرفاً مولاه . وكتب بعقده وولايته الشام مكان خالد بن الوليد مع شداد بن أوس وصير خالداً موضع أبى عبيدة . وقد ذكر أن لموقعة التي نهيات زمن أبى بكر وتمت في عهد عمر هي اليرموك فعلى هذا يكون العزل باليرموك

٣ - قول ابن الأثير . . وكان أول كتاب كتبه إلى أبى عبيدة تولته جند خالد وبعزل خالد . . وأول ما حكمه عزل خالد وقال : لا يلى لي عملاً أبداً^(٤)

٤ - كتاب أبى بكر لخالد الذى يأمره فيه بالمسير إلى الشام لامة المسلمين باليرموك : أن سر حتى تثنى جموع المسلمين باليرموك . .

(١) ج ٣ ص ٦٣

(٢) ج ٤ ص ٥٤ و ٥٦ والبعوي ج ٢ ص ١٥٨ و ١٥٩

ج ٢ ص ٢٩٣

(٣) ج ٢ ص ١٥١

(٤) ج ٢ ص ٢٩٣

(٥) ج ٢ ص ٢٩٣ و ٢٩٤

صريح في أن سير خالد لاغاثة المسلمين باليرموك . واليرموك فاتحة عهد
عمر والعزل أول ما بدأ به فالعزل إذن في اليرموك

ويبدو لنا أن عمر عزل خالدا أكثر من مرة وهذا العزل الذي
حصل والمسلمون على اليرموك عزل عن القيادة وجعل خالد حاضعا
لأبي عبيدة الذي عين قائدا عاما لجيوش المسلمين وأميرا للأمرأه الذين
بالشام . ولما فتحت قنسرين عين خالد عليها تحت يدي أبي عبيدة ثم عرله
منها عمر . وبيان ذلك :

أنه حينما رار عمر بلاد الشام ورجع أدرب خاد وعياض بن غنم
من الجابية وأصابا أموالا عظيمة ، ولما قفل خالد وبلغ الناس ما أصابت
تلك الصائفة اتجعه رجال . فكان الأشعث بن قيس ممن اتجع خالدا
بقنسرين فأجاره عشرة آلاف وكان عمر لا يخفى عليه شيء في عمله ، كتب
إليه من العراق بخروج من خرج ومن الشام بجائزة من أجز فيها فدخل
البريد وكتب معه إلى أبي عبيدة أن يقيم خالدا ويعقله بعلمته ويزرع عنه
قلسوته حتى يعلمهم من أين إجازة الأشعث أمن ماله أم من إصابة أصابها
فإن زعم أنها من إصابة أصابها فقد أقر بخيانة وإن زعم أنها من ماله فقد
أسرف واعزله على كل حال واضمم إليك عمله

نفذ أبو عبيدة أمر الخليفة في خالد ولكه لم يصرح له بالعزل فبقى
خالد لا يدري أمعزول أم غير معزول ، ولما لم يقدم المدينة على عمر ظن
الذي قد كان فكتب إليه بالاقبال فأتى خالد أبا عبيدة فقال له في ذلك
فقال له : « إني والله ما كنت لأروئك ما وجدت لذلك بدا وقد علمت
أن ذلك يروئك فرجع خالد إلى قنسرين فخطب أهل عمله وودعهم

وتحمل ثم أقبل إلى حمص فخطبهم وودعهم ثم حرج نحو المدينة حتى قدم على عمر فشكاه وقال : لقد شكوتك إلى المسلمين وبالله إنك في أمرى غير محمل يا عمر ، فقال عمر : من أين هذا ترى . قال من الأنفال والسهمان ما زاد على الستير ألفا فلك . فقوم عمر عروضة فخرجت إليه عشرون ألفا فأدخلها بيت المال ثم قال . يا خالد والله إنك على لكريم وإنك إلى الحبيب ولن تعاسى بعد اليوم على شيء ^(١) وكتب عمر إلى الأمصار : إني لم أعزل حلدا عن سخطه ولا خيانة ولكن الناس فتنوا به . وعد قدوم خالد قال عمر متمثلا :

صعنت فلم يصنع كصنعك صانع وما يصنع الأقوام فالله يصنع ^(٢)
وقد رجع خالد إلى حمص وجعلها مقامه واعتزل فيها مرابطا بها حتى توفي ^(٣)

أثر العزل في نفس عمر

مهما يكن السبب الذي من أجله عزل عمر خالد فان عمر كان يرى أنه فعل ما يوافق دينه ويرضى ربه وما هو الاوفق لمصلحة المسلمين ويرى أن عزله إياه وقسوته عليه ومشاطرة ماله صلاح له وتهذيب لطباعه وتقويم

أثر العز في نفس خالد

أما خالد فان العزل لم يغير من عزمه ولم يوهن من قوته وحرصه على نصره الدين وإذلال الشرك وأهله ، وإعزاز الاسلام وجنده وإذا

(١) الطبرى ج ٤ ص ٢٠٥ وابن عساكر ص ٧١٠

(٢) الطبرى ج ٤ ص ٢٠٦

(٣) ابن عساكر ص ٧١٢ و ٧١٤

كانت نفسه لم تحب ولم تحمل حقدا ولا غلا لعمر ولا منعه لعزل من
أن يطعن في نخور الأعداء ويرمي على الموت في لحظة التي يلعب فيها
العزل فانه بعد أن هدأت نفسه وحف وقع العزل عليه وقد أدلى بالتصحيه
والتفاني والرضى عن عمر ولا أدل على ذلك من حروبه التي شهد بها
بعد العزل وهو جندي وتحت إمرة غيره والتي فعل فيها لا عا حيب مما
أدى إلى اعتراف عمر له بالتفوق الحري والتأهل للأماره بقوله «أمر
حالد نفسه . . . » الذي يعتبر أحسن مدح لحالد

أثر العزل في نفوس الأمراء

لم يكن عزل حالد بالذي يخط من قدره أو يحفر من شأنه في نفوس
الأمراء والوفاء بل ما زال بعد العزل كما كان قلبه غير مجهول القدر
ولا حامل الذكر معظما ووقرا من كل الأمراء، إذا جدد الحد وبوافقت
الحدود ورخصت الأرواح طهر حالد وهرع إليه الأمراء ليستطلعوا
رأيه وليأخذوا عنه أحزم الحعط للنيل من العدو ولئى تحطاه مركز
الاماره والتولية من الخليفة ومظهر ذلك في «تظاهر فلم يفقه أثرها و لعرض
مها في الواقع

أثر العزل في نفوس الحند

أما الحند فكانوا أحرص على القتال تحت لوائه وسواء منهم من
قاتل تحت رايته بالأسر ومن لم يقاتل يتسابقون على طاعته ويستمتعون
للقاتل بين يديه ويحرصون على أن يكونوا في كرده يعرفون بمن نقيبته
وحسن تديره وأصاله رأيه ومهارته في القيادة والتعمه والوصول بهم
إلى النصر

✱ أثر العزل في نفوس كبار الصحابة

مما لا شك فيه أن أحلاء أصحابه وأكرامهم كانوا يودون أن لو كان قد في خالد أميرا وراعون في أن يكون خالد متعنا برضاء الخليفة كما كان في زمن أبي بكر فهم يعرفون خالد وعزمته وسيسته في الحرب والكثير منهم عتمة حاملة وإسلاما وودعه لو بطل سيف الله شهرا سيف الامارة مسددا سبهم العيادة في صدور الأعداء

ما آله البغض بينهما

انتهى هذا البغض الشديد بينهما بمحنة وإحلاص من كلهما ورضاه كل عن الآخر واعتراف كل منهما أن الحق في جانب صاحبه وهذا يشعر أن البغض بينهما لم يكن لعارض دنيوي أو شخصي وإنما هو بغض للدين ولصاحبة المسلمين. فقد دمه عمر على ما صنع مع خالد وقال فيه حين مات ولم يحد له إلا فرسه وسلاحه وعلاؤه . يا رحيم الله أنا سبنا من كذا على غير هذا (١) . وسجى لنا ذلك حين قدم خالد اندية على عمر وشكاه المسلمين فقال: يا خالد والله بك عني لكريم وإنك إلى حبيب ولن عني بعد اليوم على شيء (٢) .

ألا من اعتراف ورضية تصدر من حلقة المسلمين كقصة فواد المسلمين فلم يكفه أنه عليه كريم وإليه حبيب بل يعده أنه أن يعده بعد اليوم على شيء

وإذا أردت أكثر من هذا فنظر إليه حين طعن وعرف أنه سيدوت

(١) ن. س. ك. ص ٧١٥ و ٧١٦

(٢) الخ. ح ٤ ص ٢٠٥

وقد قيل له لو عهدت يا أمير المؤمنين فقال : . . ولو أدركت خالد
ابن الوليد ثم وليته ثم قدمت على ربي فقال لي من استحلقت على أمة محمد
لقلت سمعت عبدك و خليلك يقول : لخالد سيف من سيوف الله سله
الله على المشركين ^(١) . . عمر في آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة
يتمنى أن لو كان خالد حيا ليوليه الخلافة ويرى أنه بذلك يدافع عن
نفسه إذا ما سأله مولاه عمن خلف على أمة محمد . وعمر هو الذي قال
تمثلا حين قدم عليه خالد :

صنعت فلم يصنع كصنعك صانع وما يصنع الاقوام فانه يصنع
الله انت يا عمر حين تقول وقد ذكر خالد وموته : قد ثلم في الاسلام
ثلمة لا تترق . . وأنت أنت الذي حزت وأكثرت من الترحم عليه حين
مات وقلت فيه : كان والله سداً للحدود و ميمون القية . . وأنت
الذي تمنى أن او مد الله في عمره فتقول : ليتته بقي ما بقي ^(٢) بالحجى حجر
وأخيراً تقول وقد دخل عليك هشام بن الحنظلي في باس من بني مخزوم
فطلت منه أن ينشدك من شعره في خالد فلما أنشدك رأيت أن هذا
الشاعر رغم إجادته لم وفه حقه ، فقلت له :

قصرت في الثناء على أبي سليمان رحمه الله . إن كان ليحب أن نذل اشرك
وأهله وإن كان الشامت به لتعرضاً لمقت الله وتمثلت بقول أخى ي تميم
فقل للذي يغنى حلاف الذي مضى تها لأخرى مشها فكأن قد
ما عيش من قد عاش بعدى نافعي ولا موت من قد دلت وما غلخ

١ . ابن عبد بكر ص ٦٩٧

٢ . ابن عبد بكر ص ١١٤

ثم قلت : رحم الله أبا سليمان ما عند الله خير له مما كان فيه ولقد مات فقيداً وعاش حميداً ولكن رأيت الدهر ليس بقابل ،^(١)

وكما ندم عمر على صنيعه مع خالد واعترف بفضله كذلك اعترف خالد بأن صنيع عمر معه وتحامله عليه وتشدده في محاسبته ما كان يريد به عمر إلا وجه الله ومصلحة المسلمين : فيحدثنا خالد عن نفسه حين دخل عليه أبو الدرداء عائداً له وهو في مرضه : والله يا أبا الدرداء لئن مات عمر لئن أموراً تنكرها . وقال أبو الدرداء : وأنا والله أرى ذلك قال خالد : قد كنت وجدت عليه في نفسي في أمور لما تدبرتها في مرضي هذا وحضرتي من الله حاضر عرفت أن عمر كان يريد الله بكل ما فعل كنت وجدت عليه في نفسي حين بعث إلى من يقاسمني مالي حتى أخذ فرد نعل وأخذت فرد نعل فرأيت أنه فعل ذلك بغيري من أهل السابقة^(٢) ومن شهد بدرأً وكان يغلط علي وكانت غلطته علي بغيري نحواً من غلطته علي وكنت أدل عليه بقرابة هرايته لا يبالى قريباً ولا لوم لائم في غير الله فذلك الذي أذهب ما كنت أحد عليه وكان يكثر علي عنده وما كان ذلك إلا على النظر ، كنت في حرب ومكابدة ولست شاهداً وكان غائباً فكنت أعطى علي ذلك فخالفه ذلك من أمري^(٣) ولقد شرح لنا خالد في كلامه هذا تصويبه لرأي عمر والسر الذي جعله يرضى عنه بل وراى في رضاه حتى إنه اعتذر عنه واعترف بأنه ليس هو الرجل الذي يحايى قريباً لقراته ولا يحشى لوم

(١) ابن عساکر ص ٧١٦

(٢) وقد شاطر عمر سعد بن أبي وقاص وأبا موسى الأشعري وأبا هريرة وعمر

ابن العاص ما لهم - العقد الفريد ج ١ ص ١٦٠١٥ المطبعة الأزهرية

(٣) ابن عساکر ص ٧١٢

لا أرى في خير الله وأهله نعم العون هو عن الإسلام،^(١)
وليس أدل على رصده وعرفاه أنه رحل الحق والعدل من أنه حينما
فارق الدنيا جعل حانة علاقته به أن جعل وصيته إليه بعد موته: «وقد
جعلت وصيتي وتركتي وإمضاء عهدي إلى عمر بن الخطاب»^(٢)
ولعمري إن رضاء كل من أرجأ عن الآخر وتقدير كل منهما
صاحبه لم المثل العليا لحب الحق والإنصاف والعدالة فهكذا يكون
أهل الإسلام وهكذا تكون أخلاق أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فرضي الله تعالى عن عمر وحدهما عن الإسلام خير الحماة
وإذا انتهيا من أعماله وفنوحه والكلام عليه من الناحية الحربية
فيحسن أن نقول كلمة عنه من الناحية الدينية



الناحية الدينية

إن خالد مد إسلامه حريصاً على أن يعز الإسلام وأن يدل الشريك
وهو نفسه وماله في سبيل الله وفي إعزاز الدين ونصرة المسلمين كذلك
كان يحرص على تعلم الدين ويعرف الحلال والحرام . فقد روى
لنا ابن عسك عن خالد : أنه دخل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بنت ميمونة فأتى ضرب محوذ فأدوى إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
« أن يأكل منه فقالوا يا رسول الله هو صلب فرجع رسول الله صلى
الله عليه وسلم يده فقلت أحرام هو قل لا ولكنه لم يكن بأرض قومي

١١ ابن عسك ص ١١٢

١٢ ابن عسك ص ٧١٢ الاستيعاب ج ١ ص ١٥٧ . ان لآثير ح ٢ ص

١٠٠ الاصابة ح ١ ص ١٠٠

فأجذني أعافه قال خالد فاحتزرتة فأكلته وروى انه صلى الله عليه وسلم
ينظر. (١)

لكن مع ذلك عاقه أخره في سلامه ثم اشتغاله بالحروب والجهاد
عن التفرغ للنظر والبحث في الدين والتحريه و'لحفظ للحديث الشريف
والقرآن الكريم. روى ابن عساكر (٢) . أن خالد بن الوليد أم الناس
بالخيرة فقرأ من سور شتى ثم البت إلى الناس حين انصرف فقال
شغلني عن تعليم لقرآن الجهاد . ويقول ابن حجر في الإصابة : لقد شغلي
الجهاد عن تعليم كثير من القرآن (٣)

على أن حروبه المتوالية لم يمهله من رواية الحديث الشريف عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد ذكر في الخلاصة أنه روى له ثمانية
عشر حديثاً وفق البخاري ومسلم على واحد واغرد البخاري بحديث
موقوف عليه وذكر ابن حجر في كتابه الإصابة وتهذيب التهذيب أن
من روى عنه ابن عباس وحابر بن عبد الله وانعدام بن معديكرب
وفيس بن أبي حارم والأشتر السجعي وعنه بن فوس وحير وأوالعالة
وغيرهم (٤)

أما فقهه فقد روى المؤرخون أن حالاً دخل حمام فدلّت مد

(١) ابن عساكر ص ٦٨٧ . دالة ح ٢ ص ١٠٢

(٢) ص ٧٠٢ . وفي رواية أخرى لابن عساكر . أن خالد بن الوليد لقد معنى
كثيراً من القراءة الجهاد في دين الله .

(٣) الإصابة ح ١ ص ٤١٤

(٤) ابن الأثير في أسد الغابة ح ٢ ص ١٠٤ . ذكر خمسة من ذكره . ابن حجر
وراء عنه أبو أمامة بن سهل بن حنف . وراجع ابن عساكر ص ٦٨٦

النورة بشخين عصفر معجون بخمر فبلغ ذلك عمر فكتب إليه : بلغني أن تدلكت بخمر ، وإن الله قد حرم طاهر الخمر وباطنها كما حرم ظاهر الأثم وباطنه وقد حرم مس الخمر إلا أن تغسل كما حرم شرها فلا تمسوها أجسادكم فإياها نحس وإن فعلتم فلا تعودوا فكتب إليه خالد : إنا قتلناها فعادت غسولا غير خمر وقال في ذلك خالد مخاطباً عمر

سهل أبا حفص فإن لديتنا شرائع لا يشق بهن المسهل أنجست بالخمر الغسول ولا نرى من الخمر تثقيف المحيل المحلل وهل يشمن طعم الغسول وذوقه حميا الخمر والحمور تسلسل (١) فراجعته لعمر وتفرقة بين الخمر وهي في شدتها وتخمرها وبينها بعد أن زالت عنها هذه الصفة وصارت غسولا تين أنه كان ذا نظر وفقه في الدين وإن كان لم يبلغ في ذلك ما بلغه ابن عباس أو ابن مسعود أو غيرها من الحفاظ وأهل الفقه وليس أدل على أنه كان صاحب فقه ونظر من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسله إلى بني الحارث بن كعب ببحران يدعهم إلى الإسلام فإدا ما أجابوه أقام فيهم يعلمهم شرائع الإسلام ويفقههم في الدين ولا يمكن أن يرسل النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يوب عنه في إرشاد الناس وتبصرتهم بأمور دينهم إلا أن يكون أهلاً لهذا المركز العظيم

وقد يكون من الحسن أن يحتم بحشافي خالد بذلك شيء عن صفته وأخلاقه مستمدين مما سذكروه مما سبق من سيرته :

صفته وأخلاقه

نصدر كلامنا في ذلك بذكر بعض أقوال ماثورة قالها فيه عظماء الرجال الذين شاهدوه وخبروه فقدروه إذ أن أقوال أولئك العظماء أصدق صورة توضح لنا أخلاقه ظاهرة جليلة تتفق والواقع : فهم الذين عاصروه وعن علم يقولون فقولهم فيه أصدق حكم عليه وعلى ما نال من شهرة وعظمة حاله فهو حكم لا مريية فيه ولا تخمين :

فيقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تؤذوا خالداً فإنه سيف من سيوف الله صبه الله على الكفار »^(١)
ويقول فيه أيضاً : « نعم عد الله وأخو العشيرة وسيف من سيوف الله سله الله على الكفار والمنافقين »^(٢)

وقال فيه أبو بكر حين بلغه ما صنع بالفرس في موقعة اليرس و امغيشيا :
« يا معشر قريش عدا أسدكم على الأسد فغله على خراذيله ، أعجزت النساء أن ينشئن مثل خالد »^(٣)

وقال فيه حين ألح عليه عمر في عزله : « لا أشبه سيفاً سله الله على الكفار »^(٤)

وقال فيه عمر حينما فتح قنسرين : « أمر خالد نفسه رحم الله أبا بكر هو كان أعلم بالرجال مني »^(٥)

(١) الاستيعاب ج ١ ص ١٥٨ ، ابن عساکر ص ٨٩٩ . شرح العيني لسعدي ح

١٦ ص ٢٤٥

(٢) الاستيعاب ج ١ ص ١٥٨ . السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٧٦

(٣) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٧٦

(٤) الطبري ج ٤ ص ٣٠

(٥) الطبري ج ٤ ص ١٥٥ . ابن الأثير ج ٢ ص ٣٤٤

وقال فيه أيضا حين بلغه موته . قد تلم في لاسلام ثمة لا ترق .^(١)
وقال فيه أيضا حين بلغه موته كان والله سدادا لبحور العدو
ميمون النسيبة .^(٢)

وبمول فيه عمرو بن العاص حينما سألته أبو بكر عن رأيه فيه . يسوس
الحرب . بصر . موت . له أمة لقطاء . ووثوب الأسد .^(٣)

وقال فيه أكيدر ملت دومة لا أحد أبين طائرا منه ولا أحد في
حرب ولا يرى وجهه خد قوم أساقوا أو كثرو إلا اهزموا .^(٤)

ونقول له خلد عن نفسه . ما كان ربه . والله يوم أسلمت يعدل
في أحد من أصحابه فيما حربه .^(٥)

وفي ضوء ذلك الأمل ما توره في مطلق عن صفة خالد وتصور
له . خلافة . وهو هذه تصورا صحيحا سدد من ليس أحلافه وإن شئت
فهل لشرح هذه الآمال . وقد سبق أن كتبنا كلمة في الباب الأول تبين
السري مهابته في الخروب وفوقه . وسلكه لآله من لواحي
الآية .

ساسة في الحرب وحرته فنون القتال

كان رحمه الله ميمون النسيبة موقفه بصر من الناس الحزم عرفا

(١) . عن . ص ١٤

(٢) . عن . ص ١١٤

(٣) . عن . ص ١٢٤

(٤) . كدر في . ص ١٥٥

في . ص ١٥٥

(٥) . عن . ص ٦٥١

بأصول الحرب وأساليبها، يعرف موضع الكر والفر، حائر، لصفات
الجدى الكرته، له في الحرب رى الشيخ وحده الساب وأما انشطة
ووثوب الأسد بهز الفرصة وبكى العيون وحفظ من البيت لا يفتح
بلدا، يحور هذا لغيرها حتى يترك فيها حامية وأمن من أن يؤنى من طهره
أحكم معرفة الحروب بطول تجربته وكثرة ملاقه كتائب ومقاساة
الجيوش وحصار الحصون حصص على الموت في صفوف القتال^(١)
لا ينم ولا ينام ولا يحى عنه شيء من أمر عدوه رى عدوه منه نجوم
الليل واشمس حية ولا يرى وجهه قوم فلو أو كثروا إلا انهزموا

سياسة الحنده وحده لهم

كان حاله شديد الحب لجدته ينصفه من نفسه ويعرف لهم حقهم
وينزلهم منازلهم يقودهم إلى حيث النصر ولا يوردهم موارد الهلكة
سخيا في الأقال والأعطيات لهم كان لا يدع فرصة تمر دون أن يستفيد
مها لتشجيع جدته وتدميرهم للقتال فتراه مرة بضرب المثل بنفسه حين
يهتصر قواد عدوه وآوة يهجمهم بما يحسنه حين يمر بين الصفوف
فيقول: يا أهل الاسلام ان النصر عرو ون القشل عجر وإن النصر مع
الصبر ونارة يحعلهم يترامون على الموت ويستحون من الفرار حين
يميز بينهم، كانت صفاته هذه ومعاملته لجدته مدعاة لحيه وتبفت الحند

(١) وكذلك كان وصه أو تك له لى يقول فيه: «حرص على موت توف
لك الحياة» راجع عو. لأح. ر. ح. ١ ص ١٢٥. «عند مر. ح. ١ ص ٣١: هذا
المعنى يقول صاحب القند القري. «كم من مية ظلمها ضاحك ووجهه سبب الغرض

للاضواء تحت لوائه . هذا إلى أنهم يعتقدون بمن نقيته وطول دربه
في الحروب ولقد بلغ من اعتقادهم في توفيقه والهامه الصواب أنه حينما
أراد الذهاب للشام مفوزا بهم حظهم مرعبا لهم في التهوين - وهو من
غير شك مخاطرة ومهالك - فكان جوابهم أن قالوا « أنت رجل قد
جمع الله لك الخير فشأنك » (١)

وكان لهذا الاعتقاد من الجند فيه وتسليمهم له وتراميمهم على الموت
تحت لوائه أثر كبير في انتصاره كما أنه كان من الأسباب التي حملت عمر
على عزله . هذا ولقد كان لأهل السابقة والفضل في الاسلام عده منزلة
خاصة فكان يحلمهم ويعظمهم ويعرف لهم فضلهم في الاسلام ويعتقد أن
النصر يؤاياه بسببهم يدل لذلك ما حصل منه في موقعة مؤتة فقد أبى أخذ
اللواء من صحابي شهد بدرا فقال له حين دفعه إليه قائلا خذه فانت أعلم
بالقتال مي لا آخذه فانت أحق به مني لأنك بمن شهد بدرا . وما كان
منه حين أراد المسير للشام فقد استأثر بأصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فجعلهم في جنده

١ - حبه للغزو والجهاد

كان رحمه الله سدادا لبحور العدو يحب أن يدل الشرك وأهله فراه
من يوم أسلم قد وهب نفسه وماله وراحته في سبيل الله وكان الجهاد
أحب شيء إلى نفسه ومقاتلة العدو كل همه في الدنيا ولقد أثر عنه أنه
قال : ما كان في الأرض ليلة أحب إلى من ليلة شديدة الجليد في سرية
من المهاجرين أصبح بهم العدو فعليكم بالجهاد ، وما كان لمثله أن يموت

إلا تحت ظلال السيوف وأسنة الرماح ولقد بلغ به الحزن
ونال منه الألم وبكى واستعر حينا عرف أنه سيموت على فراشه فقال
متحصراً أن حرم الشهادة: «لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها وما في
بدني موضع شر إلا وفيه ضربة بسيف أو رمية بسهم أو طعنة رمح
وها أنا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت البعير فلا نامت أعين
الجبناء» (١)

بيت خالد

كان لخالد بن الوليد أكثر من زوجة أنجب منهن أكثر من واحد
ولأن له من الولد سليمان وبه يكنى وعده الله (٢) الذي قتل بالعراق
وعده الرحمن والمهاجر وكان غلامين على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولما وقعت الفتنة بين علي ومعاوية انضم عبد الرحمن إلى معاوية
وتشيع المهاجر لعل يرد كربع الرواة أن المهاجر هذا قتل بصفي (٣)
وكان عبد الرحمن من فرسان العرب ومن أهل النجدة والغناء والكرم
والهدى «ومن يشابه أبه فما ظلم» وكان في زمن عثمان رضي الله عنه
والياً على حمص تحت إمرة معاوية ولما قدم المشاغبون على عثمان من أهل
البصرة على معاوية ثم خرجوا عنه وماوا إلى الجزيرة سمع بهم عبد الرحمن
ابن خالد فطلبهم وقال لهم يا أئمة الشيطان لا مرحبا بكم ولا أهلاً قد
رجع الشيطان محسوراً وأنتم بعد نشاط خسر الله عبد الله إن لم يؤدبكم حتى

(١) أسد الغابة ج ٢ ص ١٠٤. المعارف لأن قبيصة ص ٩٠.

(٢) أنساب القرشيين ج ٢ ص ٢٤٢.

(٣) أنساب القرشيين ج ٢ ص ٢٤٠.

يخسر كما يامعشر من لا أدري أعرب أم عجم لا تقولوا لي ما يبلغني أنكم
تقولون معاوية . أنا ابن حالد بن الوليد أنا ابن من عجمته العاجمات
أنا ابن فاتيء الردة والله لئن سفي يا صعصعة من دل أن أحدا ممن معي
دق أهلك ثم أمصك لأطربك طيرة بعيدة المهوى . يا ابن الخطيئة
أعلمت أن من لم يصلحه أخير أصحبه الشر مالك لا تقول ما كان يبلغني
أنت تقول لسعيد ومعاوية فيقولون يقولون توب إلى الله أفلقنا أقالك الله .

واقعد بلغ من شهرته وتعلمته ومحبة الناس أولادته أنه حينما أراد
معاوية البيعة لاسه يزيد خطب الناس فقال : قد كرت سني وقرب أجلي
وأردت أن أعتمد لرجل يكون نظامكم فاحتاروا لأنفسكم فبما أنا رجل
مكم فاجتمعوا وقالوا رصبا عبد الرحمن بن حالد فشق ذلك على معاوية
ودبر له أمر موته ففس إليه أن تذل الطيب اليهودي فسفاه شرقة مات
مهاوشأر له من هذا اليهودي حالد ابنه أو حالد ابن أخيه المهاجر على
خلاف في ذلك وقال ابن المهاجر حين ثار لعنه من اليهودي (١)

قصي لابن سيف الله بالخلف سيفه وعري من حمل الدخول رواحله
و حين مات عبد الرحمن بن حالد رده كعب بن جعيل بقوله :
ألا تنكي وما طلعت قرش بأعوال الكاء على فتادا
ولو سئلت دمشق وعهلك وحصر من أبايح لكم حماها
فسيب الله أدمع أسايا وهدم حصها وحوى قراها
وأزلها معاوية بن صخر وكانت أرضه أرضا سواها
وكان حالد بن الوليد من الولد عدا من ذكرنا كثير غيرهم يقول

ابن سنة^(١) : وكان له بالشام من الولد عدد كثير فقتل الطاعون منهم أربعين رجلاً فبادوا . وقد انقرض ولده فلم يبق منهم أحد وورث أيوب ابن سلمة بن عبد الله^(٢) (الوليد) بن الوليد بن المغيرة دورهم قال صاحب أسد الغابة^(٣) : « وقد انقرض ولد خالد بن الوليد فلم يبق منهم أحد وورث أيوب بن سلمة دورهم بالمدينة . وقال صاحب نهاية الأرب^(٤) : « وقد انقرض ولد خالد بن الوليد فلم يبق منهم أحد شرقاً ولا غرباً وأن من اتقى إليهم فهو مبطل في آتائه ، وكل من ادعى إليه فقد كذب . » وقال في صبح الأعشى^(٥) : « وقد أجمع أهل العلم بالنسب على انقراض عقبه

وفاته

لم تتفق كلمة المؤرخين في تعيين المكان الذى توفى فيه خالد كما لم تتفق على سنة وفاته على أن الاختلاف في سنة الوفاة لا يكاد يكون اختلافاً وسعرض بعض الروايات في ذلك لنختار منها ما نراه الأرجح

- ١ — ذكر الطبرى نقلاً عن الواقدي أنه مات بحمص سنة ٢١^(٦)
- ٢ — وقال ابن عساكر : وقبره بحمص فأخبرني من غسله وحضره

(١) المعارف ص ٩٠

(٢) كان اسمه الوليد فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وقال في ذلك : لقد كادت هو المغيرة أن تجعل الوليد رماً . من أسباب القرشيين ح ٢ ص ٣٤٤ ،

الاستيعاب ج ١ ص ٢٩٩

(٣) ج ٢ ص ١٠٤

(٤) ج ٢ ص ٢٥٦

(٥) ج ١ ص ٣٥٥

ونظر إلى ما تحت ثيابه ما فيه مصحح^(١)

٣ - وقال أيضا : فاعتزل خالد إلى ثغر حمص فكان فيه وحبس خيلا وسلاحا فلم يزل مقبها مرابطا بحمص حتى نزل به^(٢)

٤ - ويقول أيضا : قدم خالد بن الوليد بعد أن عزله عمر بن الخطاب معتمرا فمر بالمدينة فلقى عمر ثم رجع إلى الشام فانقطع إلى حمص فلم يزل بها حتى توفي بها سنة إحدى وعشرين^(٣)

٥ - وقال في أسد الغابة : وتوفي بحمص من الشام وقيل بل توفي بالمدينة سنة إحدى وعشرين^(٤)

٦ - ويقول ابن حجر في تهذيب التهذيب : قال محمد بن سعد وابن عمير وغير واحد مات بحمص سنة ٢١ وقال دحيم وغيره مات بالمدينة وقيل مات سنة ٢٢

٧ - ويقول في الإصابة^(٥) : مات خالد بن الوليد بمدينة حمص سنة إحدى وعشرين وقيل توفي بالمدينة النبوية ... ولكن الأكثر على أنه مات بحمص

٨ - وقال البدر العيني^(٦) : ومات على فراشه بحمص وقيل بالمدينة والأول أصح سنة إحدى وعشرين

(١) ص ٦٩٥

(٢) ص ٧١٢

(٣) ص ٧١٤

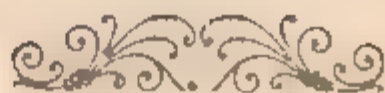
(٤) ج ٢ ص ١٠٤

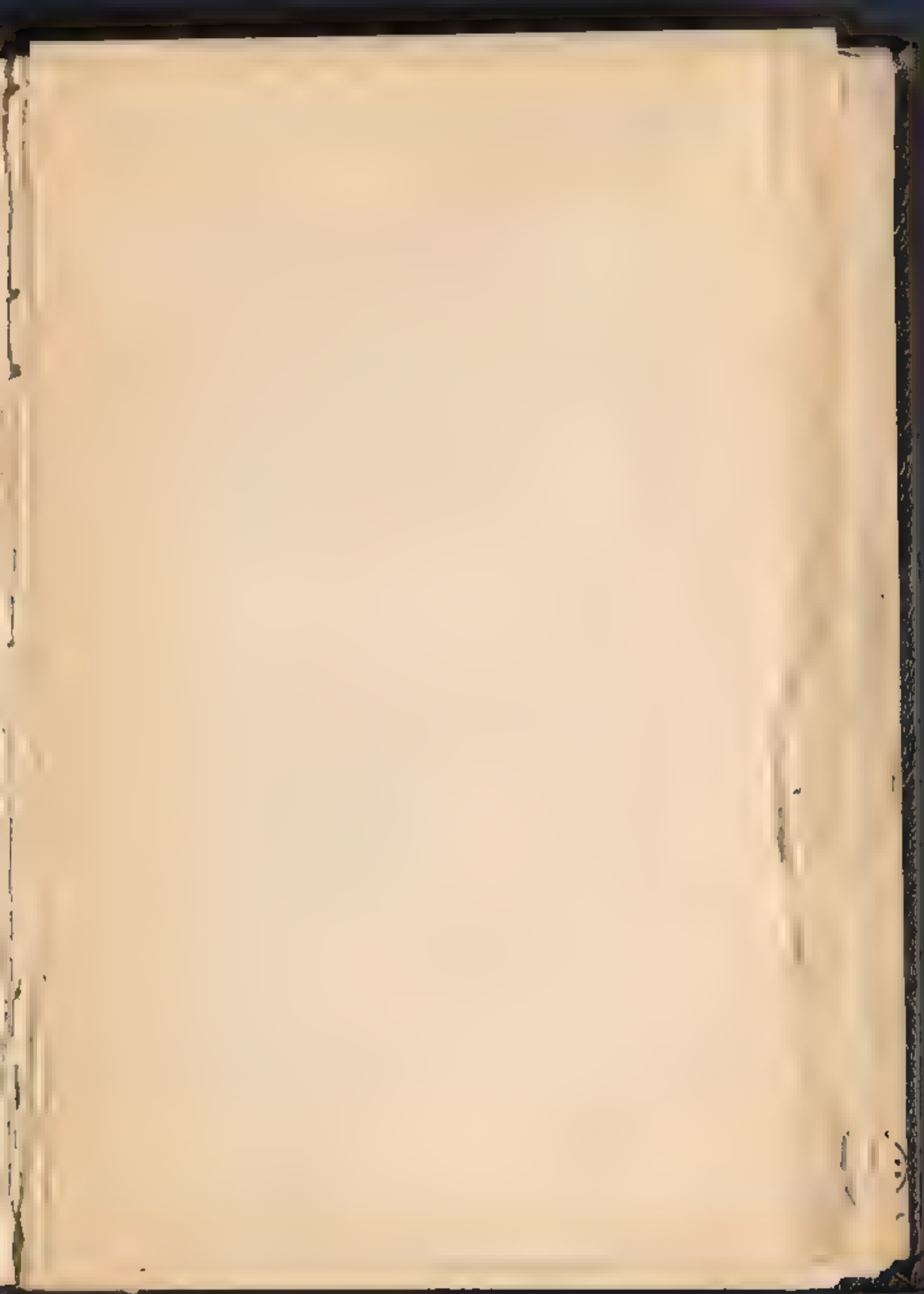
(٥) ج ١ ص ١٠٠

(٦) شرح البخارى للعيني ج ١٦ ص ٢٤٥

هذه بعض روايات المؤرخين وإذا بحر عرضها أمامنا تبين لنا
 مات سنة إحدى وعشرين بجمص لأن من هذه الروايات من لم يذكر
 موته بالمدينة أصلاً كما لم يتعرض لموته سنة ٢٢ والعض الذي ذكر ذلك
 إنما ذكره بصيغة تشعر بالضعف

رحمك الله أبا سليمان فقد أصيب الإسلام بوفاتك وثلم فيه ثلثة
 لا ترق. وليتك بقيت مابق بالحي حمر فقد كنت تحب أن يذل الشرك
 وأهله ولقد عشت سعداً وميت حميداً وما عدا الله خير لك وأبقى ما





LIT. RA. Y

115021579

613187107

main



0 0 0 0 0 0 0 4 4 5 6 8

D 198.4 K5 S5x 1933/c.1

DEC 1985

